أ. د. محمد عمارة

حقائق وشبهات

حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

أ. د. محمد عمارة

حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية

عمارة ، محمد .
حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب / تأليف محمد عمارة . - ط ١. - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١٠م .
٢٢٤ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٩ ٩٢٤ ٣٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨
يشتمل على إرجاعات بيلوجرافية .
١ - الحروب الدينية (ديانات مقارنة) .
أ - العنوان .
٢٩١,٧

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م
تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م هي عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

* * *



مُقَدِّمَة

سُنَّة من سُنن اللَّه ﷻ الحاكمة لتاريخ النبوات والرسالات - بل ولكل الدعوات والمذاهب والفلسفات - أنه كما يكون للرسالات والدعوات أنصار وحواريون، فإنه يكون لها - أيضًا - خصوم ومناوئون ..

حدث ذلك في دعوة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام عندما استجاب له فريق من قومه، بينما ألقاه المناوئون والمعاندون في النار - التي جعلها اللَّه عليه بردًا وسلامًا -..

وكذلك كان الحال - من قبل - مع نوح عليه السلام الذي مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، فما استجاب له منهم إلا قليل، حملهم على سفينته، ثم دعا ربه على مناوئيه: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

وحدث ذلك - من بعد - مع نبي اللَّه شعيب عليه السلام الذي استجاب له فريق من أهل مدين.. بينما عانده وخاصمه وقاومه آخرون، رفضوا التوحيد والإقلاع عن الحرية غير المسئولة في التعامل مع رؤوس الأموال: ﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ﴾ [هود: ٨٧].

ونفس السنة الإلهية الحاكمة لسيرة النبوات والرسالات حكمت سيرة ومسيرة كليم اللَّه موسى عليه السلام الذي عانده فرعون وملؤه.. بينما استجاب له السحرة - الذين لم يأبهوا لأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأن يُصَلَّبوا في جذوع النخل - .. كما استجاب له بنو إسرائيل.. ثم انقلبوا على التوحيد، فعبدوا العجل الذهبي، الذي أُشربوه في قلوبهم.. حتى لقد حطم - موسى - الألواح.. ومات في التيه!..

وكذلك كان الحال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.. آمن به الحواريون والذين قالوا إنا نصارى، بينما رفضه وناوأه واضطهده وطارده غوغاء بني إسرائيل، الذين أضلهم الحاخامات والأحبار والكتبة، الذين حوّلوا بيت اللَّه إلى مغارة لصوص!..

ولقد حكمت هذه السنة الإلهية مسيرة الرسالة الخاتمة، التي جاء بها خاتم الأنبياء ورسول الإسلام محمد بن عبد اللَّه - عليه الصلاة والسلام - .. فكان هناك الحواريون

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، أولئك الذين باعوا أنفسهم وأموالهم للّه، وبذلوا النفس والنفيس في نصرة اللّه، وإعزاز دينه، ومؤازرة رسوله، فرضي اللّه عنهم ورضوا عنه.. بينما بلغت المعاندة والمعاداة والمناوأة من ملأ قريش ورؤوس الشرك الوثني حد الفتنة في الدين.. والحصار.. والتجويع.. والتعذيب.. والاقتلاع من الديار والأوطان.. والحرب والغزو والقتال..

* * *

ولأن كل رسالة من الرسالات السماوية السابقة على رسالة الإسلام كانت خاصة بقوم بعينهم، ومحددة بفترة زمنية فاصلة بين رسولين - كانت المناوأة والمعاندة والمعاداة والاتهامات والشبهات مرتبطة بالفترة التي قامت وسادت فيها كل رسالة من هذه الرسالات..

فالاتهامات والمعاندات والشبهات التي وجهت إلى كل رسالة من رسالات هؤلاء الرسل والأنبياء قد طويت مع فترة كل نبي من هؤلاء الأنبياء.. أي: أن ما وُجه إلى نوح عليه السلام لم يوجه إلى من جاء بعده.. وكذلك الحال مع إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، اللّهم إلا الموقف من التوحيد، الذي استمرت حوله وبإزائه الموالاة والمعادة عبر كل النبوات والرسالات..

لكن الأمر قد اختلف مع الرسالة الخاتمة، التي جاء بها رسول الإسلام، محمد ابن عبد اللّه - عليه الصلاة والسلام -..

فلأن هذه الرسالة الخاتمة هي الخالدة.. والعالمية.. كانت المناوأة والمعاندة والاتهامات والشبهات الموجهة إليها، وإلى رسولها، دائمة ومتجددة عبر الزمان والمكان!..

فدوام الحق يصاحبه دوام الباطل!.. وتزايد المؤمنين يواكبه اشتداد سعار الكافرين! ودخول الناس في دين اللّه أفواجًا يستنفر ويستفز قوى الشر والضلال التي تحترف العداء للإسلام ورسول الإسلام.. حتى لتتخذه العدو الذي تجيش ضده الجيوش المادية والمعنوية.. بل لقد اتخذت من الكذب على الإسلام ورسوله « صناعة كبرى » ترتزق من سحتها جيوش الكذبة، الذين يجنون منها المليارات!.. وصدق اللّه العظيم إذ يقول: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

* * *

وعلى مر هذه القرون التي شهدت ظهور الإسلام وامتداده وسطوع أنواره عبر القارات والمحيطات، حدثت تطورات وتغيرات وتجديدات في الاتهامات والشبهات التي وجهها ويوجهها الخصوم والمناوئون والمعاندون إلى الإسلام وإلى رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام -.. تسقط شبهات واتهامات، لتتجدد أخرى من الشبهات والاتهامات.

لقد حدثنا القرآن الكريم عن الدوام والاستمرار لسنة هذه المناوأة وهذا العناء وهذا العداء: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]. ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٨، ٩]. ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]. ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومع دوام سنة المناوأة والمعاندة والمحاربة للإسلام، لدوام انتشاره وظهوره على الدين كله، تتنوع وتتغاير وتتبدل الاتهامات والشبهات الموجهة إلى هذا الإسلام..

ولقد حكى لنا القرآن الكريم ألوانًا من الاتهامات التي وجهها الشرك الوثني إلى القرآن الكريم، وإلى رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام - وذلك من مثل: أنه أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا.. وأنه إنما يُعلّمه بشر.. وأنه سحر ساحر.. أو شعر شاعر.. أو كهانة كاهن.. إلى آخر هذه الاتهامات التي سقطت أمام الإعجاز القرآني المتحدي.. ذلك الذي جعل المقدمين من أساطين الشرك يشهدون - وهم على شركهم - للقرآن الكريم؛ فيسقطون هم بشهاداتهم هذه ما سبق وساقه قومهم من اتهامات وشبهات..

لقد شهد الوليد بن المغيرة (٩٥ ق.هـ - ١هـ/٥٣٠ - ٦٢٢ م) وهو الملقب « بالعدل » - عدل قريش؛ لأنه قاضيها - شهد للقرآن ولرسول الإسلام بعد أن سمع سورة « غافر » فقال - وهو على شركه ووثنيته -: « **والله لقد سمعت من محمد كلامًا آنفًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن. والله ما هو بكاهن؛ فقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، ووالله ما هو بمجنون، فقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخَنْقه ولا تخالجه ولا وسوسته. ووالله ما هو بشاعر؛ فقد عرفنا الشعر كله، رجَزَه**

وهزجه وقَريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بشاعر. ووالله ما هو بساحر، فقد رأينا السُّحَّار وسحرهم، فما هو بنَفْثه ولا عُقده. والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لمثمر، وإنه يعلو ولا يُعْلَى عليه.. وما أنتم (يا معشر قريش) بقائلين (فيه) من هذا شيئًا إلا وأنا أعرف أنه باطل »!!..

بهذه الشهادة – وأمثالها – سقطت الشبهات التي واجه بها الشرك الوثني القرآن الكريم، ورسول الإسلام.. فلم يعد هناك عاقل يردد هذه الشبهات..

لكن هذا « الجيل » من الشبهات والاتهامات عندما سقط حلت محله شبهات واتهامات أخرى ضد الإسلام ورسول الإسلام.

* * *

ففي الحقبة الصليبية (٤٨٩ – ٦٩٠هـ/١٠٩٦ – ١٢٩١م) التي أراد فيها الغرب الصليبي إعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي، الذي استخلصت به الفتوحات الإسلامية الشرق من القهر الإغريقي والروماني والبيزنطي، الذي استمر عشرة قرون – من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ – ٣٢٣ق.م) في القرن الرابع قبل الميلاد، وحتى « هرقل » (٦١٠ – ٦٤١م) في القرن السابع للميلاد –.. في هذه الحقبة الصليبية صنع الخيال الصليبي للإسلام ورسوله صورة فاقت، في البؤس والتهافت والإضحاك، تلك الصورة التي صنعها الشرك الوثني – والتي سقطت بهزيمة هذا الشرك الوثني أمام أنوار حقائق الإسلام –..

صنعت الصليبية للإسلام ورسوله وللمسلمين وحضارتهم صورة بائسة ومتهافتة ومضحكة أشاعتها – في أوروبا – الملاحم الشعبية، مثل: ملحمة « رولاند » سنة (١١٠٠م) التي صورت المسلمين – الذين يعبدون الواحد الأحد، الذي ليس كمثله شيء، والذي يبلغ التنزيه له حد التجريد – على أنهم إنما يعبدون ثالوثًا:

١ – أبولين Apollin.

٢ – وترفاجانت Tervagant.

٣ – ومحمد Mahamed [1].

---

(١) هوبرت هيركومر، جيرنوت روتر، صورة الإسلام في التراث الغربي (ص ٢٥، ٢٦)، ترجمة/ ثابت عيد، تقديم/ د. محمد عمارة، طبعة دار نهضة مصر، القاهرة سنة (١٩٩٩م).

كذلك بلغ الخيال الصليبي المريض إلى الحد الذي صور فيه رسول الإسلام – الصادق الأمين – هذه الصورة البائسة المضحكة، التي قال عنها مستشرق يهودي منصف هو الفرنسي: « مكسيم رودنسون » (١٩١٥ – ٢٠٠٤م):

« لقد حدث أن الكتّاب اللاتين الذين أخذوا بين سنة (١١٠٠م – ١١٤٠م) على عاتقهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العامي، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار للدقة، فأطلقوا العنان « لجهل الخيال المنتصر ». فكان محمد (في عرفهم) ساحرًا هدم الكنيسة في إفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح لأنصاره الاتصالات الجنسية. وكان محمد (في عرف تلك الملاحم) هو صنمهم الرئيسي. وكان معظم الشعراء الجوالة يعتبرونه كبير آلهة السراسنة (البدو)، وكانت تماثيله (حسب أقوالهم) تصنع من مواد غنية وذات أحجام هائلة..

ولقد اعْتُبر الإسلام، في العصور الوسطى، نوعًا من الانشقاق الديني، أو هرطقة ضمن المسيحية. وهكذا رآه « دانتي » (١٢٩٥ – ١٣٢١م) في الكوميديا الإلهية.. » [١].

ولقد تعدت هذه الصورة البائسة، التي صنعها الخيال الصليبي المريض، نطاق الملاحم الشعبية، والعقل الجمعي للعوام والدهماء إلى حيث تبناها الفلاسفة والقديسون الكاثوليك والبروتستانت – أي: المقلدون والمصلحون جميعًا! – فقال الفيلسوف القديس « توما الأكويني » (١٢٢٥ – ١٢٧٤م) عن نبي العفة والطهارة رسول الإسلام:

« لقد أغوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية.. ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية »!!. [٢].

وسقط « مارتن لوثر » (١٤٨٣ – ١٥٤٦م) في ذات المستنقع عندما قال: **« إن محمدًا هو خادم العاهرات وصائد الموسات »..** [٣].

---

(١) مكسيم رودنسون، الصورة الغربية والدراسات العربية الإسلامية، كتاب تراث الإسلام – القسم الأول (ص ٢٧، ٢٨)، ترجمة/ د. محمد زهير السمهوري، طبعة الكويت، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس سنة (١٩٧٨م).

(٢) صورة الإسلام في التراث الغربي (ص ٣٢، ٣٣).

(٣) المرجع السابق (ص ٢١).

لكن هذه الاتهامات البائسة، التي صنعها الخيال الصليبي المريض قد سقطت هي الأخرى، وطواها التاريخ كما طوى اتهامات الشرك الوثني للقرآن ولرسول الإسلام.. ولن تجد اليوم - حتى مع تصاعد العداء الصليبي الغربي للإسلام - أحدًا في الكنائس الغربية - التي سقطت في الشذوذ الجنسي والفضائح الجنسية - يتحدث بهذه اللغة عن الإسلام ورسول الإسلام.. ولو أن « توما الأكويني » قد بعث اليوم حيًّا، ورأى كنائسه تغلق وتباع مطاعم وملاهي وعلب الليل، وتقوم - بدلًا منها - المساجد التي تروي عطش الأوربيين إلى طمأنينة الإيمان.. ولو أنه سمع بابا الفاتيكان « بنديكتوس السادس عشر » يخشى ويحذر « من أن تصبح أوربا جزءًا من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين ».. لو أن ذلك حدث، لما قال « الأكويني » عن الإسلام: « إنه لم يؤمن به إلا البدو المتوحشون »!!.. ولما قال - هو و « مارتن لوثر » - هذا الذي قالوه عن رسول الإسلام..

لقد سقطت هذه الاتهامات البائسة، وتبددت هذه الصور المريضة التي صنعها الخيال الصليبي.. ولحقت بها - في السقوط - تلك الصورة التي صنعها « دانتي » (١٢٩٥ - ١٣٢١م) - شاعر الكوميديا الإلهية - لرسول الإسلام ولعلي بن أبي طالب **عندما وضعهما « في الحفرة التاسعة في ثامن حلقة من حلقات جهنم..؛ لأنهما (بنظره) من أهل الشجار والنفاق الذين تقطعت أجسادهم في سعير الكوميديا الإلهية »!!** [1].

وكذلك طوى التاريخ « صورة المتعصب » التي صنعها « فولتير » (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) لرسول الإسلام في مسرحيته « التعصب أو محمد الرسول »..

لقد طوى التاريخ هذه الصور المريضة، والخيالات السقيمة التي صنعها الخيال الغربي، المعادي للإسلام ورسوله، عبر هذه القرون من الطمع الغربي في إعادة اختطاف الشرق من الإسلام والمسلمين.. وهي الصور التي صنعها ليشحن بها عقول الدهماء، حتى ينخرطوا في الحرب ضد الإسلام والمسلمين.

* * *

لكن هناك تهمة.. وفرية.. وشبهة ظلت عالقة بالمخيال الغربي.. ولا تزال عالقة - ضد الإسلام - على مر تلك القرون.. وحتى هذه اللحظات.. وهي: تهمة وفرية

---

(١) صورة الإسلام في التراث الغربي (ص ٢٤).

وشبهة ارتباط الإسلام بالعنف.. وانتشاره بالسيف.. وحضه على القتل للمخالفين.. وهي تهمة لا تقف - فقط - عند العامة والدهماء، الذين تتغذى عقولهم وقلوبهم من مخزون ثقافة الكراهية السوداء التي صنعها الخيال الصليبي القديم، والتي تشيع في الكتب المدرسية بالمجتمعات الغربية.. وإنما تتعدى - هذه التهم - نطاق الدهماء إلى دوائر الفنانين والساسة والمثقفين والأدباء..

وبعبارة المستشرقة الألمانية « سيجريد هونكة » (١٩١٣ - ١٩٩٩م):

« .. **فحتى اليوم، وبعد انصرام ألف ومائتي عام، لا يزال الغرب النصراني متمسكًا بالحكايات المختلقة الخرافية التي كانت الجدات يروينها، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام « بالنار وبحد السيف البتار » من الهند إلى المحيط الأطلنطي. ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل: بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة، وفي الجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفي الرأي العام، بل في أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام** »[1].

• ففي ٣٠ سبتمبر سنة (٢٠٠٥م) بدأ مسلسل « الرسوم الدنماركية » التي تصور رسول الإسلام في صورة الإرهابي المعتمّ بعمامة هي قنبلة موقوتة!!.. وبدأت حملة صحفية لإعادة نشر هذه الرسوم في صحف دول الاتحاد الأوربي.. وغيرها من وسائل النشر والإعلام الغربية.

• وبدأت الأحزاب اليمينية - في الغرب - المظاهرات والاحتجاجات ضد ما تسميه « خطر أسلمة أوربا والغرب ».. مصورة مآذن المساجد حرابًا وصواريخ للعنف والإرهاب!!

• ودخل إلى ميدان الافتراء على الإسلام عدد من كبار المستشرقين الغربيين.. ورجال السياسة وصناع القرار..

فكتب المستشرق الشهير - والمشير المقرب من دوائر صناعة القرار الأمريكي - « برنارد لويس » يقول:

« **إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب.. فالنظام الأخلاقي**

---

(١) سيجريد هونكه، الله ليس كذلك (ص ٤٠، ٤١)، ترجمة/ د. غريب محمد غريب، طبعة القاهرة سنة (١٩٩٥م).

الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية – المسيحية (الغربية). وآيات القرآن تصدِّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين! » [١].

• كما تقول « مارجريت تاتشر » رئيسة وزراء بريطانيا السابقة:

« إن تحدي الإرهاب الإسلامي الفريد لا يقف عند أسامة بن لادن، وإنما يشمل حتى الذين أدانوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر سنة (٢٠٠١م) »! [٢].

• ويقول القس الأمريكي « بات روبرتسون » مؤسس جماعة « التحالف السياسي المسيحي ».. والزعيم المقدم في تيار اليمين الديني، والمسيحية الصهيونية.. والأب الروحي للرئيس الأمريكي السابق « بوش – الصغير » – يقول:

« إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف.. وإنه بالنظر إلى المعنى الحقيقي لآيات قرآنية، فإن أسامة بن لادن أكثر وفاء لدينه الإسلامي من آخرين »! [٣].

بل وحتى بابا الفاتيكان « بنديكتوس السادس عشر » نجده يقول في محاضرته الشهيرة بألمانيا في ١٢سبتمبر سنة (٢٠٠٦م):

« إن محمدًا لم يأت إلا بما هو شرير وغير إنساني، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف.. ».

ثم مضى – في الإفتراء – فادعى أن « تعليمات أوامر اللئام » قد وضعت آيات العنف بالقرآن، لتنسخ آية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] [٤]**!!.**

• بل – وذلك هو الأعجب والأغرب – أن كاردينالًا كبيرًا، واسع الثقافة، عالميَّ النظرة، يتبوأ مقعده ضمن عشرين علمًا اختارتهم الأمم المتحدة كحكماء للعالم المعاصر – هو الكاردينال « د. هانس كينج » – يقول في كتابه « مقاييس عالمية للأخلاق »:

« لا شك أن مسألة العنف هي مشكلة رئيسية في الإسلام، ذلك أنه لا يمكن تجاهل أن النبي محمدًا – بعكس عيسى الناصري – لم يكن رجل دولة فحسب، بل كان

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، في (٣ – ٢ – ٢٠٠٢م)، وصحيفة الحياة، لندن، في (٢٦ – ٢ – ٢٠٠٢م)، ونيوز ويك، أمريكا، في (١٤ – ٢ – ٢٠٠٢م).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، في (١٤ – ٢ – ٢٠٠٢م).

(٣) نيوز ويك في (١٤ – ١ – ٢٠٠٢م)، والأهرام، القاهرة، في (٣ – ٣ – ٢٠٠٢م).

(٤) انظر نص المحاضرة في صحيفة وطني المسيحية، القاهرة، في (٢٤ – ٩ – ٢٠٠٦م).

أيضًا قائدًا عسكريًّا (جنرالًا) خاض حروبًا عسكرية، وجنى لذلك وما زال يجني كثيرًا من المدح.. ولقد كان هناك عصر مبكر في الإسلام قد تم فيه واقعيًا محو المسيحية من الوجود في بلادها الأصلية » [١].

* * *

وعندما طُلب منا التقديم للطبعة العربية لهذا الكتاب - كتاب الكاردينال « هانس كينج » - أقمنا معه حوارًا، استشهدنا فيه بالشهادات الغربية الشاهدة على أن انتشار الإسلام إنما تم « بالسلم.. والعقل »، وليس بالعنف والسيف.. وأن المسيحية الشرقية إنما تراجعت لأسباب ذاتية، وليس لأن الإسلام هو الذي محاها..

• فلقد كانت كل حروب الرسول ﷺ دفاعية ضد المشركين الذين حاصروا دعوته، وعذبوه هو والذين آمنوا به.. وأخرجوهم من ديارهم، ثم جيشوا الجيوش وزحفوا بها لمحاربتهم في المدينة، بعد أن هاجروا إليها.. شهدت على ذلك مواقع هذه الحروب.. وشهد بذلك القرآن: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

• أما ضحايا كل هذه الحروب - الدفاعية من جانب المسلمين.. والعدوانية من جانب المشركين - فهم - حصرًا - (٣٨٦) ضحية - (٢٠٣) ضحية من المشركين.. و (١٨٣) من المسلمين، بينما بلغ ضحايا الحروب الدينية - المقدسة - بين الكاثوليك والبروتستانت في أوربا (١٠,٠٠٠,٠٠٠) (عشرة ملايين) حسب إحصاء « فولينيز » (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) - أي: (٤٠٪) من شعوب وسط أوربا!! [٢].

تلك هي حقيقة حروب « دولة » الرسول ﷺ.. وحقيقة واحدة فقط من حروب « كنيسة » عيسى الناصري عليه السلام..

* * *

أما الادعاء بأن الفتوحات الإسلامية « قد محت المسيحية من الوجود في بلادها الأصلية » فإننا - ردًّا على هذا الادعاء - نضع بين يدي طلاب الحقيقة إشارات إلى

---

(١) انظر الطبعة العربية لهذا الكتاب، ترجمة/ ثابت عيد، تقديم/ د. محمد عمارة، طبعة القاهرة سنة (٢٠١٠م).

(٢) انظر كتابنا: الإسلام والآخر، طبعة مكتبة الشروق، وكتابنا: الفاتيكان والإسلام، طبعة مكتبة الشروق.

الحقائق الصلبة والعنيدة التي قدمها العلماء غير المسلمين عن هذه القضية.. والتي تقول:

– إن الفتوحات الإسلامية هي التي « أنقذت » النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية.. وبعبارة وشهادة الأسقف « يوحنا النقيوسي » وهو شاهد عيان على هذه الفتوحات:

« إن اللّه – الذي يصون الحق – لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم، لتجرئهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين (العرب المسلمين) ثم نهض المسلمون وحازوا كل مدينة مصر.. وكان « هرقل » (٦١٠ – ٦٤١م) حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مدينة مصر، وبأمر اللّه الذي يأخذ أرواح حكامهم.. مرض « هرقل » ومات..

وكان عمرو بن العاص (٥٠ق هـ – ٤٣هـ/٥٧٤ – ٦٦٤م) يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ عليها (الكنائس) طوال الأيام..

ودخل الأنبا « بنيامين » (٣٩هـ/٦٥٩م) بطرك المصريين مدينة الإسكندرية بعد هربه من الروم العام (١٣) (أي: العام الثالث عشر من تاريخ هروبه بعد أن أمّنه الفتح الإسلامي) وسار إلى كنائسه، وزارها كلها.. وخطب فقال: لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون..

.. وكان كل الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم « هرقل » الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.. » [1].

هكذا شهد الأسقف « يوحنا النقيوسي » على أن الفتح الإسلامي هو الذي أنقذ المسيحية الشرقية.. وحرر بطركها.. وكنائسها وأديرتها.. وحافظ عليها..

– وبعد ستة قرون من الفتوحات الإسلامية استمرت شهادات رجال الدين المسيحيين الشرقيين تؤكد على أن هذه الفتوحات الإسلامية هي التي « أنقذت » المسيحية الشرقية

---

(١) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي رؤية قبطية للفتح الإسلامي (ص ٢٠١ – ٢٢٠)، ترجمة ودراسة/ د. عمر صابر عبد الجليل، طبعة القاهرة سنة (٢٠٠٠م).

ولم تمحها - كما يدعي المفترون أو الجاهلون -.. فبطريرك السريان « ميخائيل الكبير » (١١٢٦ - ١١٩٩م) - صاحب (كتاب الحوليات) في تاريخ الكنيسة والشرق - يقول:

« لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرّية، وعشنا في سلام » [١].

وإذا أراد الذين يمارون في ذلك شهادة أوربية حديثة، على أن الإسلام لم يمح المسيحية الشرقية.. وإنما أنقذها - عندما حرر أرضها من الاستعمار الروماني الذي دام عشرة قرون - وحرر ضمائر شعوب الشرق، وتركهم وما يدينون؛ لأنه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].. فإن كتابًا فرنسيًّا صادرًا عن مؤسسة فرنسية متخصصة في الإحصاءات هي: « المعهد الوطني للدراسات الديموجرافية » يقول: **« إن نسبة المسلمين في الدولة الإسلامية بعد مرور مائة سنة على الفتح الإسلامي وإقامة الدولة الإسلامية لم تتعد (٢٠٪) من رعية هذه الدولة »!!** [٢].

وإذا كانت هذه الإشارات إلى حقائق الفتح الإسلامي كافية للشهادة على أن هذه الفتوحات هي التي أنقذت النصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية - ولم تمحها.. كما يدعي البعض -.. فإن هناك ما لا يحصى من الشهادات الغربية - التي كتبها علماء أعلام في الفكر الغربي تؤكد على أن الإسلام إنما انتشر ليس « بسيوف الفتوحات » وإنما « بالسلم.. والعقلانية »..

ولأن المقام مقام إيجاز.. فإننا نقدم خمس شهادات لخمسة من أعلام العلماء الغربيين على أن الانتشار الإسلامي - التدريجي - إنما تم « بالسلم.. والعقلانية »..

١ - وأوْلى هذه الشهادات، هي للعالم الإنجليزي الحُجَّة « سير توماس أرنولد » (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) والتي يقول فيها:

« إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا - بوجه الإجمال - في ظل الحكم

(١) د. صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي (ص ٦٢)، طبعة القاهرة سنة (٢٠٠١م).

(٢) فيليب فارج، يوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (ص ٢٥)، ترجمة/ بشير السباعي، طبعة القاهرة سنة (١٩٩٤م).

الإسلامي بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلًا في أوربا قبل الأزمنة الحديثة » [1].

٢ – وثاني هذه الشهادات هي للمستشرق الفرنسي « إدوارد مونتيه » (١٨٥٦ – ١٩٢٧م).. والتي يقول فيها:

« إن الإسلام في جوهره دين عقلي، بأوسع معاني هذه الكلمة من الوجهتين الاشتقاقية والتاريخية، فإن تعريف الأسلوب العقلي Rationalism بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق.

إن لدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أساس المنطق والعقل.. إن الإيمان باللَّه والآخرة – في الإسلام – يستقران في نفس المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، ويلخصان كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي – على وجه التحقيق – من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام..

لقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائمًا بمبدأ الوحدانية في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول. ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا.. وفي هذا تكمن الأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود الدعاة المسلمين.

وكان من المتوقع لعقيدة « محددة كل التحديد »، خالية كل الخلو من جميع التعقيدات الفلسفية – **ثم هي – تبعًا لذلك – في متناول الشخص العادي – أن تمتلك – وإنها لتمتلك فعلًا – قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس »..**

٣ – وثالث هذة الشهادات الغربية على أن الإسلام إنما انتشر بالتفوق العقلاني.. وليس بسيوف الفتوحات – هي للاهوتي الإيطالي « الأب مراتشي » (١٦١٢ – ١٧٠٠م) وهو الخبير في القرآن وفي العهدين القديم والجديد – والتي يقول فيها:

« لو قارن إنسان بين أسرار الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة الذكاء البشري، أو التي هي – على الأقل – من الصعوبة بمكان – إن لم تكن مستحيلة – (العقيدة

(١) سير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ص ٧٢٩، ٧٣٠)، ترجمة / د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، طبعة القاهرة سنة (١٩٧٠م).

المسيحية) وبين عقيدة القرآن، لانصرف عن الأولى في الحال، وأسرع إلى الثانية في ترحيب وقبول »..

٤ – أما الشهادة الرابعة، فهي للمستشرق الإيطالي الخبير في الإسلام والدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي « كاريتاني – ليون » (١٨٦٩ – ١٩٢٦م).. والتي يقول فيها:

« إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحي.

أما الشرق الذي عُرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهلينية وبالًا عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها.

فلما أهلّت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد المسيحية الشرقية، التي اختلطت بالغش والزيف، وغرقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد تلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد، الذي بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا مادية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب »..

٥ – أما الشهادة الخامسة على حقيقة الانتشار الإسلامي « بالسلم.. والعقلانية »، فهي للفيلسوف الأمريكي « جون تايلور » (١٧٥٣ – ١٨٢٤م).. والتي يقول فيها:

« إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر هذا الدين الجديد بهذه السرعة في إفريقيا وآسيا.

كان أئمة اللاهوت في إفريقية والشام قد استبدلوا بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية عويصة، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بتوضيح فضل العزوبية في السماء، وسموّ البكورية إلى مرتبة الملائكة، فكان اعتزال العالم هو الطريق إلى القداسة، والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب، ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم،

فأزال الإسلام - بعون من اللّه - هذه المجموعة من الفساد والخرافات.

لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى. ولقد بين أصول الدين التي تقول بوحدانية اللّه وعظمته، كما بين أن اللّه رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه. وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة آخرة ويومًا للحساب، وأعد للأشرار عقابًا أليمًا، وفرض الصلاة والزكاة والصوم وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والدجل الديني والترّهات والنزعات الأخلاقية الضالة، وسفسطة المنازعين في الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاءً، والإنسانية إخاءً، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية، التي تقوم عليها الطبيعة البشرية.. »[1].

تلك شهادات غربية.. كتبها عدد من أعلام الثقافة الغربية - اللاهوتية.. والفلسفية - قدمناها - ونقدمها - للذين زعموا - ويزعمون - « أن الفتوحات الإسلامية قد محت المسيحية من الوجود في بلادها الأصلية »!.. وأن السيف كان سبيل انتشار الإسلام!.

ولقد آثرنا أن تكون كل تلك « الحقائق » و « الشهادات » غربية، عملًا بمنهاج: « وشهد شاهد من أهلها »..

* * *

إن بعض الكتاب حين يكتبون عن الديانات والحضارات الأخرى، وعن تواريخ هذه الديانات والحضارات، ينطلقون - أحيانًا - من « نموذجهم الحضاري الخاص ».. وليس من النموذج الآخر المتميز الذي يكتبون عنه.. فيسقطون على « الآخر » سمات النموذج الذي عرفوه وتشبعوا به وتشربوا مميزاته.. والذي إليه ينتسبون.. الأمر الذي يجعلهم يرون « الآخر » بعيونهم هم.. وليس كما هو في واقع الحال!..

ويبدو - واللّه أعلم - أن هذا البعض قد نظر إلى انتشار الإسلام وإلى علاقته بالآخر بنفس المنظار الذي انتشرت به المسيحية في البلاد الغربية.. ولما كانت قد انتشرت بالسيف والعنف، ومحت الآخر الديني.. فلقد ذهب هذا البعض إلى أن هذا هو السبيل الذي انتشر به الإسلام!.. وذلك خطأ فادح في مناهج التفكير.. وقع فيه الذين ادعوا انتشار الإسلام بالسيف.. والإكراه.. فنظروا إلى تاريخ الإسلام بعيون

---

(١) المصدر السابق (ص ٨٩ - ٩٢).

غربية.. جعلتهم يغفلون عن الوقائع المتميزة.. والتاريخ المتميز لانتشار الإسلام..

إن وقائع تاريخ انتشار المسيحية في أوربا - كما شهد عليها العلامة الإنجليزي « سير توماس أرنولد » - تقول:

• إن « شارلمان » (٧٤٢ - ٨١٤م) ملك الفرنجة قد فرض التعميدات المسيحية على السكسونيين الوثنيين بحد السيف.

• وفي الدانمرك استأصل الملك « كنوت » Cnut (٩٩٥ -١٠٣٥م) الوثنية من ممتلكاته بالقوة والإرهاب.

• وجماعة إخوان السيف(Bretheren Of The Sword) وغيرهم من الصليبيين قد أدوا رسالتهم بالسيف والنار في تنصير البروسيين الوثنيين..

• ولقد فرض فرسان « Ordo Fratrum Miliuechrist » المسيحية على شعب ليفونيا فرضًا.

• وفي سنة (١٦٩٩م) وجه « فالنتين » Valentyn إلى رجوات Rajas جزيرة أمبوينا Amboyan مرسومًا يأمرهم فيه بإعداد طائفة معينة من الوثنيين لتعمدهم إذا ما طاف بهم راعي الكنيسة.. وربما حل الاضطهاد والتنصير الإجباري محل الدعوة الهادئة إلى « كلمة اللّٰه ».

• وفي « ڤيكن » Viken (القسم الجنوبي من النرويج) كان الملك « أولاف ترايجفيسون » Olaftrygvesson (٩٦٣ - ١٠٠٠م) يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو بنفيهم و تشريدهم، وبهذه الوسائل نشر الدين في « ڤيكن » بأسرها..

• وفي المجر أرغم الملك « شارل روبرت » جميع رعاياه الذين لم يكونوا مسيحيين على اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد.

• وفي الجبل الأسود سنة (١٧٠٣م) خير الأسقف - الحاكم - « دانيال بيتروفتش » القبائل بين اعتناق المسيحية وبين القتل.. وقتل المسلمين الذين لم يتنصروا في ليلة عيد الميلاد!..

• وفي روسيا سنة (٩٨٨م) أصدار الملك « فلاديمير » مرسومًا بوجوب اعتناق المسيحية على كل الرعية، فور اعتناقه لهذا الدين.. ولم تعرف روسيا حرية التدين

إلا سنة (١٩٠٥م)!..[1].

• أما الإبادة التي تمت على يد المسيحيين لشعوب أمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ونيوزيلاندا.. فهي أشهر من أن تحتاج إلى حديث..

فهل نظر هؤلاء المفترون على الإسلام إلى انتشاره وعلاقته بالآخر بالعيون الغربية التي تعودت على رؤية العنف والإبادة سبيلًا لانتشار الدين؟!..

ربما كان هذا هو الخطأ المنهجي – خطأ النظرة الأحادية.. والتمركز حول الذات الثقافية والحضارية – هو الذي وقف وراء الحكم بانتشار الإسلام بالسيف.. ودعوى إبادته المسيحية الشرقية. وهي دعاوى لا سند لها من منطق العقل وحقائق التاريخ.

هكذا شهد شهود عدول من أهلها – من أهل المسيحية الغربية.. والحضارة الغربية – على أن انتشار الإسلام.. وظهوره على النصرانية الشرقية إنما كان بالسلم « والمنطق » والعقل، وهي الخصائص التي جعلته دين الفطرة:

« الذي نبذ الفضائل الكاذبة، والدجل الديني، والترّهات والنزعات الأخلاقية الضالة، وسفسطة المنازعين في الدين.

وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاءً، والإنسانية إخاءً، ووهب الناس إدراكًا للحقائق الأساسية، التي تقوم عليها الطبيعة البشرية.

والذي جاء بتوحيد اللّه.. وعظمته.. ورحمته.. وعدله..

فبدد بضربة منه واقع الشرك الذي كان الناس يعبدون فيه – بدلًا من اللّه الواحد الأحد – زمرة من الملائكة والشهداء والقديسين »

• لهذا.. وبهذا.. كان انتشار الإسلام.. وليس بالسيف، الذي انتشرت به المسيحية الغربية، تلك التي لا تزال تحتمي « بمدفع الاستعمار » للتبشير بالإنجيل!!

* * *

إذن.. هي افتراءات واتهامات وشبهات، يواجه بها الخصوم والمعاندون دين الإسلام.. ورسول الإسلام.. يتساقط بعضها ليتجدد البعض الآخر.. اللّهم إلا فرية

(١) الدعوة إلى الإسلام (ص ٣٠ – ٣٢، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١ – ١٤٣، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤ – ٢٧٦، ٢٧٨ – ٢٨١، ٢٨٣ – ٢٨٥، ٢٨٧).

وشبهة استمرت منذ العصر الصليبي والحملات الصليبية وحتى هذه اللحظات، وهي فرية وشبهة ارتباط الإسلام بالعنف القتالي، وانتشاره « بالنار وبحد السيف البتار »!..

وفي هذه الفرية والشبهة تتم التسوية بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة - التي عرفتها أوربا المسيحية - تارة.. وبين هذا الجهاد وبين الإرهاب - الذي يقتل الأبرياء ويروع الآمنين - تارة أخرى!..

كما يتساوى في توجيه هذه الفرية إلى الإسلام العقل الجمعي - الغربي - للعامة والدهماء - الذي يتغذى من مخزون ثقافة الكراهية السوداء - ذات الجذور الصليبية - وقطاعات كبيرة من النخبة السياسية والفكرية والدينية وصناع القرار!..

ولقد غدت هذه التهم والافتراءات والشبهات - في عصرنا الراهن - « الأيديولوجية » التي تغلف مطامع الإمبريالية الصليبية والصهيونية العنصرية في الغزو لعالم الإسلام، لاحتلال أرضه ونهب ما فيه من ثروات.

ولتبديد هذه الأوهام.. ولتفنيد هذه الافتراءات.. ولكشف حقيقة موقف الإسلام من الحرب الدينية.. وحقيقة الجهاد.. والقتال.. والإرهاب في الموازين الإسلامية.. كان اهتمامنا - في مشروعنا الفكري، وعلى مدى سنوات عديدة - بهذه القضايا.. وكان هذا الكتاب، الذي جمعنا فيه هذه الدراسات التي تقدم الحقائق الموضوعية والمنطقية والشرعية حول هذا الموضوع.. والتي تكشف الزيف الذي يحيط بالموقف الإسلامي من:

- الحرب الدينية..
- وحقيقة الجهاد الإسلامي..
- وحقيقة الموقف الإسلامي من القتال..
- وماهية الإرهاب.. عندما يوزن بموازين الإسلام..

والله نسأل أن يتقبل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.. وأن ينفع به.. إنه - سبحانه - خير مسئول وأكرم مجيب؟

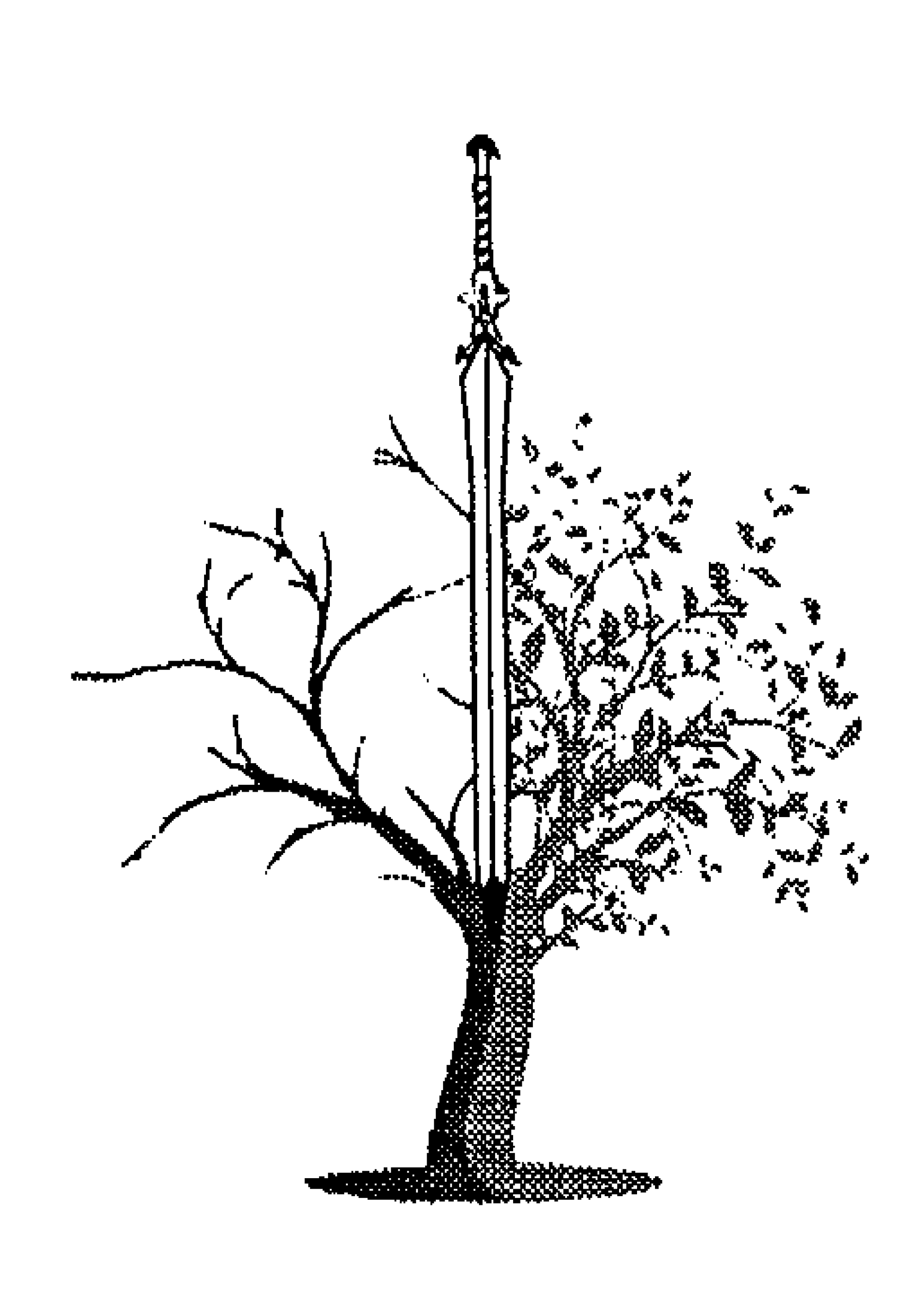
(٢٠ جمادى الأول سنة (١٤٣١هـ) / ٤ مايو سنة (٢٠١٠م))

أ. د. محمد عمارة

* * *

(١)

الديانات السّماوية والحروب الدينية



١ - وحدة الدين.. وتعدد الشرائع:

كل الديانات السماوية - وفي مقدمتها اليهودية.. والنصرانية.. والإسلام - هي في حقيقتها وأصولها وحي سماوي معصوم، وشرائع إلهية في إطار الدين الإلهي الواحد.. فدين اللّه واحد، من آدم إلى محمد عليهم جميعًا الصلاة والسلام.. وأصول الإيمان في هذا الدين الواحد ثابتة:

- وحدانية الإله الخالق والمعبود.
- والإيمان بالغيب والحساب والجزاء.
- والعمل الصالح في هذه الحياة الدنيا.

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

وفي إطار هذا الدين الإلهي الواحد، الذي هو الإسلام - من إسلام المؤمن وجهه للّه، أي: إفراده بالعبودية والطاعة دون كل الشركاء وجميع الطواغيت - في إطار هذا الدين الإلهي الواحد تعاقبت، وتمايزت الشرائع الإلهية، بتتابع الرسالات والنبوات، وبتمايز مكونات ومقتضيات ومصالح ومراحل تطور أمم هذه الرسالات..

ولأن مصدر الدين والشرائع واحد - وهو اللّه ﷻ -، ولأن مقاصد الدين هي هداية الإنسان إلى عبادة اللّه وفق شعائر شريعته: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].. ولأن الهداية هي ثمرة للإيمان، الذي هو تصديق قلبي - استحال أن يكون الإكراه طريقًا إلى تحصيل الهداية والإيمان.. ومن ثم استحال أن تكون الحرب - التي هي العنف القتالي، والقتال المزهق للأرواح - سبيلًا من سبل الإيمان بالدين، أو النشر الحقيقي لحقيقة الدين..

٢ - منهاج الدعوة في الشريعة الموسوية:

وإذا نحن التمسنا الموقف الحقيقي والأصلي لليهودية - التي هي شريعة موسى عليه السلام - من هذه القضية - موقف الدين من الحرب الدينية - فسنجد منهاج الدعوة اليهودية، كما حدده اللّه ﷻ، لموسى وهارون عليهما السلام، عندما بعثهما إلى فرعون، فقال:

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۝ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٢ - ٤٧]..

فالقول اللين هو منهاج الدعوة، حتى في مواجهة الطغيان الفرعوني.. ولما تخوّف موسى وهارون من رد فعل الطغيان الفرعوني، جاء التأكيد الإلهي على هذا المنهاج السلمي واللّين في الدعوة.. وعلى أن العون الإلهي، وإعلان السلام لمن اتبع الهدى هو المنهاج في الدعوة إلى الشريعة الموسوية، وليس العنف أو الحرب والقتال..

وحتى عندما ظل فرعون على كفره وجبروته.. وتصاعد هذا الكفر والجبروت بعد هزيمته في المواجهة التي تمت - يوم الزينة - بين آية اللّه التي ظهرت على يد موسى عليه السلام وبين سحر السحرة الذين حشدهم فرعون، عندما آمن هؤلاء السحرة بإله موسى، فعاقبهم فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلّبهم في جذوع النخل.. حتى عندما تصاعد الكفر والجبروت والطغيان الفرعوني إلى هذه الحدود، لم يتغير منهاج الدعوة اليهودية، فالإيمان القلبي باللّه ﷻ لا يغير من يقينه ولا من منهاجه السلمي هذا الحكم المتجبر على الأجساد في هذه الدنيا الفانية: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٠ - ٧٦].

فحتى في مواجهة الجبروت والإكراه الفرعوني، ظل منهاج الدعوة في الشريعة الموسوية هو اللين والتزكية للنفس، والصبر الجميل على الإيذاء..

ولأن موسى عليه السلام لم يقم دولة، ولم يقد جيشًا، ولم يخض حربًا ولا قتالًا.. وإنما وُلد ونشأ وبُعث في مصر.. ومات ودُفن في تيه سيناء المصرية، فلقد ظلت شريعته

بريئة من أي إكراه أو حرب دينية، تتوسل بالقتال لنشر هذا الدين..

هذا عن حقيقة اليهودية الحقة، كما تجلت في شريعة موسى عليه السلام..

٣ - الحرب الدينية في التراث اليهودي:

لقد نزلت شريعة اليهودية على موسى عليه السلام بمصر، وتلقى الألواح باللغة الهيروغليفية.. ثم تمرد اليهود على شريعة التوحيد، فعبدوا العجل الذهبي، حتى أُشربوا في قلوبهم هذا العجل الذهبي!... وتعلقوا بالوثنية - التي كانت شائعة في شعوب كثيرة - قائلين لموسى عليه السلام: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وبعد موت موسى عليه السلام قادهم « يشوع بن نون » في غزو أجزاء من بلاد كنعان - فلسطين - فتكلموا إحدى اللهجات الكنعانية - التي تطورت فيما بعد إلى العبرية - وعبدوا آلهة كنعانية، وانطبعوا بعادات وتقاليد وثقافات مغايرة كل المغايرة لشريعة موسى عليه السلام.. وقتلوا كثيرًا من الأنبياء الذين قاموا فيهم لردهم إلى الشريعة الإلهية التي نزلت على موسى عليه السلام.. حتى لقد جاء في سفر « إشعيا » (١) في وصف ما آلت إليه حالهم: « **أما أنتم يا أولاد المعصية، نسل الكذب، المتوقدون على الأصنام تحت كل شجرة خضراء، القاتلون لأولادهم في الأودية تحت شقوق المعاقل** ».

وجاء في سفر « حزقيال » (٢) قول الرب لأورشليم: « **أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لي وذبحتهم لها طعامًا** ».. وهي عبارة جاء في شرحها: « **إن أهل أورشليم قد مارسوا كل عبادة الكنعانيين الفاسدة، كما مارسوا وثنية غيرهم من الأمم الوثنية كالآشوريين والمصريين والكلدانيين والأموريين والحيثيين، بل إنهم فاقوهم في ممارسة هذه الوثنية؛ حيث أخذوا بنيهم وبناتهم وذبحوهم للآلهة الوثنية طعامًا، بل وأجازوهم في النار** » (٣).. فحدثت القطيعة الكبرى بين اليهود وبين شريعة موسى عليه السلام؛ إن في العقيدة، أو في القيم، أو في القانون..

---

(١) إصحاح (٥٧/٤، ٥).
(٢) إصحاح (٢٠/١٧).
(٣) د. محمد جلاء إدريس، فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي (ص ٨٤)، طبعة القاهرة سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

ثم انتهت بهم الانحرافات والصراعات والمحاربات، مع الشعوب الأخرى ومع بعضهم البعض.. انتهت بهم هذه المسيرة وهذا التاريخ إلى الدمار الذي أوقعه بهم الملك البابلي « نبوختنصر » (٦٠٥ - ٥٦٢ق.م) وإلى منحة السبي البابلي (٥٨٦ق.م)..

وأمام هذه الكارثة التي حلت بهم، وحفاظًا على الوجود، وإنعاشًا للذاكرة بالتاريخ، قام أحبارهم بإعادة كتابة « التراث اليهودي »، في تلك الأسفار التي زادت على العشرين.. وهي الأسفار التي سماها « بولس - الرسول » - فيما بعد، ولأول مرة - بـ (العهد القديم)، وذلك في رسالته الثانية إلى أهل « كورنثوث » [١] ..

ولقد عكس هذا « التراث اليهودي » نفسية الاضطهاد وعقلية السبي، وروح الانتقام من كل الأغيار، فشاعت فيه النصوص التي تدعو إلى الحرب وإلى إبادة الآخرين، وإلى تدمير كل مظاهر الحياة والأحياء عند الشعوب الأخرى، باعتبارها - كما زعموا - أوامر الرب، الذي جعلوه محاربًا، ومتعطشًا إلى الدماء، بل وسموه « رب الجنود »!..

وهكذا تبلور لليهود « تراث » عنصري.. دموي.. يمجد الحرب الدينية، منقلبًا بذلك على الشريعة الموسوية الحقة، التي نهجت منهاج « القول اللَّين » حتى في مواجهة الطغيان الفرعوني الشديد والفريد.. وهكذا وجدنا في هذا « التراث اليهودي » اليهود شعبًا مختارًا للَّه، بل وشعبًا مقدسًا، دون سائر الشعوب، وفوق جميع الشعوب، لا بحكم التوحيد للَّه والتقوى في عبادته، وإنما بحكم « الولادة والدم والعنصر »!.. بل لقد أضفوا هذه القداسة والعصمة حتى على بهائمهم!!.. ووجدنا الأوامر « الإلهية » التي تدعوهم إلى تدمير كل الأغيار - من البشر إلى الشجر إلى الحجر.. ومن الحيوان إلى الطبيعة.. ومن الكبار إلى الأطفال.. ومن الرجال إلى النساء - فكان هذا الدستور اليهودي للحرب الدينية، الذي جاء فيه - على سبيل المثال -:

- « **فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارًا في الكتاب، وضعه في مسامع يشوع: فإني سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء** » [٢].. ثم أصبح كل الأغيار مثل العماليق عبر تاريخ هذا التراث!..

- « **إن سمعت عن إحدى مدنك، التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها، قولًا.. فضربًا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرّمها.. (أي: تدمرها وتبيدها) بكل**

(١) إصحاح (١٤/٣).

(٢) سفر الخروج، إصحاح (١٤/١٧).

ما فيها من بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلًّا إلى الأبد لا تُبنى بعد.. لكي يرجع الرب عن حُمُوّ غضبه ويعطيك رحمة » [١]... فرحمة الرب مرهونة ومشروطة بإبادة الأغيار وكل مكونات الحياة عند هؤلاء الأغيار، لمجرد أنهم « قالوا قولًا » سمعه اليهود!..

– « **وكلّم الرب موسى في عربات موآب على أُردن أريحا قائلًا: كلِّم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. تملكون الأرض وتسكنون فيها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم** » [٢].

– « **وحين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن.. فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها – (أي: تبيدها)** » [٣]..

فالدين يصالحون ويسلّمون، لهم العبوديةُ والاستبعادُ.. والذين لا يصالحون ولا يسلّمون لهم الإبادةُ والدمارُ!..

– « **سبع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم، فإنك تحرّمهم – (أي: تبيدهم وتدمرهم).. لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم. ولا تصاهرهم.. لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. مباركًا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها**

---

(١) سفر التثنية، إصحاح (١٣/١٢، ١٥ – ١٧).
(٢) سفر العدد، إصحاح (٣٣/٥٠ – ٥٣، ٥٥، ٦٥).
(٣) سفر التثنية، إصحاح (٢٠/١٠ – ١٦).

عليك، بل يجعلها على مبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم »[١].. فلا شفقة على أي من الشعوب.. بل أكلهم أكلًا!..

– وحتى يؤبد الأحبار.. – الذين كتبوا هذا « التراث » – هذه العنصرية ضد كل الأغيار، والكراهية لجميع غير اليهود، والحرب الدينية التي لا تبقي ولا تذر – نسبوا هذا « الانتقام الأبدي »، وهذا التأييد لروح الانتقام إلى الرب.. فكتبوا في هذه الأسفار: « **إن الرب لا يبرئ، بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع** »[٢]..

ثم جاءت تعليقاتهم على هذا التراث – في التلمود.. وفتاوى الحاخامات – لتؤبد روح الانتقام من كل الأغيار.. فالحاخام « العقيد. أ. فيدان (زيمبل) » يصدر فتوى – في سبعينيات القرن العشرين – تنشرها قيادة المنطقة الوسطى في الجيش الإسرائيلي – التي تقع الضفة الغربية الفلسطينية تحت سلطتها – يحض فيها على قتل حتى « المدنيين الطيبين من الفلسطينيين »! باعتبار ذلك تكليفًا دينيًا، والتزامًا « بالهالاكاه » – الشريعة – وفي هذه الفتوى الدينية يقول الحاخام: « **في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال الحرب، أو خلال مطاردة حامية، أو غارة، إذا لم يتوافر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا، هناك إمكانية لقتلهم، أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب الهالاكاه.. بل تحض الهالاكاه على قتل حتى المدنيين الطيبين** »![٣]. ولقد ضُمنت هذه « المطاردة الحامية » في اتفاقات « أوسلو » في تسعينيات القرن العشرين –!..

أما الحاخام « شمعون وايزر » فإنه يجيب عن رسالة الجندي الإسرائيلي « موشى » – الذي يخدم في فلسطين المحتلة سنة (١٩٦٧م) – والتي يسأل فيها: « هل نعامل العرب مثل العماليق؟ أي: نقتلهم حتى نستأصل ذكراهم في الأرض؟.. « **ولتمح ذكرى العماليق من تحت السماء** »[٤] – أم نقوم بما يحدث في الحرب العادلة التي يقتل فيها الإنسان الجنود فقط؟.. وهل يجوز لي تقديم الماء لعربي يستسلم؟ ».

---

(١) سفر التثنية، إصحاح (١/٧ – ٣، ٦، ٧، ١٤ – ١٦).

(٢) سفر العدد، إصحاح (١٨/١٤).

(٣) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود (ص ١٣٤، ١٣٥)، ترجمة/ حسن خضر، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

(٤) سفر التثنية، إصحاح (١٩/٢٥).

يجيب الحاخام « شمعون وايزر » على هذه الرسالة فيقول للجندي « موشى »: « سأنقل لك بعض أقوال الحكماء، طيب اللَّه ذكراهم، وأفسرها: الحرب لدى غير اليهود ذات قوانين خاصة، مثل قوانين اللعب، كرة القدم أو السلة. **لكن الحرب كما يقول حكماؤنا، طيب اللَّه ذكراهم، لا تعني بالنسبة لنا لعبة، بل ضرورة حيوية، واستنادًا إلى هذه المقاييس فقط ينبغي التفكير حول كيفية القيام بها.. أفضل غير اليهودي اقتلوه، وأفضل الأفاعي هشموا رأسها.. هذه هي قاعدة « طهارة السلاح » حسب الهالاكاه – الشريعة – »**.

فكانت الرسالة الجوابية من الجندى « موشى » لحاخامه « شمعون وايزر »: (تلقيت رسالتك، وفهمتها على النحو التالي: « **لا يسمح لي في زمن الحرب بقتل كل عربي أو امرأة أصادفهما وحسب، بل من واجبي أيضًا القيام بذلك!** »)[1].

وهكذا استمر إعلان الحرب الدينية اليهودية، في « التراث اليهودي »، الذي بدأ إعادة تدوينه « عزرا » – في القرن الخامس قبل الميلاد – والذي اكتمل تدوينه قبل الميلاد بقرنين.. استمرت الحرب الدينية اليهودية معلنة ضد جميع الأغيار، حتى وضعتها الحركة الصهيونية في الممارسة والتطبيق ضد الفلسطينيين والعرب والمسلمين في القرن العشرين!..

٤ – القطيعة بين التراث اليهودي والشريعة الموسوية:

ونحن عندما نقول: إن هذا « التراث اليهودي » – العنصري.. الذي أعلن الحرب الدينية على كل الأغيار – لا علاقة له باليهودية الحقيقية، التي هي الشريعة الإلهية التي أوحاها اللَّه ﷻ إلى موسى عليه السلام – فإننا لا نستند – فقط – إلى القرآن الكريم، الذي يقول: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦]، ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا

---

(١) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، (ص ١٣٦ – ١٤٠).

فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٤ - ٧٦]، ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

لا نقول: إن هذا « التراث اليهودي » في التشريع للعنصرية والحرب الدينية، هو من وضع الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة.. وليس من شريعة موسى عليه السلام استنادًا، فقط، إلى القرآن الكريم، الذي أوردنا بعض آياته.. ولا نقول ذلك، فقط، استنادًا إلى المتخصصين في دراسة هذا التراث اليهودي من ثقات علماء المسلمين - ومنهم المرحوم الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين علي - أستاذ العبرية والتراث اليهودي بجامعة القاهرة الذي قال: « إنه لا يوجد بالتوراة التي بين أيدينا خبر يُشتمُّ منه أن موسى هو الذي جاء بها أو نزلت عليه، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما يؤيد عكس هذا، ومن هذه الأدلة مثلًا:

ما جاء في الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى، فبعيد البعد كله أن يكون هذا الخبر صادرًا عنه، فقد ورد في هذه الآية: « لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا ».

وفي الآية العاشرة من نفس الإصحاح جاء: « ولم يقم بعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثل موسى فكان حليمًا جدًّا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض ».

فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى، كما أن هناك زمنًا بعيدًا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التي بأيدينا..

ومن الأدلة الأخرى على ذلك: الاختلافات والتناقضات في النص: كاستعمال (يهوه) و (ألوهيم)، وبعض الألفاظ الأخرى التي نعلم أن معانيها تختلف أحيانًا حسب البيئة وحسب الزمن.. والتي لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد وفي عصر واحد:

فقصة الخلق مثلًا جاءت في سفر التكوين [١] وفيها: « كان الإنسان آخر الخلق » وعرض لنفس القصة في السفر [٢]: « فكان الإنسان هو الأول، وبعده جاءت الأشجار، فحيوانات الحقول، وطيور السماء ». الأمر الذي يجعل التوراة - كما هي الآن - وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة.

وقد استغلت في سبيل وضعها مصادر عديدة، بعضها ذكر كما هو وبعضها حُذف منه أو أضيف إليه.. ومن أدلة تعدد هذه المصادر: الاضطرابات الموجودة في بعض القصص، مثلًا قصة الطوفان: فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام (٤٠) يومًا و (٤٠) ليلة، بينما نقرأ في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع في نفس السفر أنه دام (١٥٠) يومًا..

ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية تفصل بينها وبين النسخة الأصلية التي كتبت عنها مدة تقرب من ألف عام، وفي هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شيء كثير من التغيير والتبديل.. » [٣].

إننا لا نبرئ موسى ﷺ وشريعته الإلهية من هذا « التراث » العنصري والدموي في الحرب الدينية، استنادًا - فقط - إلى القرآن الكريم، وإلى ما كتبه الثقات المتخصصون من علماء المسلمين، وإنما نستند كذلك إلى ما كتبه العلماء اليهود، الذين اشتغلوا وتخصصوا في الدراسات النقدية للعهد القديم.. والذين أعلنوا نتائج دراساتهم هذه فقالوا - ضمن ما قالوا -: « **إن هذه الأسفار المقدسة هي من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن.. فلا ارتباط بينها، سواء في أسلوب اللغة أم في طريقة التأليف.. إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب في الصحراء.. وموسى لم يكتب التوراة كلها.. وأقوال التوراة**

---

(١) الإصحاح الأول (٢٧).	(٢) الإصحاح الثاني (٤ - ٢٥).

(٣) د. فؤاد حسنين علي، التوارة: عرض وتحليل (ص ١١، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٤ - ٢٦)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٤٦م).

ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة.. ففيها ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهي:

١ - لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (في سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم.

٢ - ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق.

٣ - ولفائف أعداد الأسباط.

٤ - ولفائف باعترافات الأنبياء.

٥ - ومجموعات من روايات بيت داود.

٦ - وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم في بابل.

٧ - وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبي.

٨ - وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين (أي: القرن الثاني قبل الميلاد).

... إن سفر التكوين قد أُلِّف بعد مئات السنين من استيطان اليهود في فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط في إرث استيطانهم بزمن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجودًا - على كل حال - قبل عصر إشعيا (أي: حوالي ٧٣٤ - ٦٨٠ق.م)... أما بالنسبة لسفري الخروج والعدد، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة... وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة في التوراة، بين أنشودة موسى - الموجودة في سفر الخروج - وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد - هي في مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام وقواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات؛ حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها. وفي كل الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما. كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه... »[1].

ولو أننا ذهبنا نقتبس من هذا المصدر - الذي كتبه علماء يهود، وجمعه وحرره

(١) تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث (١/١٩٦، ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠)، وهو مجموعة من الدراسات النقدية لمجموعة من العلماء والفلاسفة اليهود، جمعها وحررها العالم اليهودي « زالمان شازار » ترجمة/ أحمد محمد هويدي، تقديم ومراجعة/ د. محمد خليفة حسن، طبعة المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة، القاهرة، سنة (٢٠٠٠م).

ونشره أحد علماء اليهود - النصوص التي تؤكد انقطاع صلة موسى عليه السلام بهذا « التراث » الذي أُلِّف وجمع على امتداد آلاف السنين - وهي النصوص التي تؤكد - من ثم - براءة موسى عليه السلام وشريعته الإلهية من هذا الفكر العنصري والدموي في الحرب الدينية - لو ذهبنا إلى ذلك لاقتبسنا عشرات الصفحات!..

إن الذين كتبوا هذا « التراث » ونسبوه إلى موسى عليه السلام لم يكذبوا فقط على موسى، وإنما ذهبوا فكذبوا على الله جل جلاله.. وذلك عندما نسبوا إلى رسوله ما لم يوح إليه.. وأيضًا عندما صاغوا أحلامهم في الغزو والإبادة « وحيًا » و « أوامر » من الله إلى موسى عليه السلام.. فالمعروف، والمجمع عليه أن موسى لم يدخل أرض كنعان، وأنه لم يقم بإبادة شعوب تلك البلاد.. ومع هذا، فلقد كتبوا في سفر الخروج - على لسان الرب - أن موسى سيدخل أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريين والحويين واليبوسيين.. وسيبيد شعوب تلك البلاد.. « **ويكون متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والأموريين والحويين واليبوسيين.. أعادي أعداءك وأضايق مضايقيك. فإن ملاكي يسير أمامك، ويجيء بك إلى الأموريين والحيثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين فأبيدهم.. احفظ ما أنا موصيك اليوم: ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين. احترز أن تقطع عهدًا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخًا في وسطك..** » [(1)].

ولو أن الرب وعد موسى وأمره بشيء من ذلك، لتحقق وعد الرب وأمره.. لكن، بما أن شيئًا من ذلك لم يحدث، فنحن أمام كذب على الله جل جلاله وعلى رسوله موسى عليه السلام.. ثم إن صورة موسى هذه تتعارض كل التعارض مع ما جاء في وصفه في الآية العاشرة من الإصحاح الرابع بسفر التثنية، من أنه: « **كان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض** »..

كل ذلك الكذب من أجل التعبير عن نزعة الحرب الدينية، وعن أحلام الإبادة لكل الأغيار..

ويزيد من غرابة هذا التعصب الحاقد والحقد المتعصب ضد الأغيار، أن مبعثه ليس رفض هؤلاء الأغيار لليهودية، وحرص الحاخامات والكهنة على هدايتهم إلى اليهودية، فهم لا يدعون أحدًا إلى دينهم الذي جعلوه احتكارًا لعنصرهم.. وإنما مبعث كل هذا

---

(١) سفر الخروج، إصحاح (١٣/٥، ١١)، وإصحاح (٢٢/٢٣، ٢٣)، وإصحاح (١١/٣٤، ١٢).

الحقد وهذه الكراهية هو أنهم أغيار، وليسوا مولودين من أمهات يهوديات، فقط لا غير!!..

إذن، نحن أمام « تراث » ديني.. و « فكر » ديني، عندما خضع للنقد الداخلي، العلمي والموضوعي، ثبتت براءة اليهودية - كشريعة إلهية - من الانحراف إلى نزعة الحرب الدينية.. فهي، ككل الشرائع الإلهية، شريعة الدعوة إلى الله بالقول اللين: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

* * *

لقد اخترعت النفوس الدموية التي كتبت أسفار العهد القديم - في ظل محنة السبي البابلي - إلهًا دمويًا متعطشًا للارتواء بدماء كل الأمم والشعوب - غير اليهود - وتحريم - أي: إبادة - كل مكونات الحياة لدى كل الأمم والشعوب - غير اليهود - فكتبوا: « **هكذا قال السيد الرب: قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر. اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم، ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحمًا وتشربوا دمًا. تأكلوا لحم الجبابرة وتشربوا دم رؤساء الأرض، كباش وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمنات باشان. وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم** » [1].

وكتبوا: « **اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها، المسكونة وكل نتائجها. لأن للرب سخطًا على كل الأمم وحُموًّا على جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح. فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائهم. ويفني كل جند السماوات.. للرب سيف قد امتلأ دمًا** » [2]!!

هكذا بلغت القسوة بالقلوب التي كتب أصحابها هذا « التراث ».. كتبوه بأيديهم، ثم قالوا هو من عند الله!..

٥ - الحرب الدينية في « التاريخ » اليهودي:

وبعد اختلاق « الفكر والتراث ».. ذهبوا إلى اختلاق « التاريخ »!.. فلم يكتفوا بهذا الذي كتبوه بأيديهم ثم قالوا هو من عند الله.. ولا بهذه الصورة البشعة التي رسموها

---

(١) سفر حزقيال، إصحاح (١٧/٣٩ - ١٩).

(٢) سفر إشعيا، إصحاح (١/٣٤ - ٦).

لله – تعالى اللَّه عمّا يكذبون – وإنما ذهبوا « فاختلقوا واقعًا » – نعم « اختلقوا واقعًا » حدثت فيه معارك هذه الحروب الدينية التي تمنوها، وتمت في هذه المعارك المتخيلة « الإبادة الإلهية » التي حلموا بها لكل من عدا اليهود.. « **لأن للرب سخطًا على كل الأمم** »!.. ولم يفكروا – وهم يكتبون هذا – أن هذه الإبادة الإلهية لكل الأمم والشعوب، لو حدثت – على النحو الذي كتبوا – لما بقي في هذا العالم غير اليهود!!..

ولقد أثبتت الدراسات التي قامت وتمت حول حروب العهد القديم هذه، أن هذا الاختلاق لواقع المعارك والحرب قد كان « إعادة إنتاج » لأخبار الحروب التي تحدثت عنها الملاحم الأسطورية في مواريث الشعوب الأخرى، فجعلها كتبة أسفار العهد القديم حروبًا لإسرائيل ضد كل الشعوب!..

ولقد أشار « روبرت كارول » في دراسته عن الحرب في العهد القديم إلى أن قصة حرب الملك « آحاب » – في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الملوك – تتفق بشكل ما مع ما صوره « هوميروس » (القرن التاسع قبل الميلاد) في الإلياذة، مع اختلافات طفيفة.. وأن هذه الصورة الدموية التي رسموها للرب، هي إعادة إنتاج للصورة الدموية للآلهة اليونانية « زيوس » و « هيرا » [(١)]!..

بل لقد اخترعوا وجودًا لمدن كنعانية، حتى يخترعوا معارك وحروبًا يتم فيها – بهذه المدن – التنفيذ والتطبيق للفكر الدموي الذي كتبوه!... فالمعركة التي قالوا: إن « يشوع بن نون » قد خاضها ضد مدينة « عاي » وملكها وأهلها، قد أثبتت الحفريات الأثرية أنه لم تكن هناك – في ذلك التاريخ – مدينة بهذا الاسم في ذلك المكان.. « لم تكن هناك مدينة تدعى عاي ولا ملك يدعى ملك عاي.. وإنما مجرد أطلال خربة يرجع تاريخها إلى (١٢٠٠) سنة ».. وكذلك الحال مع ما كتبوه عن معركة « يشوع » ضد مدينة « حاصور » [(٢)]. فلقد تم تدمير هذه المدينة في نهاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ثم أعيد بناؤها لتدمر ثانية سنة (١٢٣٠) تقريبًا.. » [(٣)].

إذن، فنحن – كما يقول « روبرت كارول » – في دراسته عن الحرب في العهد

---

(١) فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي (ص ٥٧).

(٢) إصحاح (١١/١٠ – ١٧).

(٣) فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي (ص ٦٦، ٦٧).

القديم -: « أمام نصوص بشرية عبرية، تمثل « إنتاجًا فكريًّا للمجتمعات القديمة.. ونصوص الحرب فيها إنما تنتمي إلى إنتاجات فكرية لكتاب العهد القديم أكثر من كونها أوصافًا للحرب » التي حدثت في الواقع والتاريخ! [1]..

* * *

بل إن مأساة الكذب وملهاته لتبلغ الذروة عندما نقرأ أرقام قتلى هذه الحروب الدينية، التي حلم بها « واخترع » لها « واقعًا » هؤلاء الذين كتبوا هذه الأسفار.. فلقد بلغوا بضحايا تلك الحروب المشتهاة أرقامًا ربما فاقت أرقام تعداد سكان مسرح أحداثها عدة مرات - في ذلك التاريخ القديم -.. بلغوا فيها نحو مليونين من الضحايا.. ناهيك عن الضحايا الذين لم يتم إحصاء أعدادهم - في زمن كان حال الإحصاء فيه على نحو ما يعرف الجميع -!..

وحتى نجسد للقارئ الفوارق الجوهرية والنوعية بين العقلية الإسلامية والتاريخ الحقيقي والموثق الذي صنعه المسلمون.. وبين العقلية اليهودية والتاريخ الوهمي الذي تخيلته وحلمت به.. نسوق رقم ضحايا كل الغزوات التي انتصر بها الإسلام على الشرك والوثنية، وغيّر بها مجرى التاريخ.. والتي لا يتعدى رقمها (٣٨٦) قتيلًا، هم جملة قتلى المشركين وشهداء المسلمين.. لنقارنه برقم المليونين من الضحايا في الحروب الدينية التي أورد أخبارها الكهنة في أسفار العهد القديم..

وزيادة في التوثيق، نقدم هنا جدولًا بالغزوات الإسلامية التي تمت في العصر النبوي.. وآخر بالحروب التي وردت أخبارها وأرقام ضحاياها في العهد القديم..

أما فتوحات الإسلام خارج إطار الشرك الوثني في شبه الجزيرة العربية، فلقد كانت جميعها حروب تحرير لشعوب الشرق من القهر الديني والسياسي والحضاري الذي مارسته قوى وإمبراطوريات الاستعمار البيزنطي والفارسي ضد تلك الشعوب.. ولقد دارت جميع معارك هذه الفتوحات ضد جيوش الاحتلال البيزنطي والفارسي.. ولم تدر معركة واحدة منها ضد شعوب تلك البلاد.. بل لقد حاربت شعوب تلك البلاد - وهي على دياناتها القديمة -.. مع العرب المسلمين ضد الروم والفرس.. لتحرير بلادها..ولتحرير ضميرها من القهر والاضطهاد..

---

(١) فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي (ص ٧٨).

غزوات الإسلام التي حدث فيها قتال

رقم	الغزوة	تاريخها	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	ملاحظات
١	غزوة بدر	٢هـ	٧٠	١٤	
٢	غزوة السويق	٢هـ	-	٢	
٣	بعث كعب بن الأشرف	٣هـ	١	-	
٤	غزوة أحد	٣هـ	٢٢	٧٠	
٥	غزوة حمراء الأسد	٣هـ	١	-	
٦	بعث الرجيع	٣هـ	-	٧	
٧	بعث بئر معونة	٣هـ	-	٢٧	
٨	غزوة الخندق	٥هـ	٣	٦	
٩	غزوة بني قريظة	٥هـ	-	-	الـ ٦٠٠ الذين قتلوا من بني قريظة لم يقتلوا في الحرب.. وإنما قتلوا قضاءً بالتحكيم - الذي ارتضوه - جزاءً على خيانتهم.. فلا يحسبون في قتلى المعارك..
١٠	بعث عبد الله بن عتيك	٥هـ	١	-	
١١	غزوة ذي قرد	٦هـ	١	٢	
١٢	غزوة بني المصطلق	٦هـ	-	١	
١٣	غزوة خيبر	٧هـ	٢	٢٠	

رقم	الغزوة	تاريخها	عدد قتلى المشركين	عدد شهداء المسلمين	ملاحظات
١٤	غزوة وادي القرى	٧هـ	–	١	
١٥	غزوة مؤتة	٨هـ	–	١١	
١٦	فتح مكة	٨هـ	١٧	٣	
١٧	غزوة حنين	٨هـ	٨٤	٤	
١٨	غزوة الطائف	٨هـ	–	١٣	
	المجموع		٢٠٣	١٨٣	المجموع الكلي من الجانبين ٣٨٦ (١)

(١) ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق / د. شوقي ضيف، طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٦م).

ضحايا حروب العهد القديم

رقم	عدد ضحايا غير اليهود	المصدر
١	١٢,٠٠٠ ضحايا عاي	يشوع (٢٥/٨)
٢	١٠,٠٠٠ من الكنعانيين والفرزيين	قضاة (٤/١)
٣	١٠,٠٠٠ من موآب	قضاة (٢٩/٣)
٤	١٢٠,٠٠٠ من مديان	قضاة (١٠/٨)
٥	١٠٠٠ من شكيم	قضاة (٤٩/٩)
٦	٣٠ من أشقلون	قضاة (١٩/١٤)
٧	١٠٠٠ من الفلسطينيين	قضاة (١٧/١٥)
٨	٣٠٠ من الفلسطينيين	قضاة (٢٧/١٦)
٩	٢٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول (١٤/١٤)
١٠	٢٠٠ من الفلسطينيين	صموئيل أول (٢٧/١٨)
١١	٢٢,٠٠٠ من آرام	صموئيل ثانٍ (٥/٨)
١٢	١٨,٠٠٠ من آرام	صموئيل ثانٍ (١٣/٨)
١٣	٤٠,٠٠٠ من آرام	صموئيل ثانٍ (١٨/١٠)
١٤	١٠٠,٠٠٠ من آرام	ملوك أول (٢٩/٢٠)
١٥	١٠,٠٠٠ من أدوم	ملوك ثانٍ (٧/١٤)
١٦	١٨٥,٠٠٠ من آشور	ملوك ثانٍ (٣٥/١٩)
١٧	١,٠٠٠,٠٠٠ من الكوشيين	أخبار الأيام الأول (٩/١٤، ١٣)
١٨	٥٠٠ من الفرس	إستير (٥/٩)
١٩	٧٥,٠٠٠ من الفرس	إستير (١٦/٩)
٢٠	٣٠٠ من الفرس	إستير (١٥/٩)

مجموع الضحايا من غير اليهود = ١,٦٣٥,٦٥٠

رقم	عدد ضحايا اليهود في حروبهم الداخلية أو مع الأجانب	المصدر
٢١	٤٢,٠٠٠ من أفرايم	قضاة (٦/١٢)
٢٢	٢٢,٠٠٠ من إسرائيل	قضاة (٢١/٢٠)
٢٣	١٨,٠٠٠ من إسرائيل	قضاة (٢٥/٢٠)
٢٤	٢٥,٠٠٠ من بنيامين	قضاة (٣٢/٢٠)
٢٥	٣٠ من إسرائيل	قضاة (٣٩/٢٠)
٢٦	١٨,٠٠٠ من بنيامين	قضاة (٤٢/٢٠)
٢٧	٢,٠٠٠ من بنيامين	قضاة (٤٥/٢٠)
٢٨	٤,٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل أول (٢/٤)
٢٩	٣٠,٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل أول (١٠/٤)
٣٠	٥٠,٠٧٠ من بيتشمن	صموئيل أول (١٩/٦)
٣١	٨٥ من الكهنة	صموئيل أول (١٩/٢٢)
٣٢	٢٠ من عبيد داود	صموئيل أول (٣٠/٢)
٣٣	٣٦٠ من رجال أبنير	صموئيل أول (٣٠/٢)
٣٤	٢٠,٠٠٠ من إسرائيل	صموئيل ثانٍ (٧/١٨)
٣٥	٤٢ من إخوة أخزيا	صموئيل ثانٍ (١٣/١٠)
٣٦	٥٠ من الجلعاديين	صموئيل ثانٍ (٢٥/١٥)
٣٧	١٢٠,٠٠٠ من يهوذا	أخبار الأيام الثاني (٦/٢٨)
٣٨	٧٠ من إخوة أبيمالك	قضاة (٥/٩)

مجموع الضحايا من اليهود = ٣٥٢,٨٢٧

والمجموع الكلي للضحايا - المحصاة - من الجانبين = ١,٩٨٨,٤٧٧ قتيلًا [١]!

---

(١) فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي (ص ١٨٩ - ١٩١).

تلك هي حقيقة الانحراف اليهودي نحو الحرب الدينية.. والتراث اليهودي الحالم بإبادة الآخرين، والمشتهي لإبادة كل الأغيار.. والصياغات الفكرية.. والخيالات والأمنيات اليهودية في هذا الميدان..

فالرب، في هذا التراث، هو « رب الجنود » « المحارب ».. و « الساخط على كل الأمم » - غير اليهود.. شعبه المختار.. والمقدس.. دون كل الشعوب وفوق جميع الشعوب - وهو الذي يبيد كل الأمم، ويدفعهم للذبح « **فقتلاهم تطرح، وجيفهم تصعد نتانتها، وتسيل الجبال بدمائهم، ويغني كل جند السماوات للرب الذي امتلأ سيفه دمًا »!.. وهو قد اختار اليهود « ليأكلوا كل الشعوب أكلًا.. دون أن تشفق عليهم الأعين أو أن يقطعوا لهذه الشعوب عهدًا »!**

وهو « تراث وتاريخ » ننزه اللّه ﷻ، وننزه رسوله موسى ﵇ وننزه شريعة اليهودية الحقة عن هذا الذي كتبوه.. وصدق اللّه العظيم: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

* * *

ولقد تم إحياء هذا « التراث » على يد الحركة الصهيونية الحديثة - التي عقدت حلفًا غير مقدس مع الإمبريالية الغربية - لا لتقف الحرب والإبادة عند الخيالات والتمنيات - كما كان الأمر قديمًا - وإنما لتوضع هذه الإبادة - للفلسطينيين والعرب والمسلمين - في الممارسة والتطبيق!.. ولينفذ الجنود الصهاينة - في الأرض العربية المحتلة - فتاوى الحاخامات - التي تطبعها الدولة الصهيونية - والتي تُطبق على العرب « التراث » الذي اخترعه الكهنة والحاخامات لإبادة العماليق.. فإلههم « يهوه » ساخط على كل الأمم، ومتعطش للارتواء بالدماء!..

وإلى الذين يمارون في أن الكيان الصهيوني القائم على أرض فلسطين الآن إنما يحيي ويمارس هذا « التراث اليهودي في الحرب الدينية »، نشير إلى الدراسة التي قام بها العالم « هـ. تامارين » بواسطة « الاستفتاء الذي أجراه في عدد من مدارس تل أبيب والمدن والمستعمرات الإسرائيلية، حول الأساليب التي انتهجها « يشوع بن نون » (في القرن الثالث عشر قبل الميلاد).. فتوصل إلى أن نحو (٦٦٪ - ٩٥٪) من

تلاميذ هذه المدارس قد أيدوا إبادة يشوع لكل من عدا اليهود.. وأن (٣٠٪) من التلاميذ يؤيدون بصورة قطعية إبادة السكان العرب تمامًا في المناطق المحتلة من فلسطين.. ومن الأجوبة التي تلقاها « هـ. تامارين »: « **لقد تصرف يشوع بن نون تصرفًا حسنًا بقتله جميع سكان أريحا؛ ذلك لأنه كان من الضروري احتلال البلاد كلها، ولم يكن لديه وقت لإضاعته مع الأسرى** »!

وثمة إشارات عديدة في أدبيات الجماعات الصهيونية المتدينة - مثل « جوش إيمونيم » و « كاخ » - إلى « يشوع بن نون »، وإلى أن أسلوبه في الإبادة هو الأسلوب الأمثل في التعامل مع العرب.. وقد دعا « كاهانا » - رئيس جماعة « كاخ » المؤسسة الدينية اليهودية - إلى تبيان أن أسلوب « يشوع بن نون » في الإبادة لكل غير اليهود، هو جزء عضوي من الدين اليهودي، والرؤية اليهودية لسكان الأرض العربية من غير اليهود! [1].

هذه هي الحرب الدينية في التراث اليهودي.. وهذا هو الإحياء لهذا التراث.. وممارسة نزعة الإبادة لكل الأغيار ضد الفلسطينيين والعرب والمسلمين.

٦ - منهاج الدعوة في النصرانية:

إن رفض النصرانية، التي جاء بها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام للعنف وللحرب - دينية وغير دينية - لا يحتاج إلى حديث كثير.. فهي شريعة الصوفية المسالمة، والسلام الصوفي، التي بلغت في السلام والمسالمة حدودًا ربما عزّت على التطبيق خارج دائرة خواص الخواص.. فلقد جاءت النصرانية لتعالج « التراث اليهودي » - وليس الدين اليهودي والشريعة الموسوية - الذي وصل على طريق المادية والعنف وقسوة القلوب وغلظ الأعناق والأقفية حدودًا أخرجت هذا « التراث » - وتطبيقاته - عن منهاج موسى عليه السلام.. فكان هذا السلام، في النصرانية، على هذا النحو المغالي في المسالمة، علاجًا للتراث اليهودي المغالي في العنف والمادية، قصدًا إلى الوصول إلى صيغة وسطى ومتوازنة بين هذين النموذجين المتقابلين والمتناقضين..

وفي هذه الحقيقة السر والتفسير للوصايا الإنـجيلية، التي ذهبت على درب السلام

---

(١) د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٤١/٤، ١٤٢)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٩م).

والمسالمة إلى حد القول: « **سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضًا. ومن سخّرك ميلًا واحدًا فاذهب معه اثنين.. سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات** » [1]..

هكذا بدأت وظلت منهجية الدعوة في النصرانية: السلام المتصوف.. والصوفية المسالمة.. وخلاص النفوس.. وتقوى القلوب.. وإدارة الظهر للدنيا والدولة والسياسة والاجتماع، على النحو الذي يباعد بين عالم النصرانية وبين هذا العالم المعيش، بما فيه من دولة ونظم وقوانين وإدانة وعقاب، فضلًا عمًّا في هذا العالم المعيش من عنف وحرب وقتال.. فمملكة النصرانية ليست في هذا العالم.. وذروة سنام النصرانية الرهبنة، التي تجعل الراهب يغادر المعيش!..

٧ - الحرب الدينية في تراث النصرانية الغربية:

لكن.. كما حدث مع اليهودية، جاء « التراث النصراني » - وبالذات تراث النصرانية الغربية - انقلابًا على هذا المنهاج الصوفي المسالم الذي جاء به المسيح عليه السلام..

ونحن نقول: « تراث النصرانية الغربية »؛ لأنه لا بد من التمييز القاطع بين النصرانية الشرقية والنصرانية الغربية.. فالنصرانية الشرقية ظلت طوال تاريخها وفيّة للمبدأ النصراني: « دع ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه »، فلم تدخل ميدان السياسة والدولة والسلطة، وإنما وقفت كنائسها عند خلاص الروح ومملكة السماء.. ومن ثم فإنها لم تمارس العنف القتالي ولا الحروب الدينية، بل لقد كانت في قرونها الأولى - السابقة على ظهور الإسلام وتحريره للشرق - ضحية للاضطهاد الديني الذي مارسه ضدها الرومان، في عصر وثنيتهم، وفي عصر نصرانيتهم على السواء، وهو اضطهاد قارب حد الإبادة، ومع ذلك اتخذت هذه النصرانية إزاء هذا الاضطهاد موقف المسالمة واللاعنف، على نحو فريد.. ولم يحدث في تاريخ هذه النصرانية الشرقية، اللجوء إلى العنف، اللّهم إلا ضد الوثنية المصرية ومعابدها وفلاسفتها في

---

(١) إنجيل متى، إصحاح (٥/٣٨ - ٤١، ٤٣ - ٤٥).

مرحلة من مراحل التاريخ.. أما حال النصرانية الغربية وكنائسها، فكان مختلفًا - في هذه القضية - كل الاختلاف..

فمنذ دخول النصرانية - على يد بولس - إلى العاصمة الرومانية - روما - ودولتها، تحولت عن طبيعتها الروحية الخالصة، والصوفية المسالمة، لتصبح جزءًا من الحضارة الغربية، ذات الجذور اليونانية، التي تعتمد فلسفة القوة، والطابع المادي.. ولقد عبرت عن هذا التحول الكيفي والنوعي للنصرانية في الغرب، تلك الكلمات العميقة التي قالها الفيلسوف المعتزلي قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني (٤١٥هـ/١٠٢٤م): « **إن النصرانية عندما دخلت روما، لم تتنصر روما، ولكن النصرانية هي التي تروّمت** »!

ومنذ ذلك التاريخ، غدت النصرانية الغربية جزءًا من التراث الحضاري الغربي أكثر مما أصبح هذا التراث الحضاري الغربي نصرانيًا، بالمعنى الروحي والصوفي والسلمي للنصرانية الأولى..

* * *

• ولقد مارست كنيسة هذه النصرانية الغربية، ومعها الدولة الرومانية والبيزنطية - بعد تدين هذه الدولة بالنصرانية - مارستا حربًا من الاضطهاد البشع ضد النصرانية الشرقية، والمصرية منها على وجه الخصوص.. حتى لقد اعتبر النصارى المصريون هزيمة الدولة البيزنطية أمام الفتح الإسلامي عقابًا إلهيًا لهذه الدولة وكنيستها على الاضطهاد الذي مارسوه ضد نصارى مصر، عندما أصبحوا - في هذا الاضطهاد الديني والحضاري - طعامًا للنار والأُسُودِ وأسماك البحار!.. وصبت عليهم كل ألوان التعذيب!.. فكتب « ميخائيل السرياني » يقول: « **لم يسمح الإمبراطور لكنيستنا المونوفيزتية: (أي: القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح) بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا فقد انتقم الرب منه.. لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل (أي: العرب المسلمون) لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام** » [1].

---

(١) د. صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي (ص ٦٢)، طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠١م).

فبسبب اختلاف المذهب، وقفت الكنيسة الرومانية مع دولتها الاستعمارية، ومارست القهر الديني والحضاري للنصارى الشرقيين..

* * *

• كذلك شنت الكنيسة الغربية ضد الشرق الإسلامي حربًا صليبية « مقدسة » استمرت حملاتها قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ/١٠٩٦ - ١٢٩١م) وأشركت فيها الملوك وأمراء الإقطاع والرعاع من سائر أنحاء أوروبا - حتى لكأنها أولى الحروب العالمية التي مارسها الغرب ضد الشرق! - وفي هذه الحرب الصليبية استخدمت الكنيسة الدين لتحقيق المقاصد الاستعمارية، ولإعادة اختطاف الشرق من التحرير الإسلامي الذي أنقذ الشرق ونصرانيته من إبادة الاضطهاد « الإغريقي - الروماني » الذي دام عشرة قرون - من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - إلى الفتوحات الإسلامية - في القرن السابع للميلاد -..

إنها حرب قادتها الكنيسة، وأعلنها البابا الذهبي « أوربان الثاني » (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) عندما خاطب فرسان الإقطاع الأوربيين سنة (١٠٩٥م) في « كلير مونت » بجنوبي فرنسا - قائلًا: « **يا من كنتم لصوصًا كونوا اليوم جنودًا! لقد آن الزمان الذي فيه تحوّلون ضد الإسلام تلك الإسلحة التي أنتم لحد الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض.. فالحرب المقدسة المعتمدة الآن.. هي.. في حق اللّه عينه.. وليست هي لاكتساب مدينة واحدة.. بل هي أقاليم آسيا بجملتها، مع غناها وخزاينها العديمة الإحصاء..**

فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلّصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض - حسب ألفاظ التوراة - تفيض لبنًا وعسلًا.. ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة، والأمكنة المخصبة المشابهة فردوسًا سماويًّا..

اذهبوا وحاربوا البربر (يقصد المسلمين!) لتخليص الأراضي المقدسة من استيلاتهم.. امضوا متسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية (أي مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا!) واكتسبوا بها لذواتكم خزاين المكافآت السماوية الأبدية. فإذا أنتم انتصرتم على أعدايكم، فالملك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا.

وهذا هو الحين الذي فيه أنتم تفدون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا..

ومن حيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلمًا فاغسلوها بدم غير المؤمنين » [١].

فهي حرب « دينية - استعمارية »، يذهب إليها فرسان الإقطاع الأوروبيون، اللصوص المصطبغة أيديهم بدماء المظلومين، ليغسلوا أيديهم بدماء المسلمين!!.. وهم في حملاتهم الصليبية المقدسة هذه، يحملون مفاتيح الجنة - المفاتيح البطرسية - التي صنعها لهم البابا الذهبي « أوربان الثاني » - ليفتدوا أنفسهم من كثرة الاعتصابات التي مارسوها عدوانًا.. وأيضًا ليتملكوا ويرثوا - بهذه الحرب « المقدسة » - التي هي « في حق اللّه عينه » - أي: في سبيل الذات الإلهية! حسب تعبير البابا - كل أقاليم آسيا ذات الخزائن الغنية التي تفوق الإحصاء، والتي تفيض لبنًا وعسلًا!!.. والتي تشابه في الخصوبة فردوسًا سماويًّا!!..

هكذا تحولت المقاصد الدينية المقدسة إلى سبل وآليات وطاقات شحن لتحقيق الاستعمار والنهب والاستغلال.. وأصبحت الآخرة في خدمة لصوص الدنيا.. وحملت الأيدي المخضبة بدماء المظلومين مفاتيح الفردوس الإلهي الأعلى!..

وفي موقعة احتلال الصليبيين لمدينة القدس وحدها سنة (١٠٩٩م) تمت مجزرة الإبادة الكاملة لسكانها المسلمين - ومعهم اليهود - بالقتل والذبح والإحراق.. ونحن ننقل عن شهود العيان النصارى، الذين حفظت لنا مشاهداتهم المصادر النصرانية، لمحة من لمحات هذه الحرب الدينية النصرانية على الإسلام والمسلمين. تقول هذه الشهادات - في كتاب (تاريخ الحروب المقدسة في الشرق، المدعوة حرب الصليب): **« إن ديوان المشورة العسكرية الْتَيَم (أي: اجتمع) وقطع حكمًا مرهبًا، وهو: أن يُمات كل مسلم باقٍ داخل المدينة المقدسة.. وهذا الحكم المهيل قد تباشر بالعمل.. ودامت هذه الملحمة مدة سبّت (أي: سبعة أيام) كاملة »!!..**

وحتى الذين هربوا واحتموا بالمسجد - مسجد عمر بن الخطاب (قبة الصخرة) - ذبحهم الصليبيون في المسجد.. وبعبارة شهود العيان: «.. **على أنه باطلًا (أي: عبثًا) كان الإسلام (أي: المسلمون) في أورشليم يجدّون مفتشين عن مهرب يحمون به حياتهم.. فعدد كلّي منهم قد هربوا إلى جامع عمر ظانين أنهم هناك يحمون ذاتهم من الموت، ولكن ظنهم خاب؛ إذ إن الصليبيين - خيالة ومشاة - قد دخلوا الجامع المذكور،**

---

(١) مكسيموس مونروند، تاريخ الحرب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب (٤١٣/١)، ترجمة/ مكسيموس مظلوم، طبعة أورشليم، سنة (١٨٦٥م).

وأبادوا بحد السيف كل الموجودين هناك.. حتى استوعب الجامع من الدم بحرًا متموجًا، علا إلى حد الركُب، بل إلى لُـجم الخيل.. وذلك مما فتكت به سيوف الجيوش الصليبية أرقاب (أي: رقاب) الإسلام (أي: المسلمين).. » [1].

وبعد أن « **كلّت أيدي الصليبـيين من سفك الدماء** »!! – كما يقول مؤلف هذا الكتاب: رجل الدين النصراني « مكسيموس مونروند » – ذهبوا إلى كنيسة القيامة – التي حررها عمر بن الخطاب، وتحرج أن يصلي فيها، كي تظل خالصة للنصرانية والنصارى – ذهب الصليبيون إلى كنيسة القيامة، وهم سكارى، يرددون الصلوات، وأيديهم غارقة في دماء المسلمين الذين ذبحوهم في مسجد عمر بن الخطاب!!.. وبعبارة شهود العيان النصارى: « **.. ولما حل المساء، اندفع الصليبيون يكون من فرط الضحك (!!) بعد أن أتوا على نبيذ المعاصر (!!). إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم الغارقة في الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات..** »!!

ثم كتبوا إلى البابا الذهبي « أوربان الثاني »، الذي صنع لهم مفاتيح الجنة لقاء هذا الذي صنعوا بالإسلام والمسلمين.. فقالوا: « **يا ليتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهي تسبح في دماء الكفار (أي: المسلمين).. »!!**

وإذا كانت هذه شهادة نصرانية قديمة، تؤكد على توسل الكنيسة الغربية بالدين لإعادة اختطاف الشرق من الإسلام، لنهب ثرواته.. فإن شهادة نصرانية معاصرة تؤكد – هي الأخرى – على الطابع الديني لهذه الحرب الصليبية – التي دامت قرنين ضد الإسلام – وفي هذه الشهادة المعاصرة يقول الدكتور « جاك تاجر »: « **إن ضخامة الوسائل التي أعدها الصليبيون، وتعدد هجماتهم، تدل بلا شك على أن الحروب الصليبية كانت محاولة لمحو نفوذ الإسلام في الشرق، فقد شنت هذه الحرب أول ما شنت لانتزاع حماية القبر المقدس من الخلفاء، ولكنها ما لبثت أن تحولت إلى قتال عام بين جيوش الإسلام وجيوش المسيحية، أي: بين الشرق المسلم والغرب المسيحي** » [2].

* * *

---

(١) مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب (١/١٧٢، ١٧٣).

(٢) د. جاك تاجر، أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة (١٩٢٢م) (ص ١٥٣)، طبعة مصورة، أصدرها أقباط المهجر، مدينة جرسي، أمريكا، سنة (١٩٨٤م).

• وصفحة أخرى - دامية - من صفحات الحروب الدينية للكنيسة الغربية، تلك التي تمثلت في نشر النصرانية بحد السيف، وإبادة كل من لم يتدين بدين الملك أو الأمير الذي اعتنق النصرانية!..

- فالملك « شارلمان » (٧٤٢ - ٨١٤ م) فرض النصرانية على السكسونيين بحد السيف!..

- وفي الدنمارك، استأصل الملك « كنوت - Cnut » (٩٩٥ - ١٠٣٥م) الديانات غير المسيحية من بلاده بالقوة والإرهاب!..

- وفي روسيا فرض الأمير « فلاديمير - Vladimir » (٩٨٠ - ١٠١٥م) المسيحية الأرثوذكسية على كل الروس غداة اعتناقه لها سنة (٩٨٨م)!

- وفي الجبل الأسود، ذبح « دانيال بيتروفيتش - D.Petrovich » غير المسيحيين - بمن فيهم المسلمون - ليلة عيد الميلاد سنة (١٧٠٣م)!.

- وفي المجر أرغم الملك « شارل روبرت » (١٣١٦ - ١٣٧٨م) غير المسيحيين على التنصر أو النفي من البلاد سنة (١٣٤٠م)!.

- وفي إسبانيا - قبل الفتح الإسلامي لها - أقسم الملوك على التنفيذ بالقوة لقرار « المجمع الكنسي السادس » - في طليطلة - تحريم كل المذاهب المخالفة للمذهب الكاثوليكي!..

* * *

• أما الحروب الدينية التي قادتها وخاضتها الكنائس الغربية بعضها ضد البعض الآخر - أي: في داخل النصرانية، وبين أتباع مذاهبها، التي أصبح لكل مذهب فيها « قانون للإيمان » يحتكر الخلاص لأبناء المذهب دون سواهم - هذه الحروب التي اشتعلت لإبادة المخالفين في المذهب، أو إكراههم على تغيير عقيدتهم.. فإنها شهيرة، حتى لقد مثلت « عصرًا » من عصور الحضارة الغربية!.. وهي قد امتدت أكثر من قرنين، بين الكاثوليك وبين البروتستانت.. واشتهر منها إحدى عشرة حربًا: (١٥٦٢ - ١٥٦٣م) و (١٥٦٧ - ١٥٦٨م) و (١٥٦٩ - ١٥٧٠م) و (١٥٧٢ - ١٥٧٣م) و (١٥٧٤ - ١٥٧٦م) و (١٥٧٦ - ١٥٧٧م) و (١٥٨٠م) و (١٥٨٥ - ١٥٩٤م) و (١٥٨٦م) و (١٦٢١م) و (١٦٢٥ - ١٦٢٩م)..

ولقد ذهب ضحية لهذه الحروب (٤٠٪) من سكان وسط أوروبا.. ووفق إحصاء « فولتير » (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) عشرة ملايين إنسان!..

وذلك غير حرب الكنيسة اللاتينية الغربية ضد كنيسة أياصوفيا اليونانية - بالقسطنطينية - (١٢٠٢ - ١٢٠٤م)، والتي تم فيها التدمير والاحتلال والسلب والنهب لمملكة القسطنطينية بأسرها! [١]..

* * *

• أما صفحة الحرب الدينية التي أعلنتها وخاضتها الكنائس الغربية، باسم « محاكم التفتيش » عندما أعلنت أن « **خلاص** » **المخالفين إنما يتحقق** « **بتخليصهم من الحياة** »!، بعد صب صنوف العذاب عليهم!!.. فلقد دامت هذه الحرب البشعة من عهد البابا « إنوسنت الثالث » (١١٩٨ - ١٢١٦م) - في القرن الثالث عشر الميلادي - حتى القرن السابع عشر!!.. وغطت جميع ممالك وإمارات النصرانية الغربية.. وذهب ضحيتها ملايين الضحايا، الذين حكمت عليهم الكنيسة « بالخلاص: الذي يخلّصهم من الحياة » بالإغراق.. أو الإحراق.. أو الإعدام على الخازوق - الذي استمر عقوبة للمخالفين ثلاثة قرون!! [٢]..

* * *

• أما أحداث صفحات وموجات هذه الحروب الدينية الغربية ضد الإسلام وأمته وعالمه، فهي تلك التي أعلنها اليمين الديني الأمريكي، في الإدارة الأمريكية، بقيادة « جورج بوش - الصغير »، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة (٢٠٠١م) - في أمريكا..

وهي حرب تستهدف بترول الشرق الإسلامي - من منطقة البحيرات الأفريقية إلى

---

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة (٤/٣/٦)، ترجمة/ د. عبد الحميد يونس، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧١م - ١٩٧٢م)، (٤٦/٤/٤ - ٥٣)، وسير توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام (ص ٣٠ - ٣٢، ٧٢، ٧٣، ١٢٢ - ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٥٤ - ١٥٦، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦)، ترجمة/ د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٠م).

(٢) د. توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام (ص ٧٠ - ١١٢)، طبعة القاهرة، سنة (١٤١٢هـ/١٩٩١م).

بحر قزوين، مرورًا بالعراق والخليج العربي – لتحقيق الهيمنة الأمريكية على العالم، وانفراد الإمبريالية الأمريكية بالزعامة – دون شريك – في القرن الواحد والعشرين.. ويقودها اليمين الديني الأمريكي، برؤية توراتية، توحد بين هذا اليمين البروتستانتي وبين اليمين اليهودي والصهيوني..

وإذا كان الجميع مجمعين على استهداف هذه الحرب الاستيلاء على مصادر الطاقة، للانفراد بالهيمنة على العالم.. فإن الطابع الديني لهذه الحرب على الإسلام والمسلمين تقوم عليه شواهد وأدلة وحقائق عديدة.. وإذا كان البعض يماري في هذا البعد الديني لهذه الحرب الاستعمارية، فإننا نسوق عددًا من الأدلة والبراهين التي تدحض هذه المماراة.. ونقف في هذه الأدلة والبراهين عند أقوال الغربيين، واعترافات الأمريكيين، لتكون شهادات شهود من أهلها على هذا الطابع الديني لهذه الحرب الاستعمارية – التي أعلنها اليمين الديني الأمريكي، بقيادة « بوش الصغير »، على العالم الإسلامي – عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر سنة (٢٠٠١م).. وقبل بدء التحقيق في هذه الأحداث – التي انتهى التحقيق فيها دون توجيه أي اتهام قانوني لأي متهم من المتهمين –!!..

– لقد وصف « جورج بوش – الصغير » هذه الحرب في (١٦) سبتمبر سنة (٢٠٠١م) بأنها « **حملة صليبية** » وهي عبارة لمعناها في العقل المسلم تاريخ – ثم جرت محاولات – غربية.. ومتغربة! – للتخفيف من وقع هذه العبارة على العالم الإسلامي، بالقول: إنها « زلة لسان »!..

لكن تداعيات الوقائع والأحداث، في هذه الحرب الممتدة، قد جعلت حتى الفاتيكان – وهو أكبر كنائس النصرانية – يعلن – من خلال إذاعته الرسمية، التي تذيع بتسع وثلاثين لغة، وعلى لسان مدير هذه الإذاعة الرسمية الأب « باسكوالي بور جوميو » – يعلن أن الإدارة الأمريكية، في حملتها على العراق، تتصرف « بلهجة ومواقف صليبية » فيقول: « **في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى التعقل، ويشجع العمل الدبلوماسي، ويدافع عن الحق الدولي، نرى في الجانب الآخر قوة عظمى تقودها إدارة خولّت إلى نفسها مهمة إنقاذية (مقدسة) واتخذت لهجة ومواقف صليبية** »! [(١)]..

---

(١) صحيفة الحياة، لندن في (٢٩ – ٢ – ٢٠٠٣م).

كما صرح مصدر رفيع، في الفاتيكان، « **بأن الحرب الأمريكية على العراق ستفسر من قِبَل ملايين المسلمين في العالم الإسلامي بأنها حرب صليبية جديدة.. »**.

أما بابا الفاتيكان « يوحنا بولس الثاني » فلقد أعلن: « **أنني أخشى أن تثير الحرب على العراق صراعًا دينيًا.. بين المسيحيين والمسلمين** »..

أما الكاردينال « بيولاجي » - مندوب البابا في المساعي الديبلوماسية لتجنب الحرب ضد العراق - فلقد أعلن: « **إنها حرب ستقودنا إلى مستقبل مظلم سيقوض فرص الحوار بين المسيحية والإسلام** » [1]..

أما الأنبا « يوحنا قلته » - نائب البطرك الكاثوليكي في مصر - فلقد أعلن: « **أن بوش يستخدم المسيح درعًا والصليبية ثوبًا للدفاع عن مصالح أمريكا المادية.. وأنه كان يقصد تمامًا معنى عبارة « الحملة الصليبية ».. ولم تكن أبدًا زلة لسان** » [2]..

فهي « حرب صليبية » أعلنها ويقودها اليمين الديني الأمريكي.. بشهادة الفاتيكان - أكبر كنائس النصرانية، في الشرق والغرب -..

- ولقد أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق « جيمي كارتر » عن العقيدة الدينية - « المسيحية - الصهيونية » - التي تقود الإدارة الأمريكية - إدارة « بوش - الصغير » - في هذه الحرب، عندما قال: « .. **كمسيحي وكرئيس استفزته الأزمات الدولية بشدة، أصبحت على معرفة عميقة بالمبادئ التي تستند إليها أي حرب عادلة. ومن الواضح أن أي هجوم انفرادي على العراق لا يلبي متطلبات هذه المعايير. وهذه هي تقريبًا القناعة على مستوى العالم كله بين الزعماء الدينيين، مع استثناء واحد يتمثل « بمؤتمر معمداني الجنوب » - « ساوثيرن بابتيست كونفنشون ». وهؤلاء معروفون بالتزامهم تجاه إسرائيل من منطلقات ثيولوجية ضيقة تستند إلى فكرة آخر مرحلة حياتية قبل حلول الدينونة** » [3]..

- أما السيناتور « إدوارد كنيدي » والسيناتور « بابريك ليهي »، فلقد أعلنا: **أن الإدارة الأمريكية مدفوعة إلى هذه الحرب « بحماسة مسيحية »** [4]..

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، لندن في (٨ - ٣ - ٢٠٠٣م)، مقال الأستاذ زين العابدين الركابي.

(٢) صحيفة العربي، القاهرة في (١٦ - ٣ - ٢٠٠٣م).

(٣) صحيفة الشرق الأوسط، لندن في (١٠ - ٣ - ٢٠٠٣م).

(٤) صحيفة الحياة، لندن في (١٥ - ٣ - ٢٠٠٣م).

ولقد كتبت « النيوزويك » - الأمريكية عن « بوش - الصغير » (حامل البشارة)، فقالت: **إنه يؤمن « أن حربه على العراق ستكون حربًا عادلة وفق المفهوم المسيحي كما شرحها القديس أغسطين - في القرن الرابع - وفصلّها كل من توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) ومارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) وآخرون ».**

وأنه عندما استخدم مصطلح « الأشرار » في وصف خصومه، قد « نبش هذه الكلمة مباشرة من المزامير » و « أنه يفكر في سياسة خارجية تستند إلى الإيمان.. ويفكر في حرب باسم الحرية المدنية - بما في ذلك الحرية الدينية - في القلب القديم للإسلام العربي.. ويحظى بدعم قوي من قاعدته في الجناح السياسي للمؤتمر المعمداني الجنوبي، من أمثال « ريتشارد لاند » و « فرانكلين جراهام » - الأب الروحي لبوش - والذي سب رسول الإسلام، ويندد بالإسلام باعتباره إيمانًا عنيفًا وفاسدًا!.. **ولا يخفي - مع المبشرين الإنجيليين - رغبتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية، حتى - لا، بل لا سيما - في بغداد »!** [1].

هذا ما كتبته « النيوزويك » - الأمريكية - قبل شن الحرب على العراق..

أما الـ « نيويورك تايمز »، فإنها كتبت مقالين - في (٥، ٦ - ٤ - سنة ٢٠٠٣م) - أي: في ذروة الحرب على العراق - عن انخراط المبشرين الإنجيليين، تحت قيادة الآباء الروحيين « لبوش »، في الحملة الأمريكية على العراق، بصحبة القوات الأمريكية الغازية،.. **الأمر الذي « صبغ الحرب على العراق بصبغة الحروب الصليبية. وأن من بين تلك الجماعات التبشيرية المصاحبة للجيش الأمريكي مبشرين تابعين للكنيسة المعمدانية** والكنيسة المنهجية، وكلتا الكنيستين كانت ضمن أهم الجماعات التي دعمت الرئيس بوش.. **وهناك (٨٠٠) مبشر تطوعوا لمصاحبة الجيش الأمريكي الزاحف على العراق، لتقديم الدعم الروحي والمادي للشعب العراقي.. ومن بين هؤلاء المبشرين « فرانكلين جراهام »، الذي دشن حفل تنصيب جورج بوش رئيسًا.. ووالده « بيل جراهام »، الذي أثار عاصفة داخل المجتمعات الإسلامية عندما وصف النبي محمدًا بأنه إرهابي ووثني.. ولقد أعلن المبشر « فرانكلين جراهام » - في القاعدة الأمريكية في الكويت -: « لقد جئت إلى هنا تمهيدًا لدخول العراق. فرغم أن نسبة المسلمين في العراق تشكل (٩٧٪)**

---

(١) مجلة النيوزويك الأمريكية، عدد (١١ - ٣ - ٢٠٠٣م).

من إجمالي تعداد السكان، إلا أننا يجب ألا ننسى أن المسيحية سبقت الإسلام في دخول العراق.. إنني هنا لدعم مسيحيي العراق، لكننا في الوقت ذاته نخطط لتقديم الدعم للمسلمين، ليس باسمنا، ولكن باسم الرب ».

أما والد هذا المبشر – القس « بيل جراهام » فهو الأب الروحي لجورج بوش، الذي قال عنه بوش: إنه الرجل الذي قادني إلى الرب.. وهو الذي جعل بوش يواظب يوميًا على القراءة في كتاب القس « أوزوالد شامبرز »، الذي مات سنة (١٩١٧م) وهو يعظ الجنود البريطانيين والإستراليين بالزحف إلى القدس وانتزاعها من المسلمين »!! [١]..

– أما وزير العدل الأمريكي – نعم العدل! – « جون أشكروفت » فلقد تجاوز الحدود، فسب إله العالمين، الذي يعبده المسلمون، لا يشركون به أحدًا.. فقال: « **إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب اللَّه فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل الإله** »!! [٢].

وهو، بهذا الذي قاله، يضلل الناس عن حقيقة ثقافة « الشهادة.. والاستشهاد » الإسلامية، التي تدعو إلى التضحية بالمال والنفس في سبيل المقدسات التي أجمعت عليها منظومات القيم الإنسانية – الدينية والوضعية – والتي أشار إليها الحديث النبوي الشريف: « **من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد** » [٣].. فثقافة الشهادة والاستشهاد – الإسلامية – هي ثقافة رد العدوان.. نعم.. لقد أجمعت كل ثقافات الفطر الإنسانية السوية على ضرورة الاستشهاد في سبيل حماية هذه المقدسات، اللهم إلا ثقافة الجبناء، الذين هم أحرص الناس على حياة، فلا يتقدمون إلا للعدوان على الأوطان والمقدسات!..

– أما مفكر الإستراتيجية الأمريكية « صموئيل هنتنجتون »، فلقد وضع – بعد ١١ سبتمبر سنة (٢٠٠١م) – القضية في صورة الصدام بين الغرب وبين العقيدة والقناعات الإيمانية للإسلام، فقال: « **إن عناصر صدام الحضارات متوافرة، وإن ردود**

---

(١) ونحن ننقل ترجمة مقالي الـ (نيويورك تايمز) عن صحيفة الأسبوع، القاهرة في (١٤ – ٤ – ٢٠٠٣م).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، لندن في (٢١ – ٢ – ٢٠٠٢م).

(٣) رواه الترمذي.

الفعل تجاه أحداث (١١ سبتمبر) تمت في حدود الخطوط والأطر الحضارية بشكل صارم.. والصحوة الإسلامية هي رد فعل تجاه الحداثة والتحديث والعولمة.. ومع ذلك، فإن عصر حروب المسلمين له جذوره في أسباب أكثر عمومية، وهذه الأسباب تعني العقيدة الإسلامية والقناعات الإيمانية في الإسلام »! [١] .

- وفي نفس التاريخ يكتب المفكر الإستراتيجي الأمريكي « فرانسيس فوكوياما » فيقول: **« إن الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب.. ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية.. التي تقف ضد الحداثة الغربية.. وضد الدولة العلمانية.. وهذه الأيديولوجية الأصولية تمثل خطرًا أكثر أساسية - في بعض جوانبه - من الخطر الذي شكلته الشيوعية.. والمطلوب هو حرب داخل الإسلام.. حتى يقبل الحداثة الغربية.. والعلمانية الغربية.. والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه »!** [٢]..

* * *

تلك شهادات أمريكية على « البعد الديني الصليبي » في هذه الحرب التي أعلنها اليمين الديني الأمريكي على الإسلام والمسلمين..

صحيح أن الهدف الأول لهذه الحرب هو الاستيلاء على مصادر الطاقة - التي يملك العراق وحده منها مخزونًا إذا قيس بحجم إنتاجه يجعله آخر بلد في العالم سينفد منه البترول [٣]..! وذلك لتحقيق هيمنة الإمبريالية الأمريكية على العالم في القرن الواحد والعشرين - الذي يريدونه قرنًا أمريكيًا.. لكن البعد الديني في عقيدة الإدارة الأمريكية التي تقود هذه الحرب لا يمكن أن يغفله عاقل.. ولقد شهد عليه الفاتيكان.. والكثير من الأمريكان!..

وصحيح - أيضًا - أن هذه الحرب ليست بين المسيحية والإسلام، ولا بين المسيحيين والمسلمين؛ لأن أكبر وأهم كنائس الغرب، ومعها كل كنائس الشرق، قد وقفت وتقف ضد هذه الحرب.. لكنها حرب اليمين الديني الأمريكي، المتحالف مع اليمين الديني اليهودي ضد الإسلام وأمته وعالمه، لمعاجلة اليقظة الإسلامية، ولإبقاء ثروات العالم

---

(١) النيوزويك، الأمريكية، العدد السنوي، ديسمبر (٢٠٠١م) - فبراير سنة (٢٠٠٢م).

(٢) المرجع السابق. ذات العدد.. والتاريخ.

(٣) ملحق الوسط، صحيفة الحياة، لندن، في (٢٧ - ١ - ٢٠٠٣م).

الإسلامي لقمة سائغة في فم الاستغلال الأمريكي، والشركات متعددة الجنسيات ومتعدية القارات [١]..

هكذا برئت النصرانية الحقة، وتبرأ من نزعات الحرب الدينية..

وهكذا سقط « التراث النصراني الغربي » في مستنقع هذه الحرب الدينية.. منذ الحملات الصليبية للبابا الذهبي « أوربان الثاني » (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) وحتى الحملة الصليبية المعاصرة لليمين الديني الأمريكي، بقيادة الرئيس الأمريكي « جورج بوش - الصغير »!..

وأمام هذه الكارثة.. نتمنى قيام تحالف يضم كل العقلاء والشرفاء من مختلف الديانات والفلسفات والحضارات، لإنقاذ العالم، وإنقاذ الشعب الأمريكي من هذه الإدارة - إدارة اليمين الديني - التي تريد فرض « الإمبريالية - الصليبية » على العالم من جديد.

٨ - الإسلام والحرب الدينية:

ولأن الشريعة الإسلامية هي خاتمة الشرائع الإلهية لدين اللّه الواحد.. فلقد جاءت مؤكدة على المنهاج الإلهي في الدعوة إلى الإيمان الديني.. منهاج الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٥ - ١٢٨]..

وفي ميدان هذا الإيمان القلبي، فإن رسول الإسلام ﷺ ليس مسيطرًا.. ولا وكيلًا. ولا يستطيع أن يهدي من أحب: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].. ﴿ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [الأنعام: ٦٦].. ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]..

ولقد عللت هذه الشريعة الإسلامية وفلسفت هذا المنهاج السلمي في الدعوة إلى

---

(١) لمزيد من التفاصيل، انظر دراستنا عن: الهجمة الأمريكية على الإسلام بكتابنا: في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام (ص ٩١ - ١١٣)، طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة (٢٠٠٣م).

الإيمان الديني، بأن الإيمان - الذي هو تصديق قلبي يصل إلى مرتبة اليقين - يستحيل تحصيله وبلوغه عن غير طريق هذا المنهاج؛ إذ الإكراه إنما يثمر نفاقًا، ولا يثمر إيمانًا بأي حال من الأحوال.. ولذلك جاء النهي عن الإكراه في الدين، انطلاقًا من نفي إمكانية تحصيل التدين الحق بواسطة الإكراه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].. وعلى هذا « النفي » تأسس « النهي » عن الإكراه..

ولقد أفاض القرآن الكريم في تأكيد هذا المنهاج السلمي في الدعوة إلى الإسلام، وفي تحصيل الإيمان بالدين..

- فشرّع لفلسفة « التدافع » - الذي هو حراك فكري واجتماعي بين الفرقاء - مختلفة عن فلسفة « الصراع » - ففي « الصراع » يصرع كل طرف الطرف الآخر، مُنْهِيًا بذلك التعددية والتعايش والحوار: ﴿ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴾ [الحاقة: ٧، ٨].. بينما « التدافع » حراك يُعدّل المواقف، ويعيد التوازن والعدل، مع بقاء التعددية والتعايش والحوار والتفاعل بين مختلف الفرقاء: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].. ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٧ - ٩]..

فالتدافع حراك يعدّل المواقف، مع الحفاظ على وجود « الآخر » وعلى تميّزه، رجاء أن تحل المودة بين الفرقاء المتعددين محل العداوة والبغضاء..

- وفي مواجهة الفلسفات التي اعتبرت القتل وإزهاق الأرواح جِبِلّة جُبل عليها الإنسان، وغريزة من غرائزه المتأصلة فيه.. بل واعتبرت الحروب طريقًا للتقدم!.. في مواجهة هذه الفلسفات، أعلن القرآن الكريم أن القتال مكروه.. واستثناء.. وليس القاعدة.. وهو ضرورة تُقدَّر بقدرها، وليس هو السبيل إلى تقدم الأمم وتطور المجتمعات وازدهار العلوم والحضارات: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦]..

ولقد بينت هذه الفلسفة القرآنية وأكدتها السنة النبوية، بقول رسول الله ﷺ: « **لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله** »(١)..

– وفي إطار هذا المنهاج السلمي في الدعوة وتحصيل الإيمان الديني، عرض الإسلام التعايش على المشركين: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١ – ٦].. ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ... ﴾ [الكهف: ٢٩].. ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦]..

بل قدم الإسلام العفو للذين أجرموا في حق أهله ودعوته.. ومنحهم حرية الاختيار، فقال رسول الله ﷺ للمشركين الذين صنعوا بالمؤمنين ما صنعوا – وهو في ساحة النصر يوم الفتح الأكبر.. فتح مكة سنة (٨هـ/٦٢٩م).. « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** »!..

– ولم تخرج « الدولة الإسلامية » – التي تكونت عقب الهجرة سنة (١هـ/ ٦٢٢م)، والتي امتلكت وطنًا وأمة ونُظمًا وقانونًا وجيشًا ومؤسسات عقابية – وهو ما تميزت به وامتازت الشريعة الإسلامية عن سائر الشرائع السماوية السابقة، التي وقف الرسل فيها عند حدود الدعوة والبلاغ – لم تخرج هذه الدولة الإسلامية عن هذا المنهاج السلمي في الدعوة إلى الدين.. فوقفت كل حروبها عند حدود القصاص الذي يرد العدوان على حرية الدعوة وحرية الضمير، وذلك حتى تضمن الدولة للمؤمنين حرية العيش الحر والآمن في الأوطان التي يعيشون فيها.. فكان « الإذن » بالقتال، و « الأمر » به، لا للدعوة إلى الدين وتحصيل الإيمان به.. وإنما لحماية حرية الدعوة والإيمان من الفتنة في الدين.. وحماية حرية المؤمنين من الاستفزاز من الأرض والإخراج من الديار: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].. ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]..

وحتى آيات سورة « براءة » – التوبة – التي يرجف المرجفون فيزعمون أنها تمثل « الوجه القتالي والعنيف » للإسلام.. نجدها تميِّز في المشركين بين المعاهدين،

---

(١) رواه الدارمي.

الذين يحترمون العهود، فتدعو - هذه الآيات - المسلمين إلى الوفاء بعهود هؤلاء المشركين: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤]..

تـميّز هذه الآيات بين هؤلاء المشركين المعاهدين، المحترمين للعهود، وبين المشركين الذين لا عهد لهم، والذين ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠].. فالقتال هنا لرد عدوان الذين لا عهد لهم، وهم معتدون، ولا يحترمون العهود، ويفتنون المؤمنين في دينهم، ويخرجونهم من ديارهم: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾ [التوبة: ١٣]..

فمعيار الدولة الإسلامية، في السلم والسلام أو الحرب والقتال، ليس « الإيمان » و « الكفر »، وإنما هو التعايش السلمي بين الآخرين وبين المسلمين، أو عدوان الآخرين على المؤمنين، بالفتنة في الدين أو الإخراج من الديار.. وعن هذا المعيار للعلاقة بين الإسلام وبين الكافرين به والمنكرين له، يقول القرآن الكريم: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٧ - ٩].

ولقد عاهد المسلمون النصارى، وجاء في العهد الذي كتبه الرسول ﷺ لنصارى نجران ولكل المتدينين بالنصرانية: « **أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم** »[1].

فالقتال، فقط، للدفاع، ولرد عدوان المعتدين، دونما زيادة على رد العدوان، وبالوسائل المكافئة لوسائل العدوان: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]، ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

---

(١) د. محمد حميد الله، محقق/ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص ١١١)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦م).

أما حديث رسول اللّه ﷺ - الذي يُساء فهمه كثيرًا - والذي يقول فيه: « **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه...** »[1] -.. فإن « أل - أداه التعريف » في كلمة « الناس » هنا هي « للعهد »، أي: الناس المعهودين، المقاتلين، المعتدين على المؤمنين بفتنتهم في دينهم وإخراجهم من ديارهم.. فالحديث هنا عن المشركين المعتدين المقاتلين للمؤمنين، وليس كل الناس ولا مطلق الناس.. والمقام مقام زمن الحرب والقتال.. وكلمة « الناس » في هذا الحديث ككلمة (الناس) في القرآن الكريم عندما يراد بها أناس معهودون محدودون: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ويشهد على ذلك أن إحدى روايات هذا الحديث: « **أُمرت أن أقاتل المشركين** ».. ويشهد على ذلك أيضًا تحريم الإسلام مقاتلة المشركين غير المحاربين، من المعاهدين، ومن النساء والأطفال والقاعدين ورجال الدين.. إلخ.. ومن ثم فلا علاقة لهذا الحديث النبوي - من قريب أو بعيد - بالتشريع لقتال المخالفين في الاعتقاد الديني، لمجرد الاختلاف في الاعتقاد.. فالمقصود بـ « الناس »: المعتدون المقاتلون من المشركين.. ثم إن الأحاديث النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، الذي يقرر النهي عن الإكراه في الدين، والنفي لإمكانية تحصيل الإيمان الديني بواسطة الإكراه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

* * *

وحتى هذا القتال - الذي كُتب على المسلمين، وهو كُره لهم - والذي وقف به الإسلام ودولته عند حدود القتال الدفاعي لحماية حرية العقيدة وحرية الدعوة من الفتنة - التي هي أكبر من القتل المادي - ولحماية حرية الوطن، والحيلولة دون إخراج المؤمنين من ديارهم.. حتى هذا القتال - الاستثناء والضرورة للدفاع - قد وضع له الإسلام ودولته « دستورًا أخلاقيًا » تجاوز في مثاليته - التي طبقها المسلمون - كل المواثيق الدولية التي تعارف عليها المجتمع الدولي نظريًّا!! بعد أربعة عشر قرنًا من ظهور الإسلام!..

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأبو داود والإمام أحمد.

ففي القواعد الأخلاقية لدستور الفروسية الإسلامية، يروي عمر بن عبد العزيز ﷺ (٦١ - ١٠١هـ/٦٨١ - ٧٢٠م) - وهو على رأس السلطة التنفيذية - الخلافة - وليس في صفوف المعارضة! - يروي فيقول: (**إنه بلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية يقول لهم: « اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تَغُلُّوا (أي: لا تخونوا) ولا تغدروا، ولا تُمَثِّلوا (أي: لا تمثلوا بجثث القتلى) ولا تقتلوا وليدًا »**)[1]..

ولقد صاغ أبو بكر الصديق ﷺ (٥١ق. هـ - ١٣هـ/٥٧٣ - ٦٣٤م) - وهو رأس الدولة - قواعد هذا الدستور الأخلاقي للحرب، في وثيقة، إسلامية، عندما أوصى يزيد بن أبي سفيان (١٨هـ/٦٣٩م)، وهو يودعه أميرًا على الجيش الذاهب لرد عدوان البيزنطيين في الشام، فقال - في وثيقة الوصايا العشر - : « **إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم لله.. وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة. ولا صبيًّا. ولا كبيرًا هرمًا. ولا تقطعن شجرًا مثمرًا. ولا تخربن عامرًا. ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة. ولا تحرقن نخلًا. ولا تفرقنه. ولا تغلل. ولا تجبن** »[2].

فكانت هذه « وثيقة الوصايا العشر » الإسلامية، في آداب الفروسية وأخلاقيات القتال، عندما يُفرض على المسلمين القتال..

ولأن هذه هي حقيقة الموقف الإسلامي: الدعوة إلى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة.. والجدال مع المخالفين بالتي هي أحسن.. والدعوة إلى حماية حرية الضمير والاعتقاد.. واللجوء إلى القتال - كضرورة استثنائية مفروضة ومكروهة - فقط لرد العدوان عن حرية الدين وحرية الوطن.. لأن هذه هي حقيقة الموقف الإسلامي - على مستوى التشريع - كانت الحقيقة المذهلة النابعة من استقراء واقع جميع الحروب التي تمت في العهد النبوي، والتي انتصر بها الإسلام على الشرك والوثنية.. والتي تقول - هذه الحقيقة -: **إن ضحايا جميع هذه المعارك والغزوات لا تتعدى (٣٨٦) قتيلًا - (٢٠٣) هم مجموع قتلى المشركين واليهود و (١٨٣) هم مجموع شهداء المسلمين - بينما تحدثت أسفار العهد القديم عن (٢,٠٠٠,٠٠٠) هم ضحايا الحروب اليهودية.. وتحدث تاريخ**

---

(١) رواه مسلم ومالك في الموطأ.

(٢) رواه مالك في الموطأ.

الحروب الدينية النصرانية – بين الكاثوليك والبروتستانت – عن (١٠,٠٠٠,٠٠٠) قتيل – (٤٠٪) من شعوب وسط أوروبا –.. ناهيك عن عشرات الملايين الذين أُزهقت أرواحهم في محاكم التفتيش الكنسية.. وفي الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين!!..

* * *

– ولقد استمر هذا المنهاج السلمي في الدعوة إلى الإسلام سائدًا وحاكمًا ومرعيًا في « الدولة الإسلامية » و « التاريخ الإسلامي » و « الحضارة الإسلامية » و « التراث الإسلامي »..

لقد فتح المسلمون في ثمانين عامًا أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون.. لكن الفتح الروماني كان فتح قهر واستعباد – رأينا صنيعه في الاضطهاد الديني والحضاري للنصرانية الشرقية – بينما كان الفتح الإسلامي فتح تحرير لضمائر الشعوب الشرقية من هذا الاضطهاد الديني والحرب الدينية، حتى شهد بذلك أهل الديانات الأخرى، من غير المسلمين..

• فـ « ميخائيل السرياني » يقول: « **لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا المونوفيزتية بالظهور، ولم يَصْغَ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا فقد انتقم الرب منه. لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وَتَرَكَنَاَ العرب نمارس عقائدنا بحرِّية، وعشنا في سلام** .. »[(١)].

فكان الفتح الإسلامي تحريرًا وإنقاذًا للنصرانية الشرقية من إبادة النصرانية الغربية والاستعمار الروماني – البيزنطي.. حتى ليمكن القول، دون مبالغة: إن بقاء النصرانية الشرقية ووجودها إنما هو « هبة الإسلام.. والفتوحات الإسلامية ».

ولقد تركت الدولة الإسلامية الناس – في البلاد التي تحررت بالفتوحات الإسلامية – وما يدينون.. انطلاقًا من أن الإسلام مكمل للشرائع السابقة، ومتمم لمكارم الأخلاق التي جاءت فيها.. فهو يجل كتبها، ويقول عن التوراة: ﴿ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]. وعن الإنجيل: ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٦].

ولقد صدقت الممارسات النبوية على هذا الموقف القرآني من الديانات السابقة،

---

(١) تاريخ مصر في العصر البيزنطي (ص ٦٢).

وطبقته، فوجدنا « حاطب بن أبي بلتعة » (٣٥ ق. هـ - ٣٠هـ/٥٨٦ - ٦٥٠م) الذي حمل رسالة رسول الله ﷺ إلى « المقوقس » - عظيم القبط بمصر - سنة (٧هـ/٦٢٨م)، يخاطب « المقوقس » فيقول له: « **إن لك دينًا (أي: النصرانية) لن تدعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فَقْدَ ما سواه. وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا لك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل. ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به** »[(١)].

ولذلك، كان انتشار الإسلام في هذه البلاد التي حررتها الفتوحات الإسلامية تدريجيًا، ودون إكراه، بل ودون مؤسسة دينية تقوم حتى بالترغيب في هذا الدين الجديد!. حتى ليقول العالم الإنجليزي الحجة « سير. توماس أرنولد » (١٨٦٤ - ١٩٣٠م): « **إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين نعموا - بوجه الإجمال - في ظل الحكم الإسلامي، بدرجة من التسامح لا نجد معادلًا لها في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة** »[(٢)].

وفارق بين تسامح أوروبا مع الأديان بعد أن أدارت ظهرها - بالعلمانية - للأديان.. وبين تسامح المسلمين في ظل حاكمية الإسلام للدولة والمجتمع وكل مناحي الحياة..

فبعد قرن من الفتح الإسلامي، كان الذين دخلوا الإسلام - من مصر وفارس وسوريا - لا يزيدون على (٢٠٪) من السكان.. « فالدولة » إسلامية.. و« الرعية » على دياناتها القديمة.. لقد كانت مصر - بسبب شدة الاضطهاد الروماني لأهلها، والذي أفقدها، إلى حد كبير، مقوماتها الذاتية الموروثة، من اللغة التي كتبت باليونانية، إلى الثقافة التي غلبت عليها الهيلينية، إلى السياسة التي حرم منها النصارى طوال تاريخ النصرانية المصرية - كانت مصر - لذلك - أكثر البلاد سرعة في التحول إلى الإسلام، خصوصًا أن شرائح كبيرة من أهلها كانوا على الوثنية القديمة، فانتقلوا سريعًا من الوثنية إلى الإسلام - وكان بينهم وبين النصارى عداوات وصراعات -.. لذلك، عندما جاءت سنة (١٨٤هـ/٨٠٠م) كانت نسبة الإسلام في مصر (٧٧٪) ونسبة النصارى (٢٢٪) واليهود (١٪) من تعداد السكان..[(٣)].

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها (ص ٤٦)، طبعة ليدن، سنة (١٩٢٠م).

(٢) الدعوة إلى الإسلام (ص ٧٢٩، ٧٣٠).

(٣) فيليب فارج، يوسف كرباج، المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (ص ٢٥ - ٣٢)، ترجمة / بشير السباعي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

ولقد كان لطبيعة الإسلام، ولموقفه الإيجابي من الديانات السابقة - كتبها ورسلها وقيمها ومقدساتها وقديسيها - أثر كبير في تحوّل أبناء تلك الديانات - وخاصة النصارى - إليه.. فهذا التحول يمثل لهم تقدمًا وارتقاء على سلم التدين بدين اللّٰه الواحد، ولا يمثل انقلابًا معاديًا لمواريثهم الدينية الأصلية.. وكما تقول شهادة « نصرانية غربية »: « **فإن الإسلام يقدم نفسه بوصفه امتدادًا للمسيحية واليهودية، وقد جاء في لغة مألوفة.. وبعد قرون من المصادرة البيزنطية للحرية الدينية.. جاءت المعاهدات العربية لتعلن - دون أدنى لبس - أن أي إكراه لن يمارس في شأن الدين.. وتم احترام تلك المعاهدات** » [1]..

وبعبارة المستشرق الإنجليزي الحجة « مونتجمري وات » - وهو الخبير في الدراسات الإسلامية -: « **فإن الإسلام كان يمهد لانتقال مرن ناعم من الصور الراقية لأديان موجودة بالفعل لدين جديد (الإسلام).. »** [2].

بل إن هذه المصادر « النصرانية - الغربية » تُرْجِع تحول نصارى الشرق عن النصرانية إلى الإسلام، وتحول الشرق إلى قلب للعالم الإسلامي بعد أن كان قلب العالم المسيحي.. ترجع ذلك إلى عوامل داخلية في الكنائس النصرانية المتصارعة، وإلى ما أصاب العقائد النصرانية في الشرق من تحوّلات وتعقيدات أتت بها العقلية النصرانية الرومانية، وقرارات المجامع المسكونية الرومانية، والثقافة الهيلينية.. وهي تحولات وتعقيدات جعلت عقيدة التوحيد الإسلامي، البسيطة الواضحة، أكثر جاذبية، وأكثر تلبية للاحتياجات الروحية لهذا الإنسان الشرقي، وأقدر على تحقيق السكينة والطمأنينة واليقين الإيماني لهذا الإنسان..

وعن هذه الحقيقة - حقيقة الضعف الذاتي والداخلي الذي أصاب النصرانية.. والقوة الذاتية التي تميّز بها الإسلام - نسوق عددًا من شهادات علماء الغرب - وكلهم نصارى -:

• يقول المستشرق الإيطالي « كايتاني - ليون - Caetani » (١٨٦٩ - ١٩٢٦م) - وهو عالم ومحقق وخبير في التاريخ الإسلامي والدراسات الإسلامية -: « **إن انتشار**

---

(١) المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي (ص ٣٨، ٣٩).

(٢) مونتجمري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ١٠٢)، ترجمة/ عبد الرحمن عبد اللّٰه الشيخ، طبعة القاهرة مكتبة الأسرة.

الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور بالاستياء من السفسطة المذهبية التي جلبتها الروح الهيلينية إلى اللاهوت المسيحي. أما الشرق الذي عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فقد كانت الثقافة الهيلينية وبالًا عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية، إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات، فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزع أصول العقيدة الدينية ذاتها. فلما أهلّت – آخر الأمر – أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء، لم تعد تلك المسيحية الشرقية التي اختلطت بالغش والزيف وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الرِّيَب، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد، الذي بدد بضربة من ضرباته كل تلك الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي العرب » [(١)].

• ويقول العلامة « مراتشي – Marracci »: « **إن أسرار هذه العقيدة.. النصرانية.. قد فاقت طاقة الذكاء البشري، فغدت – على الأقل – من الصعوبة بمكان، إن لم تكن مستحيلة الفهم** » [(٢)].

• أما البروفسور « مونتيه – إدوار – Montih Edwar » (١٨٥٦ – ١٩٢٧م) – وهو مستشرق فرنسي خبير في اللاهوت النصراني، وفي الدراسات الإسلامية – فإنه يقول، عن مزايا الإسلام التي اجتذبت نصارى الشرق: « **إن الإسلام، في جوهره، دين عقلاني، بأوسع معاني الكلمة، وإن تعريف « الأسلوب العقلي – Rationalism » بأنه طريقة تقيم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق، ينطبق على عقيدة الإسلام تمام الانطباق. إن لدين محمد كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أسس المنطق والعقل.. وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها لهي – على وجه التحقيق – من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة الإسلامية.. ولقد حفظ القرآن منزلته، من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة. وقد جهر القرآن دائمًا بمبدأ الوحدانية، في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول، ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المزايا.. ولقد كان من المتوقع لعقيدة محددة كل هذا التحديد، خالية كل الخلو من جميع**

---

(١) الدعوة إلى الإسلام (ص ٨٩، ٩٠). (٢) المرجع السابق (ص ٤٥٤).

التعقيدات الفلسفية، ثم هي تبعًا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي، أن تمتلك – وإنها تمتلك فعلًا – قوة عجيبة لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس » [1].

فالتوحيد، وبساطته ووضوحه.. والخلو من الألغاز والأسرار والتعقيدات الفلسفية.. والعقلانية والمنطق اللذان يقدم بهما الإسلام هذا التوحيد إلى ضمائر الناس وعقولهم.. كل ذلك في كتاب – هو القرآن – محفوظ من التغيير والتبديل.. كل ذلك قد جعل الإسلام وعقائده على نحو من العظمة والجلال والصفاء التي لا نظير لها في غير هذا الإسلام..

هكذا يقول خبير اللاهوت النصراني، والدراسات الإسلامية البروفسور « مونتيه »..

ولهذا رجحت كفة الإسلام، فانصرفت إليه قلوب وعقول النصارى الشرقيين، بعد أن تحررت ضمائرهم، بالفتوحات الإسلامية، من اضطهاد الكنيسة الرومانية والدولة البيزنطية.. وتحرروا – كذلك – من الثمرات المرة التي ألحقتها الثقافة الهيلينية بالنصرانية الشرقية..

أما العالم الإنجليزي – النصراني – « مونتجمري وات – Montgomery Watt » – الذي حصل على الدكتوراه في عقيدة الكسب والجبر والاختيار الإسلامية، وكتب العديد من الكتب في الدراسات الإسلامية – الفكرية والتاريخية – فلقد قدّم الإسلام إلى العقل النصراني الغربي، في كتابه (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر).. وفيه نظرات علمية مقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل.. وحول مفهوم الوحي في الإسلام وفي اليهودية والنصرانية.. وعن مكانة القرآن في الثقافة الإسلامية.. وعن أصالته وجدته.. إلخ.. إلخ.. كما تحدث عن الأمراض الذاتية والداخلية التي أصابت النصرانية الشرقية قبل ظهور الإسلام، وعن مصادر وعوامل القوة الذاتية للإسلام، تلك التي جعلت نصارى الشرق يدخلون في دين محمد، فيتحول الشرق من قلب للعالم المسيحي إلى قلب لعالم الإسلام.. بل وتحدث عن أن المستقبل إنما هو للإسلام!..

نعم.. تحدث « منتجمري وات » عن ذلك كله فقال:

• عن الضعف الداخلي والذاتي للنصرانية، كسبب أول لتحول نصارى الشرق إلى الإسلام: « **إن الجانب المهم في إنجاز الإسلام في الشرق الأوسط هو أنه حل محل**

---

(١) الدعوة إلى الإسلام (ص ٤٥٤، ٤٥٦).

المسيحية، التي كانت محور الحياة الثقافية في هذه المنطقة ومناطق شاسعة كان سكانها في غالبهم يشكلون قلب العالم المسيحي، فأصبحوا يشكلون قلب العالم الإسلامي.

إنه من الضروري أن نتمعن في أسباب هذا التغير بعناية. لقد تحدثنا عن قوة الإسلام، وإذا كان علينا أن نحذو حذو « أرنولد جوزيف توينبي » (١٨٨٩ - ١٩٧٥م) لقلنا: إن السبب الجوهري هو الضعف الداخلي للمسيحية، وكمون بذور الضعف في قلبها.

يتعين علينا أن نبحث عن جذور فشل المسيحية بمعالجة موضوع المسيحيين الشرقيين.. فكثيرون منهم - وخاصة اللاهوتيين - استخدموا اللغة اليونانية في الكتابات الجادة، لكن طريقة تفكيرهم كانت بشكل أساسي بعقليتهم في لغاتهم الأصلية - السريانية.. والقبطية.. والأرمنية.. إلخ - وقد أدى الاختلاف في العقليات إلى اختلاف في الصيغ اللاهوتية في قضايا مختلفة. وعندما كانت تطرح هذه القضايا اللاهوتية المختلف عليها أمام المجامع المسكونية كان اليونانيون يستبعدون المسيحيين الشرقيين من حق التصويت. وبمرور الوقت وجد المسيحيون الشرقيون أنفسهم وقد اعتبرهم الآخرون هراطقة مخرفين، بل واعتبرتهم الإمبراطورية البيزنطية طريدي عدالة ومحرومين من حماية القانون.. وعندما تم طرد هذه الطوائف الشرقية من الكنيسة المسيحية للدولة البيزنطية، قامت هذه الطوائف بتأسيس عقائد خاصة بها.. وتأسيس منظمات كنسية منفصلة.. فتنامت لدى الأطراف المتنازعة الرغبة في عدم التوحد.. فأدى ذلك إلى إضعاف المسيحيين الشرقيين، والجهاز الكنسي الرئيسي للدولة البيزنطية على السواء..

ولقد تحولت الخلافات اللاهوتية إلى شعارات سياسية. لذلك، فعندما فتح المسلمون سوريا ومصر، رحب بهم السكان باعتبارهم محررين لهم من سطوة اليونانيين البيزنطيين الممقوتين.

وقد لخص « كريستوفر داوسون - Christopher Dawson » (١٨٦٧ - ١٩٠٠م) بعض هذه النقاط بأسلوبه الموجز المفعم بالمعاني عندما قال: « إن محمدًا كان هو إجابة الشرق عن تحدي الإسكندر. فقد كان محمد هو مؤسس الدولة الإسلامية التي سرعان ما اتسعت لتصبح دولة كبرى أصبح لها ثقافتها الخاصة وحضارتها المتميزة في مواجهة الهيلينستية بوجه عام. وكانت عقلية العرب متماثلة مع عقلية أهل العراق والشام، وكانت أقرب إليهم من عقلية اليونانيين.. ففقدت الهيلينية قواعدها أمام الإسلام..

لذا فمن المقبول أن نجد معظم المسيحيين الشرقيين وقد تحولوا إلى الإسلام؛ لأنهم

وجدوا فيه تعبيرًا عن التوحيد أكثر ملاءمة لعقليتهم الواضحة أكثر مما وجدوا في المسيحية.

لقد أكد الإسلام نفسه كدين مستقل عن الدينين الأقدمين (اليهودية والمسيحية) ونقول عن حق: « إنه بالفعل كان يفوقهما، أو أنه فعلًا كان متفوقًا عليهما، أو أرقى منهما.. » [1].

• وعن تميز القرآن وامتيازه بأنه وحي.. أي: كلام اللّه.. الذي لم يصبه تحريف ولا تعديل ولا تبديل.. تميزه وامتيازه في ذلك عن التوراة والإنجيل، التي هي كتابات كتّاب كانوا يعتقدون أن ما يكتبونه هو « كلام اللّه بمعنى من المعاني ».. ثم تعرضت هذه الكتابات للتحريف والتعديل والتبديل.. عن تميز القرآن في هذه الميادين المهمة والمحورية عن التوراة والإنجيل، كتب وشهد « مونتجمري وات ».. فقال: **« إن القرآن ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام اللّه وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمدًا ليس أكثر من « رسول » اختاره اللّه لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولًا، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين..**

إنني أعتقد أن القرآن، بمعنًى من المعاني، صادر عن اللّه، وبالتالي فهو وحي.. إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه، عندما يقول: إن كلمات اللّه ليست نتيجة أي تفكير واعٍ منه.. وربما كانت الملامح الأساسية للوحي يمكن اختصارها في العناصر الثلاثة الآتية:

١ - أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي.

٢ - وأن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك.

٣ - وأن يقينًا جازمًا كان يتملّك فؤاده أن هذه الكلمات هي من اللّه.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهي حاضرًا في وعيه، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآني الذي بين أيدينا. وكان محمد واعيًا تمامًا بأنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة القرآنية التي تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي، الأمر الذي يعني أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال، نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية..

وفي الحوار مع الإسلام يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدًا لم يتلق

---

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ١٧٩ - ١٨٤).

وحيًا، وعن الأفكار الشبيهة...

وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور « زيدًا ».. (زيد بن ثابت ١١ق.هـ - ٤٥هـ/٦١١ - ٦٦٥م) - أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل.. ومن هنا فإن كثيرًا من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه.. والقرآن كان يسجَّل فور نزوله.. ورغم كثرة القراءات للقرآن فإن أيًّا منها لم يؤد إلى جنوح معاني القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعاني المفهومة من القراءات الأخرى.. إن القرآن يحظى بقبول واسع، بصرف النظر عن لغته؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية.. »[1].

أما مفهوم الوحي في اليهودية والمسيحية، فإن « الكثير من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات اللّٰه قد جلبها مصدر خارجي ممثل في ملك أو ملائكة يملونها على كتّاب الأناجيل، وإنما يُلقى في روع هؤلاء الكتّاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام اللّٰه حقًّا، والأنبياء الوارد ذكرهم في العهد القديم يعلنون دون تردد: « هكذا يقول الرب.. ».. ولذا فلا بد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات هو بمعنًى من المعاني كلمات اللّٰه حقًّا..

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم في حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التي ألقاها اللّٰه إليهم عن طريق محمد، تمامًا كما فعل ورقة بن نوفل (١٢ق.هـ./٦١١م) (الذي أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد). ومن هنا يمكن أن نقول:

إن إشارة القرآن إلى تحريفِ لَحَقَ اليهودية والمسيحية - وبصورتهما الموجودة على أيامه - قول صحيح »[2]..

• وعن جدة القرآن.. وأصالته.. وتمثيله ملة إبراهيم عليه السلام في صورتها النقية الأولى.. يقول العلامة « مونتجمري وات » - منتقدًا اليهود والنصارى الذين يمارون في ذلك -: « **لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة (مودة) تقديم القرآن للقارئ الأوروبي باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية بالإضافة لقليل من الزيادات**

---

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ٣٥، ٣٦ - ٣٩، ٥٢ - ٥٤، ٦١ - ٦٣، ٧١، ١٠٦، ١٢٨، ١٣١، ٢٠٦، ٢٣٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٦، ١٧٠).

المحددة، ومعني هذا انتفاء الجدة والأصالة.

والواقع أن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة الحروب الصليبية، عندما كان على أوروبا الغربية - التي ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام - أن تقوي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام..

إن تفحص العلاقة بين القرآن والبيئة المكية، أو العربية عامة، يوضح لنا بجلاء أن رسالة الإسلام كانت ملائمة تمامًا للبشر الذين ظهر محمد بين ظهرانيهم، ولم يكن مجرد نقل من عقائد سابقة (يهودية أو مسيحية).. أما الأفكار التي اشترك فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية فقد اتخذت شكلًا عربيًا واضحًا.. وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في مرحلة نقائه الأولى.. » [1].

• وبسبب محورية القرآن في الحياة الإسلامية، أثمرت جدته وأصالته جدةً وأصالة في الثقافة الإسلامية، ميزت النظرة الإسلامية للكون والعالم عن النظرة اليونانية.. وعن هذه الحقيقة من حقائق تميز الإسلام وثقافته يقول « مونتجمري وات »: **« ومهما كان الطريق الذي دخلت عن طريقه الثقافة اليونانية إلى الشرق، فإن المجتمع الإسلامي لم يقبل منها إلا ما هو مناسب وموائم لنسيج الحياة الإسلامية وللنظرة العقلية للعالم والكون التي يقرها القرآن، وبمرور الوقت تحقق أن حياة المجتمع الإسلامي بشكل عام قائمة على استمرار القرآن وتبوئه مكان المركز أو القطب أو المحور.. وما قبله الإسلام والبيئة الإسلامية سرعان ما انضم ليشكل رصيدًا ثقافيًا إسلاميًا متآلفًا ومتجانسًا ومقبولًا حتى في عقر داره أو في بلاد المنشأ »** [2].

• ولهذه المميزات والامتيازات التي تفرد بها القرآن والإسلام، عند مقارنته بالديانات التي سبقته.. في معنى الوحي.. وتفرد القرآن بأنه الوحي الإلهي المباشر الذي لم يصبه تحريف ولا تبديل.. وفي الجدة والأصالة، التي جعلت الإسلام هو التعبير عن نقاء ملة إبراهيم عليه السلام، في صورتها الأولى.. وفي انعكاس ذلك على تميز الثقافة الإسلامية عن الوافد الهيلينستي.. لكل ذلك، رأي العلامة « منتجمري وات » أن الإسلام - المتميز بالعالمية.. والأخوة الإنسانية - هو الدين الذي سيكون دين

---

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ٩٨، ١٠٥، ١١٠، ١١١).

(٢) المرجع السابق (ص ١٧٦، ١٧٨).

المستقبل.. أو - على الأقل - صاحب الإسهام الأوفر والقِدح المُعَلّى في دين المستقبل.. وعن هذه الحقيقة كتب يقول: « **إن هناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة.. إن رسالة الإسلام التي وُجّهت في البداية لأهل مكة والمدينة كانت تحمل في طياتها بذور العالمية، أو أنها كانت منذ البداية.. أو منذ مضمونها الأول، ذات أبعاد عالمية.. ولقد تأكد ذلك عمليًا بانتشار الإسلام في العالم كله، وقَبله بشر من مختلف الأجناس... وعلى المدى البعيد - بطبيعة الحال - من المتوقع أنه سيكون هناك دين واحد للعالم كله، مع وجود اختلافات داخل نطاق هذا الدين الواحد. ويمكن تشبيه هذه الفروق الداخلية بالمذاهب الأربعة لدى المسلمين من أهل السنة، فهم جميعًا مسلمون رغم اختلاف مذاهبهم...**

ومعظم المسيحيين يميلون إلى افتراض أن المسيحية ستكون دين العالم كله في المستقبل، لكن هذا أبعد ما يكون عن أن يكون أمرًا مؤكدًا. ولنذكر عنصرًا واحدًا؛ فبعض الأمم المسيحية الكبيرة تعاني بشدة من العنصرية، والدين الذي لا يستطيع أن يحل مشكلة العنصرية بين أعضائه من المستبعد أن يكون قادرًا على تقديم حلول كثيرة مجدية لمشاكل العالم الأخرى.

ومن بين مزايا الإسلام تعميقه لمفهوم الأخوّة، وعمق حججه، إلا أن الثقة بالنفس مصحوبة بعمق الحجج وقوتها قد تتحول إلى (عيب)، وليس ميزة عندما تعمى عين الإنسان عن رؤية ما هو جدير بالتقدير لدى الآخرين، لذا فقد يجد الإسلام صعوبة في إدراج قيم أخرى من أديان أخرى ليستوعبها ويجعلها جزءًا منه.

إن الإسلام - بالتأكيد - مناضل قوي، ومنافس عظيم الشأن، سيعمل على مد الدين الواحد.. دين المستقبل - بهيكله الأساسي.. »[1].

* * *

تلك شهادات العلماء الثقات المنصفين، من نصارى الغرب، الذين درسوا الإسلام والديانات الأخرى.. شهاداتهم على الوهن والتعقيد اللذين أصيبت بهما الثقافة الهيلينية الغربية والنصرانية الشرقية.. تلك التي غرقت في بحار الانقسامات الحادة والإلغازات والأسرار حتى استعصى فهمها على الخاصة، فضلًا عن العامة.. فجاء

---

(١) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص ٣٥، ٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨).

الإسلام، بتوحيده الواضح والبسيط، وعقلانيته ومنطقه، ووحيه الذي هو كلام اللّٰه المباشر، الذي لم يصبه تحريف ولا تعديل ولا تبديل. وإنسانيته وعالميته.. وجدته وأصالته، فاجتذب أهل الشرق، المطبوعين على بساطة الاعتقاد، فدخلوا أفواجًا في هذا الدين، الذي احترم عقولهم وأيقظها، ورقق قلوبهم وأغناها، كما احترم المواريث الدينية التي نشأوا في ظلالها.. وكذلك حقق لهم عزة الاستقلال عن التبعية للمركزية الغربية، فرأوا في رسول الإسلام ﷺ إجابة الشرق عن تحدي الإسكندر - كما قال، بحق، « كريستوفر داوسون »!..

حدث كل ذلك، دونما إكراه للناس على الدخول في الإسلام.. بل ودون « مؤسسة » للدعوة الإسلامية ترغب الناس في هذا الدين!.. ومن باب أولى دون حروب دينية تقهر الناس على الدخول في الإسلام.

* * *

لكن..

قد يسأل سائل - ومن حقه أن يسأل عن الحروب التي حدثت بين المسلمين، في التاريخ الإسلامي: أليست حروبًا دينية، أثارتها المذهبيات والمعتقدات، على النحو الذي حدث في التاريخ النصراني الغربي؟..

ونحن نجيب عن هذا السؤال فنقول:

• إن ما شهده هذا التاريخ الإسلامي من حروب داخلية، إنما كانت حروبًا سياسية، ولم تكن دينية.. والسياسة والدولة والخلافة والإمارة، والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية - التي قامت بسببها هذه الحروب - هي - في الإسلام - من « الفروع »، وليست من « الأصول »، ولا من « عقائد الإسلام »، ولا من أمهات الاعتقاد في الإسلام.. والاختلاف في كل الأمور السياسية والتنوع والتعدد « سُنة » من سنن اللّٰه ﷻ، و « قانون » من قوانين الاجتماع الإنساني، وليس مجرد « حق » من حقوق الإنسان.. والتدافع بين فرقاء الاختلافات السياسية لا يخرج أيًا من هؤلاء الفرقاء من ملة الدين وعقائد الإسلام؛ فالمعايير الحاكمة للاختلاف في الأمور هي « الصواب »، و « الخطأ »، و « النفع » و « الضرر » وليست « الإيمان » و « الكفر ».. وحتى « البغي » - في هذه الأمور - لا يخرج أصحابه عن إطار « الإيمان الديني »

ولو بلغوا في بغيهم السياسي حدود الاقتتال!.. ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحقيقة الإسلامية فقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠]..

فإذا ارتكب المؤمنون « خطأ » الاقتتال في الأمور السياسية « الفروع » – فإن هذا الخطأ – والبغي في هذا الخطأ – لا يُخرج أصحابه من الملة، والإيمان بأصول الإسلام..

ولقد أجمع أئمة وفلاسفة وفقهاء أهل السنة – الذين يمثلون أكثر من (٩٠٪) من الأمة الإسلامية – على أن الدولة والسياسة – وكل ما يتعلق بهما – من الفروع، التي لا تكفير فيها، وعن هذه الحقيقة تحدث حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥هـ/١٠٥٨ – ١١١١م) فقال: « **إن النظر في الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضًا من المعقولات، بل من الفقهيات (أي: الفروع) وإن أصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، وبرسوله، وباليوم الآخر. وما عداه فروع** » [1].

وحروب الفتنة الكبرى التي وقعت بين علي بن أبي طالب (٢٣ق.هـ – ٤٠هـ/ ٦٠٠ – ٦٦١م) ومعاوية بن أبي سفيان (٢٠ق.هـ – ٦٠هـ/٦٠٣ – ٦٨٠م) لم تكن حروبًا دينية، يطلب فيها فريق من الفريق الآخر تغيير عقيدته أو تبديل مذهبه، وإنما كانت حروبًا سياسية، دارت حول الخلافة، وبالذات حول المسئولية عن مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٤٧ق.هـ – ٣٥هـ/٥٧٧ – ٦٥٦م).. وعن هذه الحقيقة الناصعة يقول علي بن أبي طالب: « **لقد التقينا – في معركة « صفين » (٣٧هـ/٦٥٧م) – وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا. والأمر واحد، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء. إننا – والله – ما قاتلنا أهل الشام (معاوية ومن معه) على ما توهم هؤلاء (الخوارج) من التكفير والافتراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة (السياسية: رعية الدولة) وإنهم لإخواننا**

---

(١) الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٣٤)، طبعة مكتبة صبيح القاهرة، بدون تاريخ.

في الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم... وإني لأرجو ألا يقتل أحد نقّى قلبه، منا ومنهم، إلا أدخله اللّه الجنة.. » [1]..فهي حرب سياسية، دارت بين أبناء دين واحد، وأهم أطرافها يتمنى أن يكون كل قتلاها في الجنة!.

• وعندما رفض عبد اللّه بن الزبير (١ - ٧٣هـ/٦٢٢ - ٦٩٢م) مبايعة الخليفة الأموي، وأعلن الثورة على الدولة الأموية، واتخذ من مكة عاصمة لدولته، ودارت الحرب بينه وبين الأمويين، حتى في داخل الحرم المكي، وحول الكعبة، كانت الجيوش المتقاتلة تضع أسلحتها إذا أُذّن للصلاة، ويصلون جميعًا خلف إمام واحد، لإله واحد، بقرآن واحد، وعلى عقيدة واحدة.؛ لأن الحرب كانت سياسية، لا علاقة لها بعقائد الدين..

• وكذلك كل الحروب التي شهدها التاريخ الإسلامي، كانت سياسية - متعلقة بالخلافة والسياسة للاجتماع - ولم تكن فيها حرب واحدة حول العقائد الدينية، أو للإكراه على الاعتقاد بمذهب في الدين..

وكما يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/١٨٤٩ - ١٩٠٥م) عن الحروب التي خاضها المسلمون: « **كان المشركون يبدأون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم، ولو لم يبدأوا في كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول ﷺ من بلده، وفتنة المؤمنين وإيذائهم، ومنع الدعوة، كل ذلك كان كافيًا في اعتبارهم معتدين. فقتال النبي كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق، ولذلك كان تقديم الدعوة شرطًا لجواز القتال. وإنما تكون الدعوة بالحق والبرهان، لا بالسيف والسنان..**

وكانت حروب الصحابة، في الصدر الأول، لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين..

ولم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين والأشاعرة، مع الاختلاف العظيم بينهما، ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (١٧/١٤١)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة القاهرة (١٩٥٩م)، والباقلاني، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة (ص ٢٣٧، ٢٣٨)، تحقيق/ محمود محمد الخضري، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، طبعة القاهرة (١٩٤٧م).

أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة، سلفيين وأشاعرة، كما لم يسمع بأن الفلاسفة الإسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها.

نعم، سمع بحروب الخوارج، كما وقع من القرامطة وغيرهم. وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد، وإنما أشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة، ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة، ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة.

وأما ما كان من حروب الأمويين والهاشميين، فهي حرب على الخلافة، وهي بالسياسة أشبه، بل هي أصل السياسة..

لقد شهر المسلمون سيوفهم دفاعًا عن أنفسهم، وكفًّا للعدوان عنهم، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورات الملك..

ولم يكن من المسلمين مع غيرهم إلا أنهم جاوروهم، فكان الجوار طريق العلم بالإسلام، وكانت الحاجة لصالح العقل والعلم داعية للانتقال إليه.. وجملة القول في القتال أنه شُرع للدفاع عن الحق، وأهله، وحماية الدعوة ونشرها.

إن سرعة انتشار الإسلام، وإقبال الناس على الاعتقاد به من كل ملة، إنما كان لسهولة تعقله، ويسر أحكامه، وعدالة شريعته. وبالجملة، لأن فِطَر البشر تطلب دينًا، وترتاد منه ما هو أمس بمصالحها، وأقرب إلى قلوبها ومشاعرها، وأدعى إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. ودين هذا شأنه يجد إلى القلوب منفذًا، وإلى العقول مخلصًا، بدون حاجة إلى دعاة ينفقون الأموال الكثيرة والأوقات الطويلة، ويستكثرون من الوسائل ونصب الحبائل لإسقاط النفوس فيه.

هذا كان حال الإسلام في سذاجته (بساطته) الأولى وطهارته التي أنشأه اللَّه عليها، ولا يزال على جانب عظيم في بعض أطراف الأرض إلى اليوم » [١].

* * *

أما هذا الخلط المعاصر – في الإعلام الغربي، والكتابات الغربية – بين مفهوم « الجهاد الإسلامي » وبين « العنف.. والإرهاب ».. فإنه أثر من سوء النية حينًا،

---

(١) محمد عبده، الأعمال الكاملة (٤/٤٧٥، ٤٧٦)، (٣/٢٦٧، ٤٧٥) دراسة وتحقيق/ د. محمد عمارة، طبعة القاهرة (١٩٩٣م).

والجهل في بعض الأحايين.. ولا علاقة لهذا الخلط بحقائق مفاهيم هذه المصطلحات في قاموس الإسلام..

• فـ « الجهاد » – في المفهوم الإسلامي – هو: بذل الوسع واستفراغ الجهد والطاقة في أي ميدان من ميادين الإصلاح – فالدعوة إلى سبيل اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة جهاد.. والإصلاح التربوي والتعليمي والثقافي جهاد.. والتنمية الاقتصادية والاجتماعية جهاد.. والرفق بالآباء والأمهات والأزواج والأولاد جهاد.. والاهتمام بالعمل العام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد.. والبر والقسط مع المعاهدين والمسالمين من غير المسلمين جهاد.. بل وحتى الرفق بالحيوان والنبات والطبيعة جهاد.. فكل ميادين الإصلاح، في الدين والدنيا، هي – في المفهوم الإسلامي – جهاد في سبيل اللّه..

ولقد ورد الحديث في القرآن الكريم عن الجهاد أكثر ما ورد مرادًا به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية، بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي الدفاع عن حرية هذه الدعوة، وحرية الدعاة.. حتى إن الآية القرآنية التي وصف الجهاد فيها بأنه « جهاد كبير »، كان المراد به فيها « الجهاد بالقرآن الكريم ». وليس بالعنف أو القتال: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

وفي المواطن التي تحدث فيها القرآن الكريم عن الجهاد بالنفس تم التقديم دائمًا للجهاد بالمال: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النساء: ٩٥]..، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٧٤]..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠، ١١]..

ومع أن الجهاد هو « ذروة سنام الإسلام » – كما جاء في الحديث النبوي الشريف – فإن الجانب القتالي من الجهاد هو القتال الدفاعي، الذي هو « سياج » لحماية حرية الدعوة والدعاة واستقلال ديار الإسلام – كما مر في الحديث – عن « الإذن » بالقتال، و « الأمر » به في القرآن الكريم..

• أما استخدام « العنف » لتحقيق أغراض سياسية، هذا الذي أطلقت عليه أجهزة الإعلام الغربية مصطلح « الإرهاب »، والذي نُسب ويُنسب – زورًا وبهتانًا – إلى

الإسلام، فهو لون آخر من ألوان خلط الأوراق والمفاهيم..

« فالعنف » في المصطلح الإسلامي، هو نفيض « الرفق ».. وفي الحديث النبوي الشريف: « **إن اللّه تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف** »[1]. وفي صحيح البخاري، يقول رسول اللّه ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « **مهلًا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش** ». وفي (الموطأ) – للإمام مالك رضي الله عنه – يقول رسول اللّه ﷺ: « **إن اللّه تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق، ويرضى به، ويعين عليه ما لا يعين على العنف** »..

فالرفق هو منهاج التعامل الإنساني في كل الميادين الحياتية.. والعنف هو نقيض هذا المنهاج.

● أما إطلاق الإعلام الغربي، والكتابات الغربية مصطلح « الإرهاب » على استخدام « العنف » لتحقيق أغراض سياسية، فهو – الآخر – خلط للأوراق والمفاهيم.. ذلك أن « الإرهاب ».. في مصطلح اللغة العربية، وفي الاستخدام القرآني.. هو مجرد « التخويف للردع »، بغرض تجنب « العنف والقتال ».. ولقد شهد عالمنا المعاصر ويشهد تجنب العنف والقتال عندما تصل القوى والدول المتنافسة، ذات المصالح المتناقضة، إلى مستويات متقاربة في القوة الرادعة، فتمتنع هذه القوى والدول عن العنف والعدوان والقتال بسبب إرهاب الرادع والخوف من الردع.. فإعداد القوة الرادعة والمرهبة هو السبيل للتوازن الذي يرهب الخصم ويخيفه، فيمتنع العنف والعدوان والقتال.. وهذا هو المعنى الذي جاء في القرآن الكريم لمصطلح « الإرهاب » – أي: مجرد التخويف.. وليس العنف المسلح – كما تزعم الكتابات الغربية –.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨ – ٦٢].

فإعداد القوة الرادعة هو الذي يرهب – أي: يخيف – أهل الغدر والخيانة، فيمتنع

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والدارمي وابن ماجه والإمام أحمد.

عدوانهم.. فكأنما « الإرهاب » - بمعنى الإخافة والردع لأهل الغدر والخيانة - هو السبيل إلى السلام، وتلافي العنف والقتال.. وليس هو الاستخدام للعنف والقتال، كما يزعم الزاعمون!..

* * *

تلك هي حقيقة الموقف الإسلامي من الحروب الدينية.. اتسق في هذا الموقف: الإسلام الدين.. والإسلام الدولة.. والإسلام التراث.. والحضارة.. والتاريخ..

بينما رأينا كيف برئت شريعة موسى عليه السلام.. ونصرانية المسيح عليه السلام من الحرب الدينية، والإكراه على الإيمان.. بينما سقط التراث اليهودي والتاريخ اليهودي.. وكذلك التراث النصراني الغربي، وكنائس النصرانية الغربية.. سقطا في مستنقع الحروب الدينية، والإبادة للأغيار والمخالفين، فانقلبا بذلك على حقيقة اليهودية والنصرانية انقلابًا شديدًا.. فأصبحنا أمام « مواريث » قد خانت أصولها الأولى، ومنابعها الجوهرية والنقية، التي أوحاها اللّه تعالى إلى موسى وعيسى عليهما السلام..

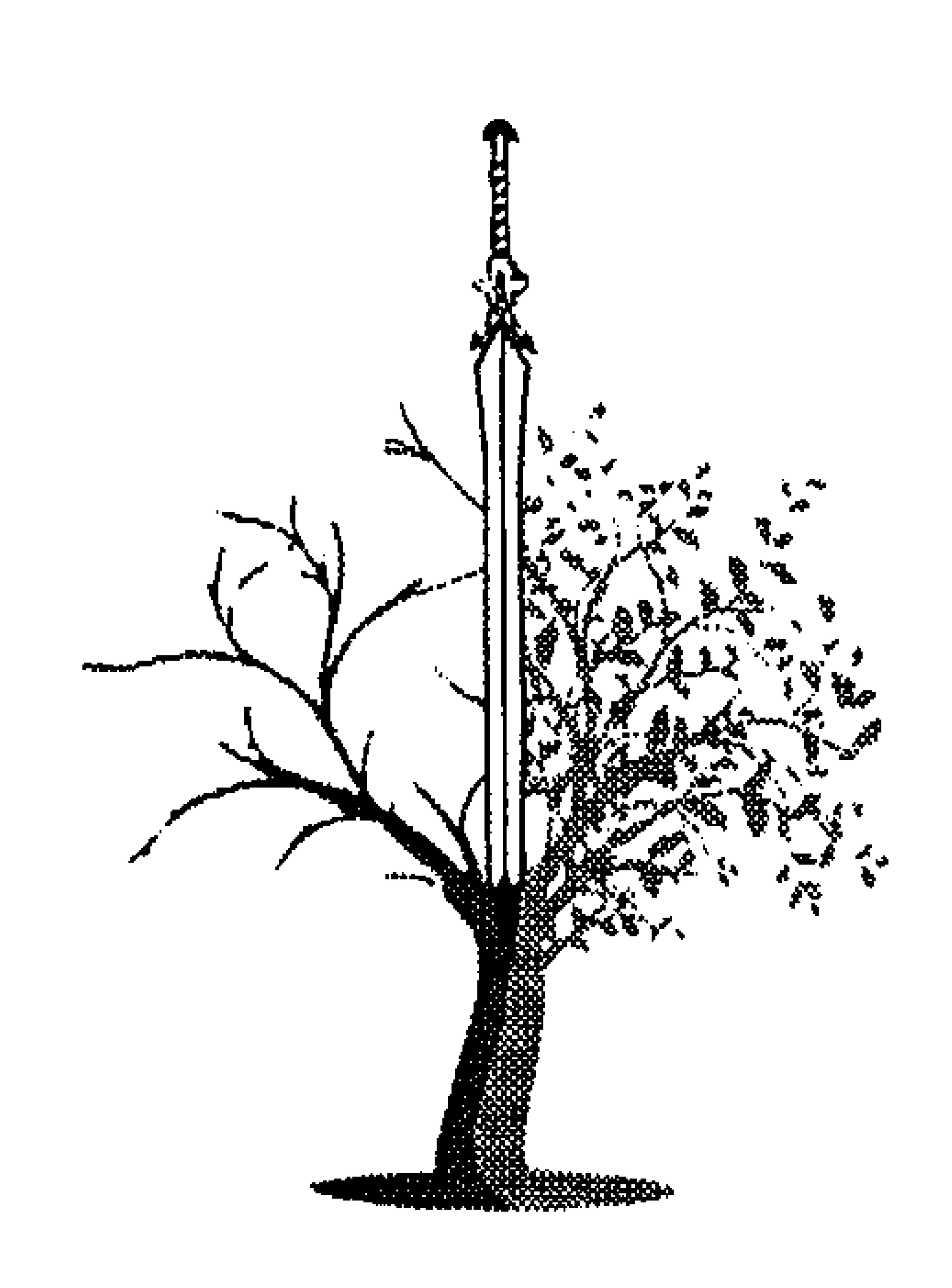
ولقد رأينا هذه الحقائق التي شهد بها وعليها العلماء الثقات من نصارى الغرب ودارسي العهد القديم، والخبراء في دراسة الإسلام؛ فشهدوا - وهم شهود من أهلها - على تميّز الإسلام وامتيازه في هذا الميدان..

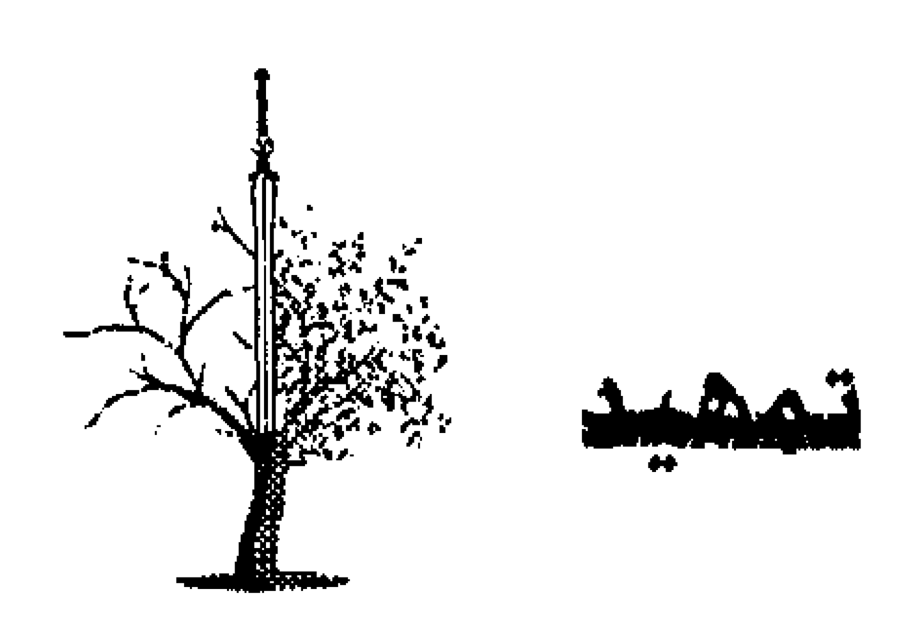
فالحمد للّه على سماحة الإسلام.. والحمد للّه على نعمة الإسلام.

* * *

(٢)

الإسلام والحرب الدينية





تمهيد

لأسباب كثيرة، كان ولا يزال وطننا العربي وعالمنا الإسلامي مستهدفين من أعداء كثيرين.. تعاقبت القرون، واختلفت النظم، وتنوعت الحضارات، وتغايرت الملابسات، ومع ذلك بقي هذا الوطن مرمى للأطماع المتحدية، والتحديات الطامع أصحابها في احتوائه حضاريًّا وسحقه قوميًّا، وتحويله إلى « هامش » لحضارتهم الغازية، وذلك حتى يتأبد نهبهم وسلبهم لخيرات هذا الوطن الكبير [(١)]...

ولذلك.. فلقد كان ولا يزال قدرًا على أبناء هذه الأمة،- إن هم أرادوا حماية وطنهم، وتحقيق أحلامهم في أن يصبح « جنة » دنياهم - أن يكونوا في « رباط » دائم، و « استنفار » مستمر، ويقظة لا تعرف الاسترخاء!... فأمام التحديات العاتية والدائمة لا أمن ولا أمان لهذا الوطن إلا إذا عاش في ظلال السيوف!...

وصدق رسول اللّه ﷺ، عندما خاطب أمتنا فقال: « **اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** » [(٢)].. فإذا ضمنت ظلال السيوف العربية الإسلامية لإنساننا « جنة » دنياه، ضمن له ربه - سبحانه - « جنة » آخرته!.. فالدنيا هي طريق الآخرة.. وصلاح الآخرة والأديان مرهون بصلاح الدنيا والأبدان والأوطان؟!..

ومن هنا، ولهذه الخصوصيات التي جعلت وطننا هدفًا للتحديات العاتية، والدائمة، كان « للجهاد » في فكر أمتنا، الديني والحضاري، ذلك المكان العالي والمقام الرفيع.. وناهيك بفكر يجعل « الجهاد » خصوصية لهذه الأمة، هي « رهبانيتها » التي تتقرب بها إلى اللّه، فيقول رسولها الكريم، عليه الصلاة والسلام: إن « **لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل اللّه** » [(٣)].. كما يجعله « سياحتها » التي تجدد بها شبابها وحيويتها، فيقول الحديث الشريف: « **إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل اللّه** » [(٤)].

---

(١) لتفصيل أسباب هذه التحديات، واكتشاف القانون الذي حكم صراع أمتنا ضدها، انظر كتابنا: العرب والتحدي، طبعة سلسلة عالم المعرفة - الكويت، مايو سنة (١٩٨٠م)، ودار الشروق سنة (١٩٩١م).

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(٣) رواه أحمد بن حنبل.

(٤) رواه أبو داود.

ففي « الجهاد » الضمان الوحيد والأكيد لكي يكون لهذه الأمة « جنة » في الدنيا، و « جنة » في الآخرة.. وفي هذا « الجهاد » « رهبانية » هذه الأمة « وتدينها » تتقرب به إلى اللّه، وأيضًا « سياحتها » التي تجدد بها حيوية النفس وطاقات الإبداع!.

و « الجهاد »، كواحد من مفردات لغتنا العربية، مصطلح واسع وفضفاض، فهو يعني: « استفراغ الوسع وبذل الجهد في مدافعة الأعداء »، على تعدد في الميادين التي يبذل فيها الإنسان وسعه وجهده، وتنوع واختلاف في نوعية هؤلاء الأعداء.. فمن الفكر، إلى الكسب المادي، إلى الميادين المتعددة للقتال - ومن الأعداء الظاهرين، إلى مجاهدة النفس، إلى مغالبة وسوسة الشياطين.. كلها ميادين لألوان وأنواع من « الجهاد »!..

ولذلك وجدنا لغتنا العربية تستخدم مصطلحات مثل: « الحرب » للدلالة، بشكل مباشر، على « **الصراع المسلح** » ضد الأعداء.. ففي القرآن الكريم:

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: ٤].

وفي الحديث الشريف يقول الصحابي الجليل عبادة بن الصامت - وهو أحد نقباء الأنصار الاثني عشر الذين تأسست ببيعتهم للرسول ﷺ، في العقبة، الدولة العربية الإسلامية الأولى - يقول: « **بايعنا رسول اللّه ﷺ، بيعة الحرب**.. على السمع والطاعة، عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، ولا ننازع في الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيثما كنا، ولا نخاف في اللّه لومة لائم » [1].

فإذا كان مراد لغتنا العربية هو الحديث الأكثر مباشرة عن موضوعات « الصراع المسلح » كان مصطلح « القتال » هو أداة التعبير: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣].

---

(١) رواه أحمد بن حنبل.

﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

إلى آخر الآيات التي ورد فيها مصطلح « القتال »..

أما مصطلح « الجهاد » فكما يراد به التعبير عن عمليات « الصراع المسلح » يراد به، في أحيان كثيرة، بذل الجهد واستفراغ الوسع في ميادين أخرى ومهام مختلفة.. ففي الأحاديث النبوية نقرأ: « **الحج جهاد، والعمرة تطوع** »[(١)].. و « **الحج جهاد كل ضعيف** »[(٢)]!..

وعندما أتى رجل إلى النبي ﷺ، يستأذنه في « الجهاد » - بمعنى « القتال » - سأله الرسول: « **أحي والداك؟** ».

- قال: نعم.

- قال: « **ففيهما فجاهد** »[(٣)]!..

كما نجد مصطلح « الجهاد » شاملًا الإبداع الأدبي في الشعر الذي تصوغه قرائح الشعراء المسلمين، أولئك الذين انتصروا بشعرهم للإسلام وأهله من شعراء الشرك الذين اتبعهم الغاوون، عندما جعلهم الشرك في كل وادٍ يهيمون!.. فعندما أنزل اللّه في شعراء الشرك قوله:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

جاء الشاعر الصحابي كعب بن مالك (٥٠هـ/ ٦٧٠م) إلى رسول اللّه ﷺ، سائلًا: « إن اللّه، تبارك وتعالى، قد أنزل في الشعر ما قد علمت، وكيف ترى فيه؟..

- فقال النبي ﷺ: « **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه** »[(٤)]!..

هكذا نجد التعبير في لغتنا العربية عن « فعل الصراع المسلح » بمصطلح « القتال » إذا كان القصد إلى التعبير الأكثر مباشرة، وبمصطلح « الحرب » إذا كان التعبير مباشرًا..

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه النسائي وابن ماجه وأحمد بن حنبل.

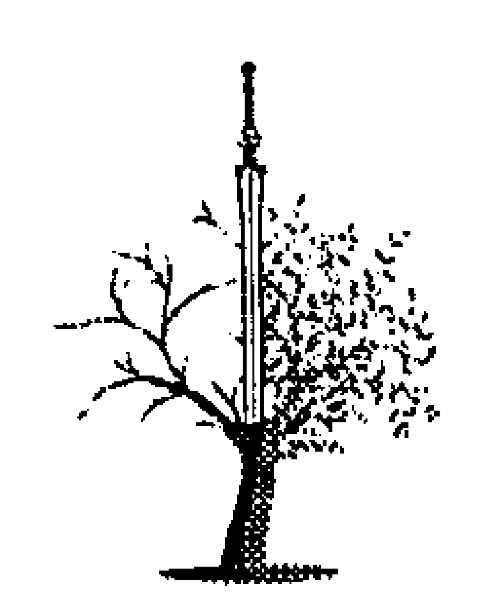
(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن حنبل.

(٤) رواه أحمد بن حنبل.

وبمصطلح « الجهاد » إذا كان المراد بذل الجهد واستفراغ الوسع في مقاومة الأعداء، قتالاً كانت المجاهدة أم غير قتال..

ومع ذلك فلقد حظي مصطلح « الجهاد » بشيوع في الفكر الإسلامي جعل الكثيرين يحسبون أنه الأولى والأخص في التعبير من مصطلحي « الحرب » و « القتال »، فعقدت مباحث « القتال » وفصوله دائمًا وأبدًا، تحت عنوان: « الجهاد »!...

* * *



المسلمون والجهاد المسلح

في البدء، وخلال السنوات الثلاث عشرة التي أمضاها الرسول ﷺ بمكة داعيًا إلى الدين الجديد، لم تكن « الدولة » الإسلامية هدفًا من أهداف الرسول، ذلك أن بناء « الدولة » ليس ركنًا من أركان الدين، ولا هو بالقضية الدينية التي جاء بها الوحي إلى رسول اللّه.. ولكنها نشأت بعد أن استفرغ الرسول وصحبه جهدهم السلمي - كجماعة مؤمنة - في دعوة مشركي قريش إلى التدين بالإسلام.. فلقد تجاوز المشركون موقع « الرفض » للإسلام إلى حيث أمعنوا في إيذاء المسلمين وتعذيبهم، فضلًا عن سلبهم حرية من آمن في أن يدعو إلى دينه الجديد، الأمر الذي جعل الرسول ﷺ، يجدُّ في السعي كي يخرج بالإيمان والمؤمنين من « مرحلة الاستضعاف »، وذلك بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشة حينًا، وعرض دعوته على أهل « الطائف » حينًا آخر.. وأيضًا بعرض الإسلام على العرب القادمين إلى مكة حاجين إلى بيتها العتيق..

فلما أن فتح اللّه للإسلام قلوب نفر من عرب « يثرب » من الأوس والخزرج، كانت بيعتهم له « بالعقبة » على الإسلام، وعلى أن يهاجر إلى بلدهم، فيقيم بها « السلطة » التي تحمي الدعوة الإسلامية وتنهي « دور الاستضعاف » الذي عاشه المسلمون ثلاثة عشر عامًا. وبهذه البيعة ولدت « الدولة » العربية الإسلامية الأولى.

ولقد كان طبيعيًا مع ظروف « الاستضعاف » التي عاشها المسلمون بمكة قبل الهجرة إلى « يثرب » - المدينة - ألا يكون القتال أمرًا واردًا في التكليف الإلهي لنبيه وللمؤمنين، تشهد بذلك الآيات والسور المكية للقرآن الكريم، ففيها نقرأ قول اللّه - سبحانه - للرسول ﷺ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

وحتى بالمدينة المنورة - ولحين من الدهر بعد هجرة الرسول ﷺ، والمؤمنين إليها، وقيام نواة « الدولة » العربية الإسلامية فيها - كانت آيات القرآن الكريم تؤكد على « الجهاد » غير القتالي في الصراع بين المؤمنين والمشركين، فلقد أصبح للإسلام كيان متميز، واتخذ هذا الكيان لنفسه من المدينة مجالاً حيويًّا، غدَت لأهله فيه حرية الدعوة إلى الدين الجديد.. ففي هذا المناخ - ورغم انتهاء مرحلة « الاستضعاف » بالنسبة للمسلمين - نجد اللَّه - سبحانه - يوحي إلى رسوله ﷺ قوله تعالى:

﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ [المزمل: ١٠، ١١].

وحتى عندما كان اليهود يمارسون مع الرسول خُلُقهم العريق واللصيق، وهو: نقض العهود وخيانة المواثيق، كان الوحي ينزل من السماء فيقول:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣].

لكن الهجرة - وقد أنهت « دور الاستضعاف » - نراها مصاحبة لتطور هام في أدوات الصراع « المأذون »، بها من اللَّه - سبحانه - للمسلمين، ضد أعداء الدين الجديد.. فبها، وبالدولة التي أقاموها بالمدينة، قد أصبح بالإمكان أن يتجاوزوا تلك المرحلة التي كانوا يواجهون فيها العنت « بالعفو » و « الصفح » و « الهجر الجميل »! ومن ثم فلقد أحلَّ اللَّه لهم النهوض إلى الصراع ضد أعدائهم، متخذين أدوات أشد وأدخل في باب العنف من هذه الأدوات.. وعندما كان الرسول ﷺ، مهاجرًا من مكة إلى المدينة، نزل الوحي بآيات تتحدث عن دور « التدافع » في انتصار الحق على الباطل، وحق المظلومين، الذين أخرجهم الظالمون من ديارهم، في الدخول إلى هذا الميدان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم

بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٨ - ٤٠].

وقال المفسرون لهذه الآيات - التي صاحب نزولها تمام حدث الهجرة - إنها قد أعطت المسلمين « **الإذن** » في القتال.. وإن كان المتأمل في نصها والفقه لكلماتها لا يجد بها أكثر من الإذن والتوجيه إلى « الصراع » ضد الأعداء، أيًا كانت أدوات هذا الصراع، وأيًا كان مكانها من أدوات « القتال »!..

وفيما بين السنة الأولى من الهجرة والسنة السابعة، التي أعقبت صلح الحديبية - والتي تمت فيها عمرة القضاء - في هذه السنوات السبع شهد المسلمون أكثر من عشرين غزوة، مارسوا القتال في عدد منها.. ومع ذلك، فلقد ظل قتالهم هذا، طوال هذه السنوات، محكومًا « بالإذن » الإلهي للمظلومين في أن يستخدموا أدوات « الصراع » في ردع الظالمين الذين أخرجوهم من الديار!.. فلما كانت السنة السابعة من الهجرة، وتجهز المسلمون للسفر من المدينة قاصدين مكة لأداء عمرة القضاء، وفقًا لصلح الحديبية الذي أبرموه مع قريش في عامهم المنصرم، توجس المسلمون خيفة من غدر المشركين بهم عند أدائهم لمناسك العمرة.. فهم سيدخلون معتمرين، وليس معهم من السلاح سوى سلاح المسافر.. ثم إن الوقت في الأشهر الحرم التي لا يحل فيها القتال، والمكان هو الحرم الآمن الذي لا يجوز فيه قتال.. فما الضمان من غدر المشركين وأخذهم المسلمين على غرة في هذا التوقيت وذلك المكان وتلك الملابسات؟! وأمام خشية المسلمين هذه من غدر المشركين ونقضهم عهد الحديبية، نزل وحي الله بآياته التي « **تأمر** » - بل إن شئت الدقة « **تأذن** » - « بالقتال »، إذا ما نقض المشركون العهد، وتطلب من المسلمين قتال أعدائهم المشركين، حتى ولو كان رد العدوان في الشهر الحرام والبيت الحرام:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٤].

فأمام عدوان المشركين.. ونقضهم العهد.. واستحلالهم حرمة الشهر الحرام والبيت الحرام.. على المؤمنين قتال الذين أخرجوهم من ديارهم، واجتهدوا في فتنتهم عن دينهم، دونما تحرج من « الحرمات »، ذلك أن (الحرمات قصاص)، وفي القصاص حياة لأولي الألباب!..

بل وأكثر من ذلك.. فإننا عندما نتأمل آيات « القتال » في سورة « براءة » - التوبة - تلك التي يرجف بها المغرضون فيقولون: إنها تشرع لنشر الإسلام بالسيف، وإنها لذلك قد خلت من « البسملة » حتى لا تفتتح بذكر « الرحمن الرحيم »؟! - **حتى آيات القتال في هذه السورة نراها تأمر المسلمين بقتال من نقض العهد وغدر بالمواثيق، دون الذين استقاموا على عهدهم، رغم أنهم مشركون؟!**..فهي تشرع للفتح، حتى يعود المهاجرون الذين أُخرجوا من ديارهم إلى تلك الديار.. وحتى ينال الناكثون للعهود ما يستحقون من تأديب.. وحتى تأمن الدعوة الإسلامية غدر هؤلاء الناكثين.. فما فيها من عنف مشروع لا علاقة له « بالعدوان » ولا بنشر « الدين » عن طريق « القتال »..

﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ۝٦ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١ - ٧].

... ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢ - ١٥].

فرغم أن المناسبة كانت محاطة بنضج الظروف السياسية لفتح المسلمين لمكة، **وهو الفتح الذي يـمثل « عودة » المهاجرين إلى الوطن الذي « أُخرجوا » منه قسرًا وظلمًا وعدوانًا..** ورغم ما يمثله هذا « الفتح » من شرط ضروري لتأمين الدعوة الإسلامية وضمان حرية دعاتها في شبه الجزيرة؛ بالقضاء على البؤرة المشركة المحركة للقوى المناوئة للدين الجديد.. رغم كل ذلك، فلقد ظل الأمر الإلهي بالقتال - في سورة التوبة - محكومًا بالنهج الإسلامي الأصيل: **أن لا عدوان إلا على المعتدين الظالمين الناكثين للعهود!..** ولم يكن ذلك بالأمر الغريب على أهل دين رسم لهم دينهم ذلك النهج.. **فلم يكن القتال الإسلامي غاية للإسلام ولا للمسلمين، وإنما كان سبيلًا لكسر الطوق الظالم عن المستضعفين الذين يئنون تحت وطأة المشركين:**

﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ (١) ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٤ - ٧٦].

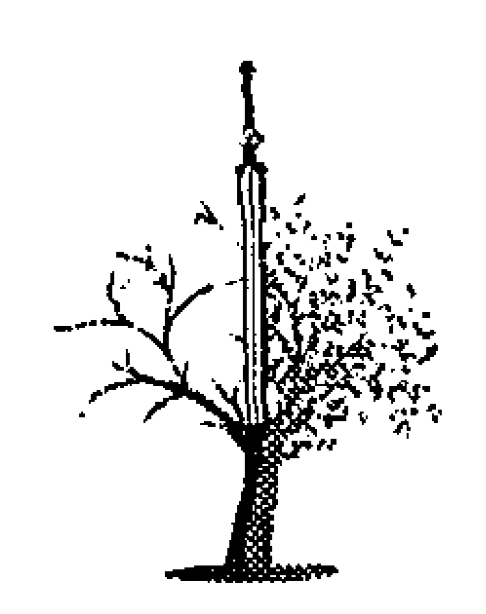
فهو قتال في سبيل اللّه، ولتحرير المستضعفين، يجابه به المسلمون الطاغوت، الذي يعني الطغيان والعدوان والتطاول ومجاوزة الحدود.. ولم يكن، بحال من الأحوال، وما كان له أن يكون قتالًا لإدخال الناس في دين الإسلام، ولا سبيلًا لقهر القلوب

---

(١) المراد مكة، قبل الفتح.

على التدين بالدين الجديد.. ذلك أن العلاقة منبتَّة والصلة مقطوعة بين « الإيمان » وبين « الإكراه »، ومن ثم فإنها منبتَّة ومقطوعة بين « القتال » وبين انتشار الإسلام.. فلم تكن لغزوات الرسول ﷺ، ولا لحروب المسلمين وفتوحاتهم تلك الصبغة والفلسفة « الدينية »، التي تجعل نشر العقيدة هدفًا من أهداف الجهاد الإسلامي وغاية من غايات القتال في سبيل اللَّه.

* * *



الإيمان.. والإكراه

في الحديث عن سبيل الإنسان إلى تحصيل « الإيمان » الديني، وهل من الممكن أن يكون « الإكراه » – الذي هو ثمرة طبيعية للحرب الدينية – سبيلًا من سبل تحصيل « الإيمان » الديني؟.. في هذا الحديث تبرز لنا بدهيات عقلية لا يصح أن تغيب عن عقل باحث متأمل في هذا الموضوع، بدهيات تتعلق بطبيعة « الإيمان » بالدين، ومن ثم بالسبل التي يمكن بها – دون غيرها – تحصيل هذا « الإيمان ».

« فالإيمان ».. هو تصديق بالقلب، أي: يقين قلبي يستقر في داخل الإنسان، أما الأعمال الظاهرة – ومنها الشعائر والعبادات – فإنها « إسلام »، أي: ترجمة وبيان لما في قلب الإنسان، تتخذ صورة الطاعة والانقياد، وإسلام الوجه لرب الدين ﷻ.. وقد تكون هذه الطاعة مصنوعة ومصطنعة إذا خلا القلب من الإيمان الحقيقي، أي: إذا افتقد التصديق البالغ درجة اليقين..

وما دام « الإيمان » تصديقًا قلبيًا يبلغ حد اليقين، وخافيًا عن الأعين، ومستعصيًا على رقابة الرقباء ورصد الراصدين، فإن حصوله وتحصيله، بداهة، لا يمكن أن يتم إلا بالإقناع والاقتناع؛ ذلك؛ لأن الإكراه والجبر والترهيب قد يثمر « إسلامًا » و « تسليمًا » وقد يؤدي إلى « نفاق »، بينما يظل القلب خاليًا من « التصديق اليقين »، أي: خاليًا من الإيمان، ومن هنا كانت بداهة القرآن البسيطة والمعجزة معًا! عندما حدد الله فيه للرسول ﷺ سبل الدعوة إلى سبيله، فقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]... فالناس، في الفكر، طبقات متفاوتة.. منهم أهل النظر والتدبر والتأمل، ودعوة هؤلاء إلى الدين سبيلها « الحكمة » – وهو المصطلح العربي الإسلامي المرادف لمصطلح « الفلسفة » – ومنهم العامة والجمهور، ودعوتهم إلى الدين سبيلها « الموعظة » والأدلة الخطابية الوعظية التي تتوجه إلى المشاعر والقلوب. ومنهم أوساط يتوسطون بين أهل الحكمة وعامة الجمهور، وطريق الجدل هو المفيد في إقناعهم واجتذابهم إلى سبيل الله.

وتحديد هذه الوسائل، كطرق وحيدة لتحصيل الإيمان، ينفي، بداهة أيضًا، أن يكون الإكراه - والقتال إكراه مسلح وعنيف - سبيلًا من سبل تحصيل الإيمان.. والقرآن الكريم يعبر عن هذه الحقيقة البدهية، فيقول تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فهو يؤسس أمر الإيمان على الحرية والاختيار عند الإنسان، وينفي أن يكون القسر والجبر سبيلًا لتحصيله، حتى ولو كان هذا القسر والجبر من الله ﷻ وهو القادر على كل شيء؛ لأنه يقول - تعالى -: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] [١].

ونفي الله - سبحانه - أن يكون « الإكراه » سبيلًا لتحصيل « الإيمان » يسهم في تفسير طبيعة مهمة الرسول ﷺ، وطبيعة وسائله لنشر دين الإسلام، فهو « مذكِّر » بدين الله، وليس « بمسيطر » على القلوب حتى يكرهها على الإيمان: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

.. وفي هذه الآية « المحكمة » التي لم يصبها « النسخ » - على الأصح - يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/١٨٤٩ - ١٩٠٥م): « **إنها تحدد الأمر الذي بعث الله لأجله نبيه محمدًا ﷺ، وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم، فليس في سلطانه ﷺ، أن يخلق الاعتقاد فيهم، ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيبًا على قلوبهم، ولا مسيطرًا - أي: متسلطًا - عليهم.. فالقهر لا يُحدث إيمانًا، والإكراه لا أثر له في الدين..** » [٢].

والإسلام عندما ينبه، من خلال قرآنه الكريم، على أن الإكراه في الدين مرفوض؛ لأنه لا يمكن أن يثمر إيمانًا يعتد به الله - سبحانه - فإنه يعلمنا - كما يرى الإمام محمد عبده - ضمن ما يعلمنا - حقيقتين مهمتين:

---

(١) وانظر في هذا المعنى تفسير الكشاف للزمخشري (٣٨٧/١)، طبعة بيروت، دار الفكر، مصورة عن طبعة الحلبي المصرية.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٣٩٦/٥)، دراسة وتحقيق/ د. محمد عمارة، طبعة بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة (١٩٧٢م)، وطبعات دار الشروق، سنة (١٩٩٣م)، وسنة (٢٠٠٦م)، وطبعة مكتبة الأسرة، سنة (٢٠٠٩م).

الأولى: أن ما شهده تاريخ انتشار الأديان - خاصة قبل ظهور الإسلام - من حروب أكرهت أقوامًا على اعتناق الدين، هي نشاطات سياسية وحروب سياسية لا علاقة لها بالدين، حتى وإن رفع أصحابها أعلام الدين واستظلوا بألويته وراياته.. فليست هناك حروب دينية؛ لأن غايات الدين والإيمان بعقائده لا تتحقق بالإكراه - والحرب والقتال إكراه مسلح وعنيف - وما سمي بالحروب الدينية إن هو إلا نشاط سياسي وقتال سياسي، لا ديني.. « **لقد كان معهودًا عند بعض الملل حمل الناس على الدخول في دينهم بالإكراه.. وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين؛ لأن الإيمان - وهو أصل الدين وجوهره - عبارة عن إذعان النفس، ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه، وإنما يكون بالبيان والبرهان.. ومن هنا كانت آية:** ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. **قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام وركنًا عظيمًا من أركان سياسته، فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أحدًا من أهله على الخروج منه...** ».

والثانية: أن الجهاد في سبيل اللَّه - وهو أعم من القتال؛ لأنه يشمل « بذل ما في الوسع من القول والفعل » واحتمال المشقة بوجه عام، وبمختلف السبل - إن هذا الجهاد - والقتال منه بوجه خاص - على عكس ما يدعي البعض - ليس ركنًا من أركان الدين، بل وليس من جوهر الدين ومقاصده.. فالقتال ليس سبيلًا من سبل الدعوة إلى الدين، وهو لم ولن يكون أداة من أدوات تحصيل اليقين والتصديق القلبي، الذي هو « الإيمان »، وإنما هو - الجهاد القتالي - أداة دفاعية يستخدمها المسلمون لحماية حرية الدعوة والدعاة وحرية الاعتقاد، إذا اعتدى عليها المعتدون.. « **فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار، أي: أنه ليس من جوهره ومقاصده، وإنما هو سياج له، فهو أمر سياسي لازم له للضرورة، ولا التفات لما يهذي به العوام، ومعلموهم الطَّغَام** [1]**؛ إذ يزعمون أن الدين قام بالسيف، وأن الجهاد مطلوب لذاته، والقرآن - في جملته وتفصيله - حجة عليهم..** » [2].

ونحن نستطيع أن نطمئن كل الاطمئنان إلى صياغة الإمام محمد عبده لهذه

---

(١) الطغام - بفتح الطاء والغين - مفردها طغامة: الأراذل والحمقى.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٧٣٢/٤، ٧٣٣).

القضية.. قضية أن الجهاد – والقتال منه بخاصة – ليس دينًا، أي: ليس ركنًا من أركان الدين، ولا ذا طبيعة وفلسفة دينية، ولا هو من جوهر الدين ومقاصده، وإنما هو أمر سياسي، علاقته بالدين لا تتعدى علاقة السياج اللازم لحرية الدعوة إلى الدين وحرية الدعاة وحرية الاعتقاد.. علاقة هذا السياج بما في داخله من شروط للحرية وأركان لحرية الدعوة والاعتقاد.. نستطيع أن نطمئن لهذه الصياغة، بل وأن نزداد اطمئنانًا، إذا نحن بحثنا عن أركان الإسلام فوجدناها خمسة: شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه.. وإقامة الصلاة.. وإيتاء الزكاة.. وصوم رمضان..وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا.. فهي أركان خمسة، وليس فيها الجهاد ولا القتال [١]!..

وكذلك الحال إذا نحن بحثنا عن أركان الإيمان.. فهي ستة: الإيمان باللّه.. والملائكة.. والكتب المنزلة على الرسل.. والتصديق بالرسل.. واليوم الآخر.. والتسليم بالقدر.. فهي أركان ستة، وليس فيها الجهاد ولا القتال!..

وكذلك الحال إذا نحن بحثنا عن أركان الإحسان.. تلك التي تلخصها عبارة: « **أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك!..** » وكما هو واضح، فليس فيها أيضًا – إشارة إلى الجهاد والقتال!..

وكذلك إذا نحن بحثنا عن أصول الإيمان.. وهي ثلاثة: الألوهية.. والنبوة.. واليوم الآخر.. وليس فيها الجهاد ولا القتال [٢]!..

هكذا حدد الإسلام القضية.. **فالإيمان تصديق ويقين قلبي لا سلطان لبشر عليه.. ومن ثم فإن السبيل إليه هو الإقناع والاقتناع، المتمثلان في الدعوة بالحكمة، والموعظة، والجدل.. ولا إكراه في الدين، ومن ثم فليس هناك قتال ديني ولا حرب دينية، اللهم إلا من حيث كونهما أداة سياسية يقف استخدامها عند حدود حماية الدعوة وحرية الدعاة إليها وحرية الاعتقاد بها من عدوان المعتدين.**

أما أولئك الذين يجهدون أنفسهم ويجهدون الحقائق – النصوص – ليوهموا العامة أن القتال ركن من أركان الإسلام، لمجرد أن اللّه قد « كتبه » على المسلمين، مستخدمًا الفعل « كتب »: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا

(١) ابن تيمية، منهاج السنة (١/٧٠ – ٧٢)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٢م).

(٢) الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص ١٥)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٠٧م).

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وأنه سبحانه – قد استخدم ذات الفعل – « كتب » – في تقرير فرضية الأركان الإسلامية، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أما أولئك الذين يستندون إلى هذا الاتفاق في استخدام الفعل « كتب » قافزين إلى القول بأن في ذلك الدليل على أن « القتال، مثل الصلاة والصوم، من أركان الإسلام.. » [1].. أما هؤلاء فإن « حجتهم » لا تصمد حتى للنظرة الأولى في آيات القرآن الكريم.. ذلك أننا واجدون آيات القرآن تستخدم الفعل « كتب » في تبيان تشريع اللّٰه لأمور كثيرة، ليست كلها « أركانًا » بل ومنها ما ليس من « الفرائض » في شيء!!..

– « فالقصاص ».. قد « كتبه » اللّٰه على المؤمنين.. ولم يقل أحد: إنه من أركان الإسلام: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

– و « الوصية ».. يوصي بها الميت، قد « كتبها » اللّٰه. ولم يقل أحد: إنها ركن من أركان الإسلام:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠].

– « وحقوق يتامى النساء ».. « كتب » اللّٰه مراعاتها.. ولم يزعم زاعم أنها من أركان الإسلام:

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ فِى يَتَـٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَـٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٧].

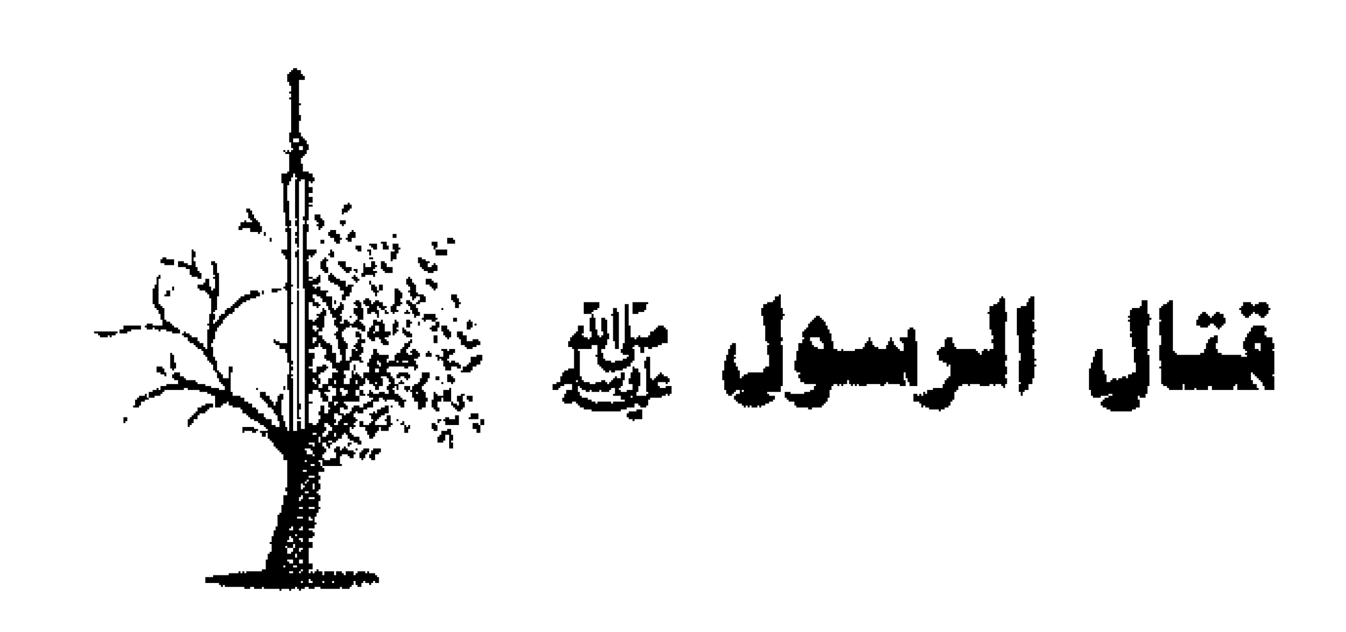
---

(١) الإمام الشهيد حسن البنا، رسالة الجهاد (ص ٦٥، ٦٦)، طبعة القاهرة، ضمن مجموعة عنوانها: الجهاد في سبيل اللّٰه، سنة (١٩٧٧م).

فاستخدام الفعل « كتب » عند حديث القرآن الكريم عن « القتال » لا يمكن أن يدخل « القتال » ركنًا من أركان الإسلام، فيجعله « دينًا » يتدين به الإنسان.. ذلك أن علاقة « الدين » « بالوسائل والسبل » التي تقتضيها حماية دعوته وحرية دعاته – وإن لم تصل إلى درجة « المغايرة والانفصال » – فإنها لا ترقى إلى درجة « الوحدة والاتحاد »!..

إنه، كما قال الإمام محمد عبده: « **ليس من جوهر الدين ولا من مقاصده، وإنما هو سياج له، وهو، لذلك، أمر سياسي تقتضيه الضرورة.. ولا يطلب لذاته...** » على عكس ما يهذي به العوام ومعلموهم الطَغَام؟!..

* * *



قتال الرسول ﷺ

ولقد كان قتال الرسول ﷺ، والغزوات التي غزاها والحروب التي وجه إليها صحابته، كانت كلها تطبيقًا لذلك القانون الإلهي، والبديهي، والعقلاني: لا إيمان عن طريق الإكراه، والقتال والجهاد الحربي: سياسة، وليس مقصدًا دينيًا، ولا مكان له في دنيا الإسلام وعالم المسلمين إلا إذا اعتدى المعتدون على حرية الدعوة وأمن المؤمنين وحركة الدعاة ووطن المسلمين.

لقد مكث الرسول ﷺ، بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو أهلها إلى التوحيد الديني، فلم يجبه من أهلها إلا نفر قليل.. ولو تخيلنا وافترضنا أن أهل مكة وملأ قريش قد تركوا الرسول ﷺ وشأنه، وخلوا بينه وبين دعوته الدينية، وكفوا أذاهم عنه وعن أصحابه وأتباعه، حتى مع بقائهم على شركهم، لما كان هناك قتال من الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين، ولما فرض الله وكتب على المسلمين القتال؛ لأن حرية الدعوة مكفولة وأمن المسلمين مصان.

والقرآن الكريم عندما يعرض لقضية الحرب والقتال يؤكد هذه المقولة التي سقناها في هذا الافتراض..

ففي البداية.. وبعد ما تعرض له المسلمون من أذى في عقيدتهم وفتنة عن دينهم واضطهاد تصاعد حتى اقتلعهم من وطنهم - مكة - وجعلهم يهاجرون إلى « يثرب » - المدينة - بعد أن هاجر منهم كثيرون إلى « الحبشة ».. في البداية، وبعد أن هاجر الرسول ﷺ، أذن الله - مجرد إذن - للمؤمنين في القتال.. وهو لم يأذن لهم في القتال كي يكون وسيلة لفرض العقيدة والإيمان؛ لأن ذلك - بالطبع والقطع - مستحيل، وإنما أذن لهم في ذلك سياسة يردون بها على الظلم الذي لحقهم، والذي تمثل في التضييق الشديد على دعوتهم الإلهية، والفتنة للمستضعفين منهم عن دينهم الجديد - والفتنة أشد من القتل - وأيضًا - وهذا هام ومهم - كحرب وطنية ضد أولئك الذين اقتلعوهم من ترابهم وديارهم، وأجبروهم على الهجرة من موطنهم

الأصلي والمحبوب، مكة المكرمة..ونحن نلحظ تركيز القرآن الكريم على هذا الجانب الوطني من جوانب الصراع المسلح الذي قام بين المسلمين والمشركين.. يذكره دائمًا كسبب مهم من أسباب شرعية ومشروعية القتال، ويُذَكِّرُ به المسلمين كي يثير حماسهم للقتال، بل ويستفزهم به ويستنفرهم بواسطته لملاقاة الأعداء الذين أخرجوهم من الديار وسلبوا منهم حقهم الطبيعي والمقدس في العيش بالوطن الذي ولدوا وشبوا وترعرعوا فيه!..

فعندما أذن اللّه - سبحانه - للمؤمنين في القتال، كان إخراجهم من ديارهم - وهو قضيتهم الوطنية، بتعبيرنا الحديث - سببًا علل به القرآن الكريم هذا التطور الجديد المتمثل في الإذن بالقتال.. قال - سبحانه -:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠] [1].

وعندما تطور الحال من « **الإذن** » في القتال إلى « **الأمر** » به جاء، حديث القرآن الكريم، أيضًا، فوضع قضية المهاجرين الوطنية - وهي إخراجهم من ديارهم - سببًا لأمر اللّه إياهم بقتال الذين أخرجوهم من الديار: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٢] [2].

وعندما انتقل القرآن الكريم، في تشريعه للقتال، من « **أمر** » المؤمنين به إلى حيث جعله « **فرضًا واجبًا** » عليهم، استمر حديثه عن قضيتهم السياسية الوطنية - إخراجهم من ديارهم - كسبب يوجب عليهم ويفرض قتال الأعداء.. وفي ذلك قال اللّه - سبحانه -: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ

---

(١) وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٢/٦٨)، طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٢/٣٤٧).

ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦، ٢١٧] [١].

ثم استمر ذلك مذهبًا للقرآن الكريم.. كلما حدَّث المسلمين عن القتال ودعاهم إليه واستنفرهم إلى خوض غماره كان حديثه إليهم عن إخراجهم من ديارهم كسبب للقتال وداعية تدعوهم إلى معاناة مشاقه وتقديم قربانه ودفع ضريبته.. وفي الوقت الذي التزم فيه ذلك لم يحدثهم مرة واحدة عن أن القتال طريق لنشر الدين بفرض الإيمان وغرسه في القلوب، ولا على أنه عقاب للمشركين على عدم الدخول في الدين الجديد!..

فهو يحدث الرسول ﷺ، عن تآمر قريش لاقتلاعه من وطنه مكة:

﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ [٢] أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] [٣].

وفي موطن آخر يتحدث إليه قائلًا:

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٦]. كما يحدثه عن جريمة ملأ قريش، المتمثلة في اقتلاعه من وطنه فيقول: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴾ [محمد: ١٣].

كذلك يتحدث القرآن الكريم إلى المؤمنين حاثًّا إياهم على قتال المشركين، ومستثيرًا لهم بأن هؤلاء المشركين قد أخرجوهم وأخرجوا نبيهم ﷺ من ديارهم، فلا بد، لهذا السبب، من التصدي لهم بالقتال.. يقول - سبحانه - للمؤمنين: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ

(١) وانظر: الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٤/٥٧٥، ٥٧٦).

(٢) أي: يحبسوك، أو يثخنوك بالجراح.

(٣) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٩٧).

وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣، ١٤].

وفي مقام آخر يعاتبهم، ويستفزهم، فيذكرهم بذات القضية.. يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٣٨ - ٤١].

فإذا كان المقام مقام الحديث عن المكانة التي أعدها اللّه للمؤمنين الذين استجابوا لدعوته كان مقام الذين قاتلوا انتقامًا من الذين أخرجوهم من ديارهم واقتلعوهم من وطنهم، كان مقامهم عاليًا وملحوظًا: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وإذا كان المقام مقام اختصاص بالفيء والمال، فإن الفقراء، الذين تسبب اقتلاعهم من وطنهم في إفقارهم، بعد أن لم يكونوا كذلك، هم الأولى بالاختصاص: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٧، ٨].

هكذا يذكر القرآن الكريم - عندما يتحدث عن القتال - إخراج المشركين للمؤمنين من ديارهم، سببًا يجب من أجله القتال، وقضية يستنفر المؤمنين كي يقاتلوا

لحلها، حتى يستردوا وطنهم الذي اقتُلِعوا منه من تحت سلطان المشركين.. ومن هنا فإننا لا نعدو الحقيقة إذا نحن قلنا: **إن فتح المسلمين لمكة، في السنة الثامنة من الهجرة، كانت حرب تحرير سياسية، بالمعنى الدقيق لهذا التعبير.. فالمسلمون لم يفرضوا الإيمان بالإسلام – كدين – على أهل مكة عندما جاء نصر اللّه والفتح، وإنما هم تركوا ضمائرهم وقلوبهم كي يسلك الإيمان إليها دربه الطبيعي: الإقناع والاقتناع.** ولقد عبر الرسول ﷺ عن ذلك الموقف السامي عندما قال لهم: « ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢]. **اذهبوا فأنتم الطلقاء!** ».. بل لقد تألف قلوبهم بالعطاء الكثير!.. ولم يؤدب أولئك الذين كانوا يبكون ويولولون عندما تهاوت الأصنام التي كانوا يعبدون!.. **فالذي صنعه وفرضه الفاتحون المسلمون ليس هو « الإيمان »، وإنما هو « تحرير الوطن » الذي سلبه المشركون من المؤمنين قبل ثمانية أعوام!...** وهو الوطن الذي يشهد لحبه والتعلق به كلمات الرسول ﷺ، يوم هجرته منه، عندما أخذت خطواته تباعد بينه وبين تراب مكة، فلقد التفت إليها، مودعًا، ففاضت كلماته التي تقول: «.. **اللّهم أنتِ أحب البلاد إلى اللّه، وأحب البلاد إليّ، ولولا المشركون من أهلك أخرجوني لما خرجت منك!**».. وعند ذلك جاءه الوحي الأمين بقول اللّه – سبحانه –:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [محمد: ١٣].

لقد قاتل المشركين ست سنوات؛ لأنهم أخرجوه وأصحابه من أرضهم وموطنهم، واعتدوا على حقهم الطبيعي في الدعوة – بحرِّية – إلى دينهم الجديد.. وطوال هذه السنوات لم يفارقه الحنين إلى الوطن – مكة – حتى لقد كان يدعو ربه فيقول: « **اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة..!** » [(١)] عندما يستبد به الشوق، وتستثيره أبيات الصحابي بلال بن رباح في الحنين إلى مكة ومعالمها، وفيها يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... « بفخ »، وحولي « إذخر » و « جليل »

وهل أَرِدَنَّ يومًا مياه « مجنة » ... وهل تبدون لي « شامة » و « طفيل »؟!

---

(١) انظر: الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي (١٨٤/٤)، دراسة وتحقيق/ د. محمد عمارة، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة (١٩٧٧م).

وعندما جاء العام الثامن للهجرة قاد الرسول ﷺ المسلمين فاستردوا الوطن الذي أخرجوا منه قبل ثماني سنوات.. فكان ذلك دليلًا آخر على أن القتال في الإسلام والجهاد الحربي هو سياسة، ينهض العامل الوطني بالدور الأكبر في شرعيته ومشروعيته.. وليس سبيلًا لفرض الدين وغرس العقيدة وتحصيل الإيمان!..

* * *



قتال الصَّحابة ﷺ

ولم يَقلّ الطابع السياسي للقتال الذي حدث في عصر الصحابة - رضوان اللّه عليهم - عما كان عليه في عصر الرسول ﷺ، بل لعله كان أشد وضوحًا وأبرز للعيان.

وفي عهد الصحابة حدثت أنواع من الحروب، تمثلت في العديد من المعارك القتالية التي غطت، تقريبًا، كل عصر صدر الإسلام.. وأنواع الحروب هذه يمكن تصنيفها إلى:

١ - حروب ضد القبائل العربية التي « ارتدت » عن الإسلام قبل وفاة الرسول ﷺ.

٢ - وحروب ضد القبائل العربية التي « ارتدت » عن وحدة الدولة العربية الإسلامية عقب وفاة الرسول ﷺ، وعند تولي أبي بكر الخلافة.

٣ - وحروب الفتوحات التي وصلت بحدود الدولة إلى فارس والشام وإفريقية.

٤ - وحروب علي بن أبي طالب ضد خصوم حكمه.. من طلحة بن عبيد اللّه، والزبير بن العوام، إلى معاوية بن أبي سفيان، وأهل الشام، إلى الخوارج.. ثم حروب الخوارج ضد الأمويين، والتي امتدت فاتسعت لتشمل غيرهم من تيارات الفكر والسياسة في الإسلام..

فما طبيعة تلك الحروب؟.. وما مكان « السياسة » في ذلك القتال؟.. وأين كان « الدين »؟ بمعنى: هل كانت هذه الحروب - أو بعضها - حروبًا دينية استهدف منها أصحابها فرض العقيدة الدينية على الخصوم؟.. لننظر حتى نعرف الجواب:

١ - حروب الردة في حياة الرسول ﷺ:

قبيل وفاة الرسول ﷺ، وعند وفاته « ارتدت » عدة قبائل عربية عن الإسلام، فأعلنت رفض سلطة الدولة العربية الإسلامية التي توحدت تحت حكم الرسول ﷺ بعد فتوحات المسلمين وغزواتهم في شبه الجزيرة، وأعلنت تلك القبائل الاستقلال عن دولة « المدينة ».. وكان هذا جانبًا سياسيًا، وليس دينيًا، واضحًا في حركة « الردة » هذه.. ولكنها كانت « ردة » ضد « دولة » يحكمها « نبي »، فزعم قادة هذه « الردة »

أنهم هم الآخرون « أنبياء »!.. فعرف التاريخ ذلك العدد من « المتنبئين »!..

• **الأسود العنسي** (عيهلة) بن كعب بن عوف العنسي (١١هـ/٦٣٢م) وهو الملقب « بذي الخمار ».. كان كاهنًا، وهو أول المرتدين، بدأ عصيانه من « كهف خبان »، باليمين، ومعه « عنس »، وهم بطن من قبيلة « مذحج »، فاستولى على المنطقة الممتدة من صنعاء إلى عُمان إلى الطائف.. وكانت ردته سنة (١١هـ)، قبل وفاة الرسول ﷺ، ولقد حاربه المسلمون، وقتلوه غيلة، فانهزم أنصاره قبل وفاة الرسول ﷺ بليلة واحدة، فلم تدم ردته وعصيانه أكثر من ثلاثة أشهر!..

• **وطليحة بن خويلد الأسدي** (٢١هـ/٦٤٢م) من أسد خزيمة.. بدأت ردته وادعاؤه للنبوة في حياة الرسول ﷺ، فقاتله المسلمون حتى ضعفت شوكته، ثم عادت فقويت عقب وفاة الرسول ﷺ.. وكان أكثر أتباعه من قبائل أسد، وغطفان، وطيء، ثم عبس، وذبيان.. وبعد هزيمته النهائية فر إلى الشام، ثم عاد فآمن بالإسلام!..

• **ومسيلمة بن حبيب (الكذاب)** (١٢هـ/٦٢٣م) وكان كاهنًا في قبيلة كبيرة تتدين بالنصرانية هي « بنو حنيفة »، تقطن اليمامة، بين نجد والأحقاف، في موطن أقرب إلى نجد من الأحقاف.. ولقد بدأت ردته قبل وفاة الرسول ﷺ، واستمرت بعدها، حتى قضى عليها المسلمون.

• **وسجاح بنت الحارث** بن سويد بن عقفان (٥٥هـ/٦٧٥م) من بني تغلب.. وكانت عالمة راسخة في الديانة النصرانية التي كانت تتدين بها قبيلتها.. ولقد زحفت على أرض بني تميم فتبعها منهم البعض، ثم سارت إلى « مسيلمة » فحالفته، وقيل: تزوجته.. وبعد هزيمتهم انسحبت - قيل: إلى البصرة، حيث أسلمت على عهد « معاوية بن أبي سفيان »، وقيل: إلى الجزيرة، حيث ماتت منسية عند أخوالها!..

أولئك هم أبرز « المتنبئين » الذين شقوا عصا الطاعة لسلطة دولة « المدينة » وتمردوا على الوحدة التي أقامتها في شبة الجزيرة، أول دولة عربية أقامها المسلمون.

وفي الحديث عن طبيعة هذه « الردة » وحربها وقتالها.. أدينية كانت ضد « دين » الإسلام؟ أم سياسية كانت ضد « دولة » الإسلام؟.. في الحديث عن هذه الطبيعة، التي صبغت ذلك القتال، لا بد من أن نلحظ ونعي عددًا من الحقائق، أهمها:

(أ) أن عقيدة « التوحيد »، في صورتها التي بلغت الذروة نقاءً، كما بشر بها

الإسلام، لم يذكر التاريخ أن أحدًا من هؤلاء « المتنبئين » قد نالها بالنقص أو الإنكار أو التحريف..

(ب) أن « نبوة » محمد ﷺ، لم يجحدها أحد من هؤلاء « المتنبئين ».

وكل الذي ذكرته مصادر تاريخنا عن هؤلاء « المتنبئين »، في هذا الباب، أنهم أنكروا أن يكون محمد هو النبي الوحيد.. لقد أرادوه نبيًا لقريش، وأراد كل منهم نفسه « نبيًا » لقبيلته ومن غلبت عليه من صغار القبائل وضعاف الأفخاذ والبطون!..

(ج) أن قضية « الوحي »، والاعتقاد بوجوده رباطًا يصل الإله الواحد بالنبي، لم تكن موضع إنكار من هؤلاء « المتنبئين ».. فلقد زعم كلٌّ منهم أنه يوحى إليه، وألقى إلى أتباعه بشيء من السجع الذي زعموا أنه ثمرة الوحي، وهو سجع بقي القليل منه وتناثر في مصادر التاريخ.. فهم لم ينكروا « الوحي »، وإنما أنكروا تفرد محمد - عليه الصلاة والسلام - باستقباله!..

إذن.. فنحن هنا أمام تمردات قبلية، تشق الوحدة التي أقامتها الدولة العربية الإسلامية الوليدة، التي يحكمها نبي قرشي.. فهي انشقاقات ضد الوحدة.. ولأن دولة الوحدة هذه يقودها نبي، فلقد زعم قادة هذه الانشقاقات أنهم هم الآخرون « أنبياء »!.. وكان لا بد من تحريفات يحدثها هؤلاء « المتنبئون » في الدين الذي وحد العرب، طلبًا للتمايز الذي يتطلبه التمرد والارتداد والانشقاق!.. أي: أننا نلمح الطابع السياسي، غير خفي، خلف تلك الغلالة الشفافة، بل المهترئة، التي زعموها « نبوة » لهؤلاء المرتدين!..

ولنا أن نسأل: هل كان باستطاعة واحد من هؤلاء « المتنبئين » أن يقنع عاقلًا من قومه، أو من غير قومه، بأن سجعه السقيم يطاول القرآن الكريم؟!.. وهل كان في وسع عقلاء العرب وحكمائهم أن يضعوا إنسانًا أو فكرًا في كفة ميزان ثم يزعموا أنها يمكن أن توازي الكفة التي نهض عليها محمد بن عبد اللّٰه، ودين الإسلام؟!.. لا نعتقد أن ذلك كان ممكنًا، خاصة وأن الرسول ﷺ كان لا يزال حيًا يشع سلوكه على ما حول « المدينة »، وتنهض معجزته - القرآن - بسحر إعجازها، وهي لأولئك العرب البلغاء أكثر سحرًا وأفعل إعجازًا منها لغير البلغاء من أمثال الذين أتوا بعدهم من الأجيال!..

إذن.. لماذا كان انتشار « الردة » هكذا سريعًا، وشبه شامل؟!.. في اعتقادنا أنه

يصعب تصورها ردة عن « الدين »؛ لأن عظمته وعطاءه يتضاءل دونهما كل بديل.. لكن الأثرة السياسية، والعصبية القبلية، قد دعت القبائل الكبرى إلى أن تتصدى « لدولة » الإسلام، التي حسبوها « دولة قريش »، فأرادوا اقتسام « الميزة السياسية »، فلما وجدوها قد ارتبطت بظهور « النبوة » في قريش، أرادوا اقتسام « ميزة النبوة » أيضًا، **فكان « التنبؤ » الذي زعموه لأنفسهم الستار الذي غلفوا به الطمع في الدنيا، والرغبة في تفكك الدولة، والطموح إلى العودة - في السياسة - إلى ما قبل الوحدة السياسية التي صنعها الرسول ﷺ والمسلمون لعرب شبه الجزيرة.. فهي إذن « ردة سياسية »، حاولت تبرير نفسها وستر عوراتها برداء مهترئ من « التنبؤ » والدين!.. ومن ثم فإن الطابع السياسي والطبيعة السياسية لما دار في حروبها من قتال، أمر لا تخطئه عين باحث يحترم العقل عندما ينظر ويبحث عن طبيعة القتال في هذه الحروب.**

ولعل مما يزيد أمر الطابع السياسي لقتال هذه الحروب وضوحًا - إن كانت لا تزال بحاجة إلى مزيد من الوضوح - أن نتأمل في عدد من النصوص والمأثورات التي حفظها لنا التاريخ عن أحداث تلك الحروب وأقوال أقطابها.

• فالأسود العنسي (عيهلة): عندما أعلن عصيانه وأظهر دعوته باليمن كتب إلى قادة المسلمين وعمالهم كتابًا.. وهو في هذا الكتاب لم يدعهم إلى ترك « الدين » الإسلامي، والدخول في دين جديد، كما تكون عادة الأنبياء الجدد، وإنما طلب منهم أن يظلوا على دينهم وعقيدتهم.. فقط طلب إليهم أن يتركوا لأهل اليمن أرضهم وأموالهم!.. لقد قال لهم في كتابه: « **أيها المتوردون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به. وأنتم على ما أنتم عليه** »!!..

فهو إذن، يطلب إلى القرشيين، أو ممثلي الدولة التي يحكمها نبي قرشي، يطلب إلى هؤلاء الذين « وردوا » إلى اليمن من خارجها، أن يدعوا أرض اليمن ومالها لأهلها، فهم أولى به.. إنه يطلب هدم وحدة الدولة، ويرتد عن « التوحيد السياسي »، الذي كان وجهًا لعملة واحدة يمثل « التوحيد الديني » وجهها الآخر.. فهي « ردة » في السياسة، أكثر مما هي « ردة » في الدين!

• و « متنبئ » بني حنيفة: « مسيلمة الكذاب » يعلن، صراحة، في سجعه الذي ألقى به إلى قومه أنه يبشر بفكر سياسي يبغي من ورائه اقتسام الأرض والدولة بين

« بني حنيفة » وبين « قريش »!.. فهو يريد ألا تستأثر قريش بالأرض والدولة.. فلما لم تستجب له أعلن العصيان وارتد عن « الوحدة الإدارية والتوحيد السياسي ».. يقول مخاطبًا الضفادع: « يا ضفدع، نقي نقي، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، **لنا نِصْفُ الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا قوم يعتدون** »!..

وعندما عقد حلفه مع « المتنبئة » « سجاح بنت الحارث »، عرض عليها أن يكون لقومها نصيب قريش من الأرض والدولة، فقال لها: « **لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت!، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش، فحباك به، وكان لها لو قبلت** »!.

ولما ذهب خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبني حنيفة سألهم: « يا بني حنيفة، ما تقولون؟.. قالوا: نقول: منا نبي ومنكم نبي »!.

فقسمة النبوة، هنا، هي التعبير عن قسمة الأرض والسلطة، التي أعلنوا عنها « في سجع الكذاب »!. وقول بني حنيفة هذا لخالد بن الوليد يدل على أن هذه القضية لم يكن وضوحها وقفًا على فكر مسيلمة وخاصته، بل كان وضوحها متعديًا لنطاق الخاصة والقواد.. بل لقد رأيناه من الوضوح عند البعض إلى الحد الذي فضح فكرة ودعوى « نبوة » هؤلاء « المتنبئين » حتى عند الأنصار والأتباع والأعوان!.. فهذا « طلحة النمري » يذهب للقاء مسيلمة في « اليمامة » فيسأل عنه نفرًا من بني حنيفة:

- أين مسيلمة؟
- مه (اصمت)! رسول الله!..
- لا.. حتى أراه!.

فلما أن لقي طلحة النمري مسيلمة دار بينهما هذا الحوار الذي بدأه طلحة:

- أنت مسيلمة؟..
- نعم..
- من يأتيك؟..
- رحمن..
- أفي نور؟ أو في ظلمة؟..

- في ظلمة..

- أشهد أنك كذاب، وأن « محمدًا » صادق. **ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر؟!..**

فهي إذن السياسية، وهي إذن الطموحات القبلية المتعصبة في اقتسام الأرض والمال والسلطة والدولة.. وما غلالة « النبوة والتنبؤ » إلا الستار الذي حاول البعض به ستر الحقيقة عن العوام.. وطلحة النمري يفضح المقاصد عندما يعلن صدق نبوة محمد، وكذب تنبؤ مسيلمة، ولكن العصبية القبلية والأهداف السياسية تجعله يقف مع كذاب « ربيعة » لا مع صادق « مضر »؛ لأن دنياه مع هذا الكذاب، وهو قد قطع صلتها بالدين!..

هكذا تشهد المأثورات لما شهد به التحليل العقلي من وضوح الطابع السياسي للقتال الذي شهدته الحروب التي شبت بين الصحابة وبين هؤلاء « المتنبئين » [1] !..

ويشهد لهذه الحقيقة أيضًا أن حركات « الردة »، التي قامت بعد وفاة الرسول ﷺ، قد غابت منها ظاهرة « التنبؤ » فازداد وضوح طابعها السياسي، وتعرت أهدافها تمامًا من تلك الغلالة « الدينية »؛ لأن غياب صفة « النبوة » عن الخليفة الذي تولى رئاسة الدولة بالمدينة أسقط ضرورة ادعاء « النبوة » لمن يشق عصا وحدة هذه الدولة.

لقد كان « التنبؤ » سلاحًا تسلح به المرتدون على وحدة الدولة؛ لأن قائد هذه الدولة الواحدة كان نبيًا، إلى جانب كونه حاكمًا سياسيًا، فأما وقد انتقل النبي ﷺ، إلى جوار ربه، وتولى الحكم خليفة، غير نبي، فلم تعد هناك ضرورة لادّعاء المرتدين على وحدة هذه الدولة للنبوة.. ومن ثم فلقد وضحت طبيعة الصراع وفلسفته، وغدت القسمة السياسية للقتال والجهاد الحربي واضحة للعيان كل الوضوح.

٢ - حروب الردة بعد الرسول ﷺ:

تجلت عبقرية الصحابة - رضوان الله عليهم - في السياسة، عند وفاة الرسول ﷺ، أول ما تجلت في سرعة اختيارهم لأبي بكر الصديق (٥١ق.هـ - ١٣هـ/٥٧٣ - ٦٣٤م) خليفة للرسول في السلطة الزمنية وحاكمًا أعلى للدولة العربية الإسلامية، فلقد

---

(١) انظر: أخبار حروب الردة هذه في تاريخ الطبري (١٣٧/٣، ١٣٨، ٢٨٦ - ٢٨٨ - ٣٠٠)، طبعة دار المعارف، القاهرة، ونهاية الأرب للنويري (٧٢/١٨، ٧٣)، (٤٩/١٩ - ٦٩، ٧٠ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٨ - ٨٠).

حسموا خلاف الأنصار للمهاجرين حول هذا المنصب في « سقيفة بني ساعدة »، وتمت البيعة لأبي بكر، قبل أن يدفن جثمان الرسول ﷺ.

ولقد وضحت ميزات هذا الحسم السريع عندما أسرعت الأنباء ترد إلى « المدينة » – عاصمة الدولة – بأن قبائل العرب قد انتشرت فيها « الردة » انتشار النار في الهشيم!.. ولقد تبع هذه الأنباء حضور وفود من هذه القبائل إلى المدينة تعلن لقيادة الدولة هذا الموقف الجديد!.. جاءوا يفاوضون، فإذا هم يعلنون بقاءهم على إسلامهم وإيمانهم « بالدين » ولكن مع « الارتداد » عن « الوحدة السياسية والاقتصادية للدولة ».. فهم باقون على عبادة الله وحده، وعلى الإيمان بنبوة محمد ﷺ، يقيمون الصلاة، ويصومون، ويحجون، أما الزكاة فإنهم سيصرفونها في قومهم، أي: محليًا، بين من يستحقونها في مضارب خيامهم القبلية، ولن يدفعوا منها شيئًا إلى الخليفة الحاكم بالمدينة؛ لأنهم لا يعترفون له بما كانوا يعترفون به للرسول من السلطة والسلطان!..

حدث ذلك من عرب شبه الجزيرة، أو قل: من أعرابها، ولم يبق خاضعًا لسلطان دولة الخلافة إلا الحواضر: المدينة، ومكة، والطائف.. أي: لم يبق مع العاصمة إلا قبيلتا: « قريش » و « ثقيف »؟!.. وبعبارة « النويري »: فإنه « **لما قُبضَ الرسول ﷺ، ارتدت العرب كلها إلا قريشًا وثقيفًا، وأتت وفود العرب إلى أبي بكر مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة** »[(١)]؟!..

ولكن الخليفة رفض أن يجيب وفود هذه القبائل إلى ما يطلبون، واستمسك بالوحدة السياسية للدولة، باعتبارها الوجه الثاني لعملة واحدة يحمل وجهها الآخر عقيدة التوحيد في الدين، بل لعله رأى أن الحفاظ على الوحدة السياسية أدخل في اختصاصه، وألزم لمهمته، فهو خليفة وحاكم سياسي للدولة، وليس بنبي أو رسول!.. ومن ثم فلقد صمم على قتال هؤلاء الذين « ارتدوا » عن الوحدة السياسية، على الرغم من اعتراض عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ -٢٣هـ/٥٨٤ - ٦٤٤م)، **الذي استعظم، في البداية، محاربة قوم لم يخلعوا التوحيد في الدين.. لقد نفذت بصيرة أبي بكر وتجلت عبقريته في قراره التاريخي الذي أوجزه في قولته الشهيرة: « والله لو منعوني عِقالاً [(٢)] كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليها »!.. فهو لن يحاربهم حربًا دينية؛ لأنهم على**

---

(١) نهاية الأرب (٦١/١٩).

(٢) العقال بكسر العين: زكاة العام.

التوحيد الديني والإيمان بدين الإسلام قائمون ومستمرون، يصومون ويصلون ويحجون، بل ويزكون، ولكنهم يصرفون زكاتهم في مضارب قبائلهم، ويمتنعون عن دفعها إلى عاصمة الخلافة وبيت مال الدولة.. فلا وجه إذن لمحاربتهم الحرب الدينية.. وإنما سيحاربهم حربًا سياسية، تعيد للدولة وحدتها، وتضمن لهذه الوحدة النمو والتدعيم.

ولقد كان تسليم الزكاة لبيت مال دولة الخلافة، بالمدينة، هو المعيار والرمز لبقاء وحدة الدولة، التي رآها أبو بكر الصديق، بعبقرية أبصرت المستقبل كله لحظة اتخاذه لهذا القرار، رآها الضمان لمجد العرب وتحضرهم، **بل والضمان لبقاء عقيدة التوحيد وانتشارها، أي: لبقاء الإسلام، كدين، وحتى لا يذهب كما ذهبت مذاهب ودعوات عفا عليها الزمن؛ لأنها لم تجد الدولة التي تضمن لها الانتشار فالبقاء!..**

لقد نهض أبو بكر الصديق فحصن المدينة حتى لا تقتحمها القبائل المرتدة، بعد أن رفض الاستجابة لمطلب وفودها.. ثم خرج إلى حيث عسكر بالمسلمين، الذين تأهبوا لحرب فاصلة يعيدون بها الوحدة للدولة، وكان معسكرهم في « ذي القصة ».. وهناك عقد لأمراء الحرب ألوية القتال، ووجههم إلى ميادينه.. عقد لهم أحد عشر لواء:

١ - خالد بن الوليد (٢١هـ/٦٤٢م) لقتال طليحة الأسدي.. ثم لقتال مالك ابن نويرة، بالبطاح.. إن هو استمر على عصيانه.

٢ - وعكرمة بن أبي جهل (١٣هـ/٦٣٤هـ).. لقتال مسيلمة الكذاب، باليمامة..

٣ - والمهاجر بن أمية (بعد ١٢هـ/٦٣٣م).. لقتال جنود الأسود العنسي.. ولمعونة الأبناء على قيس بن المشكوح ومن معه من أهل اليمن.. ثم لقتال « كندة » بحضرموت.

٤ - وخالد بن سعيد بن العاص (١٤هـ/٦٣٥م).. لقتال أهل الحمقتين، من مشارف الشام..

٥ - وعمرو بن العاص (٥٠ق.هـ - ٤٣هـ/٥٧٤ - ٦٦٤م).. لقتال جماع « قضاعة » و « وديعة » و « الحارث ».

٦ - وحذيفة بن محصن الغلفاني.. لقتال أهل دبا..

٧ - وابن هرثمة (بعد ٢٠هـ/٦٤٠م).. لقتال « مهرة ».

٨ - وشرحبيل بن حسنة (٥٠ق.هـ - ١٨هـ/٥٧٤ - ٦٣٩م).. لقتال « قضاعة »، بعد إعانة عكرمة بن أبي جهل في قتال أهل اليمامة.

٩ - ومعن بن حاجز - وقيل: طريفة بن حاجز - لقتال « سليم »، ومن معهم من « هوازن ».

١٠ - وسويد بن مقرن.. لقتال « تهامة »، باليمن.

١١ - والعلاء بن الحضرمي (٢١هـ/٦٤٢م).. لقتال أهل البحرين [١]..

ولقد كانت وصية أبي بكر للجند المحاربين وعهده لأمراء هذه الحرب دليلًا آخر على طابعها السياسي، فهم ذاهبون لقتال قبائل مسلمة، قد « ارتدت » عن الوحدة السياسية للدولة، ولم ترتد عن التوحيد الإلهي في الدين.. ومن ثم فلا بد من التمييز بين الذين ظلوا على إسلامهم وبين الذين خلعوا الدين مع خلعهم وحدة الدولة السياسية.. إذ محال أن نجعل المسلمين كالمشركين!.. قال الخليفة الصديق أبو بكر لجنوده: « **إذا غشيتم دارًا من الناس فسمعتم أذانًا للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم: ماذا نقموا؟!.. وإن لم تسمعوا أذانًا فشنوا الغارة** » [٢]!..

كما تشهد حرب خالد بن الوليد لمالك بن نويرة (١٢هـ/٦٣٤م)، وقتله له، للطابع السياسي - وليس الديني - لهذه الحرب، وتؤكد على أنها كانت « ردة » عن الوحدة السياسية للدولة، ولم تكن - بحال من الأحوال - « ردة » عن « دين » الإسلام.

• فمالك بن نويرة قد فض حلفه مع سجاح بنت الحارث - التي انصرفت إلى أرض الجزيرة - وهو حلف استهدف من ورائه تحقيق أغراض قبلية، منها ثأر كان يطلبه من « بني ضبة ».. ولم يكن حلفًا تنتقص طبيعته من إيمانه بدين الإسلام.

• وهو قد جمع الزكاة وميزها، ولكنه رفض تسليمها لبيت مال دولة الخلافة بالمدينة، وأرجأ التصرف فيها، ثم أصبح متحيرًا من أمره فيها، وخاصة بعد فض حلفه مع سجاح بنت الحارث [٣].. وله في ذلك شعر يفصح عن إيمانه بدين الإسلام، وعن التزامه التعبد بالزكاة، كركن من أركان الإسلام، لكن مع التردد والحيرة في

---

(١) نهاية الأرب (١٩/٦٤، ٦٥).
(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٧٩).
(٣) المصدر السابق (٣/٢٧٦).

مصرفها.. هل يكون في فقراء قومه؟ أو إلى بيت مال الدولة بالمدينة؟.. يقول مالك:

وقال رجال سدد اليوم مالك وقال رجال: مالك لم يسدد
فقلتُ: دعوني لا أبا لأبيكم فلم أخط رأيًا في المقام ولا الندي
وقلت: خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء به غدي
فدونكموها، إنما هي مالكم مصورة أخلاقها لم تجدد
سأجعل نفسي دون ما تحذرونه وأرهنكم يومًا بما قلته يدي
فإن قام بالأمر المجدد قائم أطعنا، وقلنا: الدين دين محمد [١]

• وعندما همَّ خالد بن الوليد بقتال مالك بن نويرة وقومه، عارضه في ذلك صحابة أجلاء، كانوا ساعتئذ جنودًا في جيشه، فلما لم يستجب لرأيهم رفضوا القتال معه ضد مالك وقومه؛ لأنهم - مثلهم - مسلمون!.. وكما يقول الطبري: فلقد « ترددت الأنصار على خالد، وتخلفت عنه، وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا » [٢]؟!..

• ولقد شهد بإسلام مالك بن نويرة وقومه، وبظلم خالد بن الوليد لهم، إذ قاتلهم وقَتل منهم، شهد بذلك كثير من شهود تلك الحرب.. ومن هؤلاء الشهود الصحابي الأنصاري أبو قتادة الحارث بن ربعي - الملقب بفارس رسول الله ﷺ [٣] - فقال: « إنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل! (أي: أفزعوهم ليلًا).. فأخذ القوم السلاح؛ ليدفعوا به عن أنفسهم هذا الذي أفزعهم ليلًا.. قال أبو قتادة:

- « فقلنا: إنا المسلمون!..
- فقالوا: ونحن المسلمون!..
- قلنا: فما بال السلاح معكم؟!..
- قالوا: وما بال السلاح معكم؟!..
- قلنا: فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح!..

قال أبو قتادة: فوضعوها، ثم صلينا وصلوا..؟!.. ومع ذلك حاربهم خالد بن الوليد!.. ».

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (١٧/٢٠٥)، طبعة الحلبي، القاهرة.
(٢) تاريخ الطبري (٣/٢٧٦).
(٣) انظر ترجمته في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير.

• ولقد رأينا عمر بن الخطاب يتحدث إلى أبي بكر الصديق في هذا الأمر، طالبًا القصاص لمالك بن نويرة من خالد بن الوليد، وقائلًا عبارته الشهيرة: « عدو الله! عدا على امرئ مسلم فقتله، ثم نزا [١] على امرأته » [٢]!..

وأيضًا.. يشهد للطابع السياسي لهذه الحرب - حرب القبائل التي خلعت وحدة الدولة ولم تخلع توحيد الإسلام - الدين - شعر الخطيل بن أوس - أخي الحطيئة - الذي يصور، معنى منع هذه القبائل تسليم الزكاة لحكومة أبي بكر الصديق، في المدينة، وفحوى مطالب وفودها التي وفدت إلى المدينة، تقر بالإسلام الدين وتطلب فك ارتباطها بوحدة الدولة السياسية، وكيف أن ذلك كان يعني رفض هذه القبائل لسلطة خليفة قرشي لم يستشاروا في اختياره دون أن يعني رفض الدين الإسلامي؛ لأنهم قد دانوا له وتدينوا به بالحرية والاختيار.. يقول الخطيل بن أوس:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا   فيا لعباد الله ما لأبي بكر؟!
أيورثها بكرًا إذا مات بعده   وتلك لعمر الله قاصمة الظهر
فهلا رددتم وفدنا بإجابة   وهلا حسبتم منه راعية البكر
فإن الذي سألوكم فمنعتم   لكالتمر أو أحلى لحلف بني فهر [٣]!

ولقد كان وراء منع هذه القبائل تسليم الزكاة لحكومة أبي بكر الصديق تخريجًا استخرجوه لأنفسهم، وتأويلًا تأولوا به قول الله ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فقالوا: إنهم كانوا يدفعون الزكاة - الصدقات - إلى من كانت صلاته (سكنٌ لهم) - وهو الرسول ﷺ - وليس كذلك حال أبي بكر الصديق ولا حال غيره، فليس عليهم - وفق هذا التأويل - أن يدفعوا صدقاتهم إلى من لا يستطيع أن تكون صلاته لهم سكنًا!.. ذلك كان تأويلهم.. وهو شاهد آخر على إيمانهم بالدين، ومن ثم على الطبيعة السياسية للحرب التي اشتهرت في تاريخنا باسم « حروب الردة » والتي وصف هذا الطرف من أطرافها بوصف « المرتدين »!..

لكن.. من الحق ومن الواجب أن نسأل: إذا كان الأمر كذلك، فلم اشتهر وصف

---

(١) نزا: وثب. ومن الذكر على الأنثى: سافدها ووطئها.. وأصلها في سفاد ذي الحافر والظلف والسباع.
(٢) تاريخ الطبري (٢٧٦/٣).   (٣) شرح نهج البلاغة (٢١٠/١٣).

هذه القبائل المسلمة بصفة « الردة »، وسموا « بالمرتدين »، هكذا بإطلاق، ودون التمييز بين « الردة » عن الدين بالكفر، وبين « الردة » عن الوحدة السياسية للدولة، بالانفصال السياسي والانشقاق الإداري؟!..

من الحق أن نسأل هذا السؤال.. ومن حسن الحظ أنه قد طرح في تراثنا القديم، وأجاب عليه عدد من أئمة الفكر وأعلام المؤرخين إجابة نزكيها ونتفق مع مضمونها كل الاتفاق.. لقد طرح ابن أبي الحديد (٥٨٦ - ٦٥٥هـ/١١٩٠ - ١٢٥٧م) هذا السؤال، وأجاب عليه.. قال: «.. لم قلت: إن الذين قاتلهم أبو بكر وأصحابه كانوا مرتدين؟!.. فإن المرتد من ينكر دين الإسلام، بعد أن قد تدين به، والذين منعوا الزكاة لم ينكروا أصل دين الإسلام، وإنما تأولوا وأخطؤوا؛ لأنهم تأولوا قول الله - تعالى -: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فقالوا: إنما ندفع زكاة أموالنا إلى من صلاته سكن لنا، ولم يبق بعد وفاة النبي ﷺ من هو بهذه الصفة، فسقط عنا وجوب الزكاة. وليس هذا من الردة في شيء، **وإنما سماهم الصحابة أهل الردة على سبيل المجاز، إعظامًا لما قالوه وتأولوه** »[1]!..

فهل بعد ذلك شك في الطابع السياسي لقتال تلك الحرب؟.. وفي الطبيعة السياسية لذلك الصراع العنيف؟.. وهل يستطيع لفظ « الردة » أن يحجب هذه الطبيعة السياسية عن أعين الباحث وعقل المتأمل ولب المفكر في ذلك الصراع؟..

لا نعتقد.. بل لا نظن!..

٣ - حروب الفتوحات:

أما حروب الفتوحات التي نهضت بها الدولة العربية الإسلامية، وخاصة على عهد عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ - ٢٣هـ/٥٨٤ - ٦٤٤م) فإن وضوح طابعها السياسي، وانتفاء شبهة الحرب الدينية عنها، لا يحتاج إلى تفصيل حديث.. فهي فتوحات لم تفرض عقيدة الإسلام، وإنما امتدت بحدود الدولة السياسية إلى ما وراء شبه الجزيرة العربية، وهي قد تركت لأهالي البلاد المفتوحة حريتهم في الاعتقاد، مسيحيين كانوا أم يهودًا أم مجوسًا، بل لقد أتاحت لهم من الحريات الاعتقادية والدينية فوق ما كانوا يتمتعون به قبل هذه الفتوحات، فقط فرضت على بعضهم

(١) شرح نهج البلاغة (١٨٧/١٣).

ضريبة زهيدة مقابل إعفائهم من ضريبة الجندية والقتال، لأمر اقتضاه أمن الدولة الناشئة وطبيعة التكوين العربي لجيشها المقاتل، ومن شارك من أبناء البلاد المفتوحة - وهو على دينه - في القتال سقطت عنه هذه الجزية (ضريبة الجندية والقتال) [1].

وفتوحات تترك أهل البلاد المفتوحة على عقائدهم الدينية.. وقتال لا يدخل المهزوم في دين المنتصر هو أدخل في السياسية إلى الحد الذي لا يحتاج في إثبات طبيعته هذه إلى دليل، وأبعد عن القتال الديني بُعْد الإكراه والقسر عن أن يكون وسيلة للتصديق القلبي والاقتناع الحر واليقين الباطني الذي لا يرقبه سوى علام الغيوب!..

ويؤكد الطابع السياسي لقتال حرب الفتوحات هذه ذلك الطابع التحريري والمضمون الوطني الذي برز كمحتوى لعملياتها ومعاركها.. فالصراع الحضاري العنيف كان قائمًا، وممتدًّا امتدادًا تاريخيًّا بين الغرب والشرق منذ قرون، وكانت « روما » فيه طرفًا، و « فارس » هي الطرف الثاني، وحروبهما - بما أسفرت عنه من هزائم وانتصارات - هي المد والجزر الذي تمثلت فيه علاقات القوى بين الفريقين.. وكانت فتوحات الإسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٣ق.م) قد حسمت إحدى جولات هذا الصراع لحساب الغرب والبيزنطيين، وأصبح الفرس عاجزين عن قيادة الشرق في هذا الصراع، وعن النهوض بعبء تحرير الشام ومصر والمغرب من سيطرة الروم، فكان ظهور « الإسلام »، بما أحدث من آثار سياسية، وبما أقام من دولة فتية، وبما أنجز من وحدة قومية حولت القبائل العربية إلى جيش باسل في القتال.. كان ذلك الظهور للإسلام إيذانًا بتولي الجماعة العربية زمام القيادة للشرق في هذا الصراع القديم المتجدد، **ومن ثم كانت تلك الفتوحات العربية حركة تحرير لهذه البلاد المفتوحة من حاميات الروم البيزنطيين، أعان العرب المسلمين فيها وساعدهم عليها أهل البلاد الأصليون، مع احتفاظهم بدياناتهم القديمة، بل مع اشتراكهم مع الروم البيزنطيين في الإيمان بدين المسيح!..**

وعلى الجانب الشرقي كان فتح العراق العربي تحريرًا له من سيطرة فارسية ظالمة، وكان فتح فارس ذاتها إنهاء لنظام اجتماعي فاسد، غدا فساده ثغرة في جدار الشرق

---

(١) انظر كتابنا: الإسلام والوحدة القومية (ص ٨٩ - ١٠٦)، طبعة بيروت، الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة (١٩٧٩م)، وانظر - كذلك - ما سيأتي - في هذا الكتاب - عن حقيقة الجهاد.

مكنت منه الغزاة، وغدت مظالمه الاجتماعية والعرقية قيدًا يحول دون أهل فارس ودون الإبداع الحضاري الذي أهلهم له التاريخ والتراث الذي يملكون.

فهي حرب تحرير.. وهو قتال سياسي، اقتضته شئون الدولة وضرورات الصراع العالمي بين الشرق الفتي والغرب المتقهقر.. وليس فيه من الدين والحرب الدينية سوى الأعلام والرايات التي حارب تحت ظلالها المقاتلون!..

٤ - الحروب بين المسلمين:

استخدم المسلمون العنف، والعنف المسلح في صراعاتهم الداخلية، أول ما استخدموه، في ثورتهم التي أنهت عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان (٤٧ق.هـ - ٣٥هـ/٥٧٧ - ٦٥٦م)، وهي الثورة التي انتهت بقتله - عليه رضوان الله.. - ولم يقل أحد، يعتد برأيه من مفكري الإسلام: إن طرفًا من أطراف هذا الصراع العنيف قد كفر بدين الإسلام، ولا أن هذا الصراع كان صراعًا دينيًا يستهدف منه كل طرف فرض عقيدته الدينية على الطرف الآخر، بل لقد أطبق الإجماع على أنه كان صراعًا سياسيًا واجتماعيًا، استهدف الثوار منه تغيير المظالم التي رأوها قد حدثت، وعزل الولاة الذين استبدوا، وخلع الخليفة الذي رفض تنفيذ مطالب الثوار.

وفي عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب (٢٣ق.هـ - ٤٠هـ/٦٠٠ - ٦٦١م) حدثت أول الحروب الحقيقية والكبرى التي كان طرفاها من المسلمين!.. ففي موقعة « الجمل » كان علي وأنصاره في جانب، وطلحة بن عبيد الله (٢٨ق.هـ - ٣٦هـ/٥٩٦ - ٦٥٦م) والزبير بن العوام (٢٨ق.هـ - ٣٦هـ/٥٩٦ - ٦٥٦م) - وهما من العشرة الذين تكونت منهم (هيئة المهاجرين الأولين) - وأم المؤمنين عائشة (٩ق.هـ - ٥٨هـ/٦١٣ - ٦٧٨م) وأنصارهم في الجانب الآخر.. ولم يقل أحد يعتد برأيه من مفكري الإسلام: إن طرفًا من أطراف هذه الحرب قد كفر بالله، أو بدَّل دينه.. بل لقد أجمعوا على الطبيعة السياسية لهذا القتال، فهو قتال على منصب الخلافة، وعلى وجهات النظر التي يراها كل فريق أنجعَ في علاج المشكلات السياسية والاجتماعية التي تفجرت بالثورة على عثمان بن عفان، وبعدها.. **بل لقد كان المنتصر والقاتل يصلي على المهزوم والقتيل، ويواري جثمانه التراب في مقابر المسلمين، ويطلب له الغفران والرحمة من الله!..**

وفي القتال بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان (٢٠ق.هـ - ٦٠هـ/ ٦٠٣ - ٦٨٠م).. كاد إجماع المسلمين أن ينعقد على أن معاوية وأنصاره يمثلون « الفئة الباغية » على أمير المؤمنين علي وأنصاره، وعلى أن قتال هذه الفئة الباغية واجب حتى تفيء إلى أمر اللّٰه.. ومع ذلك فهم مؤمنون مسلمون، وقتالهم سياسة بلغت مرحلة العنف المسلح، وليست دينًا؛ لأن الفريقين أبناء دين واحد، يؤمنون بإله واحد، ويشهدون بنبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - ويحتكمون إلى القرآن الكريم، ويصلون إلى ذات القبلة الواحدة.. وليس بعد شهادة علي بن أبي طالب بإيمان خصومه هؤلاء شهادة تقطع بالطبيعة السياسية لهذا القتال، وتنفي عنه أية شبهة دينية.. فلقد سأل أبو سلامة الدالاتي - وهو من أصحاب علي - سأله عن أمر معاوية وصحبه، فقال:

- « يا أمير المؤمنين، أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا به من هذا الدم (أي: دم عثمان بن عفان) إن كانوا أرادوا اللّٰه بذلك؟..

- نعم!..

- وترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟!..

- نعم!.. إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوط وأعود نفعًا.

- فما حالنا وحالهم إن ابتلينا بقتال غدًا؟!..

- **إني لأرجو أن لا يقتل أحد نقى قلبه، منا ومنهم، إلا أدخله اللّٰه الجنة** » [1]!..

فهو قتال سياسي، بين فرقاء اختلفت وجهات نظرهم في السياسة، والحكم على المواقف فيها داخل في نطاق الخطأ والصواب وليس في الكفر والإيمان.. بل إنه - بنص كلمات علي بن أبي طالب - **قتال بين « أهل الجنة »**؟!..

فلم يكن عليٌّ يشك في عقيدة خصومه، أو يشكك في إيمانهم، وهو الذي يعلم براءة الإسلام من تخويل البشر سلطات دينية تحكم على العقائد والضمائر والقلوب.. ولذلك فهو يتحدث عن « إيمان » خصومه الذي لا يشك فيه، فيقول: « **لقد التقينا (في القتال) وربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في**

---

(١) الباقلاني، التمهيد (ص ٢٣٧)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٤٧م).

الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدونا. والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء » [١]!.. فليس هناك خلاف، يتقاتلون عليه، في: التوحيد، ولا النبوة، ولا دعوة الإسلام وعقائد دينه.. بل إن « الأمر »، أي: السياسة، هو موطن الخلاف، ولا خلاف فيه بينهما إلا في الموقف من قتل عثمان بن عفان، وقتلته.. فهي قضية سياسية، أثارت قتالًا سياسيًا، بين فرقاء كلهم مؤمنون ومسلمون..

وعندما يقحم نفر من « الخوارج » - في ساحة الصراع - مصطلحات: « الكفر » و « الكفار »، يصفون بها عقيدة معاوية بن أبي سفيان وأنصاره، فيبدؤون موجة الانحراف الفكري الذي أصاب الكثير من فرق الإسلام ومدارسه الفكرية، عندما جعلوا السياسية دينًا، و « الخطأ » كفرًا، و « الذنب » شركًا بالله.. عندما يبدأ الخوارج ذلك الانحراف الذي يخلط أمر « الدنيا » بأمر « الدين »، يتصدى لهم الإمام علي ابن أبي طالب، فيعلن قوله: « **إننا، والله، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء (الخوارج) من التكفير والفراق في الدين، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة.. وإنهم لإخواننا في الدين، قبلتنا واحدة، ورأينا أننا على الحق دونهم** [٢] **لقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل** » [٣]..

فعلي بن أبي طالب ﷺ، يقرر أنه إنما يقاتل « إخوانه في الإسلام »!.. وهم جميعًا دينهم واحد، وقبلتهم واحدة.. وليس هناك كفر ولا تكفير لفريق من الفرقاء، أو زعم أو ادعاء بفراقه للدين.. فقط إن الخلاف في « الرأي » و « الأمر »، أي: في السياسة.. فالحرب - إذن - سياسية، والقتال - من ثم - سياسي، لا علاقة له بعقائد الدين وأصول الإيمان [٤]..

هكذا كانت حروب الإسلام، وهكذا كان قتال المسلمين، حماية للدعوة، وتأمينًا للدعاة، وصدًّا للفتنة عن الدين، وثأرًا وطنيًا يسترجعون به وطنهم الذي أخرجهم منه المشركون.. وقتالًا قوميًا يستعيدون به وحدة الدولة التي صدَّع وحدتها « المرتدون »

---

(١) شرح نهج البلاغة (١٧/١٤١). (٢) التمهيد (ص ٢٣٨).

(٣) علي بن أبي طالب، نهج البلاغة (ص ١٤٧)، طبعة دار الشعب، القاهرة.

(٤) ولقد شذت الشيعة الإمامية، فسارت على طريق الخوارج، عندما جعلت هذا الخلاف دينًا، فحكمت بالكفر على الذين قاتلوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. انظر كتابنا: حقائق وشبهات حول الشيعة والسنة، طبعة دار السلام، القاهرة، سنة (٢٠١٠م).

عن الوحدة القومية التي تبلورت للعرب بانتصار الإسلام في شبه الجزيرة العربية.. وحربًا لبناء الدولة، وتحرير الشرق من استعمار البيزنطيين.. وصراعًا على الخلافة أثاره الاختلاف في « الرأي » وتعدد المناهج في حل مشاكل الاقتصاد والاجتماع..

هكذا كانت حروب المسلمين في صدر الإسلام، ومثلها - في الطبيعة والأهداف - كانت كل الحروب التي نشبت بين الفرق الإسلامية على امتداد التاريخ الطويل للإسلام والمسلمين.. وكما يقول الإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/١٨٤٩ - ١٩٠٥م): « **فلقد كان المشركون يبدؤون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم، ولو لم يبدؤوا في كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول ﷺ من بلده، وفتنة المؤمنين وإيذائهم، ومنع الدعوة، كل ذلك كان كافيًا في اعتبارهم معتدين، فقتال النبي ﷺ، كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق، ولذلك كان تقديم الدعوة شرطًا لجواز القتال، وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان.. والله - تعالى - يقول:**

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ويقول: ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين؛ فالله - تعالى - لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع والكسب. ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر الأول لأجل حماية الدعوة، ومنع المسلمين من تغلب الظالمين، لا لأجل العدوان، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت حوزة الإسلام، ويؤذون من يظفرون به من المسلمين، وكان الفرس أشد إيذاءً للمؤمنين منهم. وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك، ولم يكن كله موافقًا لأحكام الدين، فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوي على جاره الضعيف، ولم تعرف أمة أرحم في فتوحها بالضعفاء من الأمة العربية، شهد لها علماء الإفرنج بذلك [١]..

ولم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين والأشاعرة، مع الاختلاف العظيم بينهما، ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة، مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة، سلفيين، وأشاعرة، كما لم يسمع بأن الفلاسفة

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٤/٤٩٥، ٤٩٦).

الإسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها. نعم، سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج، كما وقع من القرامطة وغيرهم، وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد، وإنما أشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة، ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة، ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة. وأما ما كان من حروب الأمويين والهاشميين، فهي حرب على الخلافة، وهي بالسياسة أشبه، بل هي أصل السياسة!.. نعم، وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة، وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية، وبين الحكومة العثمانية والوهابيين، ولكن يتسنى لباحث - بأدنى نظر - أن يعرف أنها كانت حروبًا سياسية، ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم، مع بقاء الاختلاف في العقيدة بين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين [1].. لقد شهر المسلمون سيوفهم دفاعًا عن أنفسهم، وكفًّا للعدوان عنهم، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك. ولم يكن من المسلمين مع غيرهم إلا أنهم جاوروهم، فكان الجوار طريق العلم بالإسلام، وكانت الحاجة لصالح العقل والعمل داعية الانتقال إليه » [2]!..

هكذا كانت طبيعة الحرب وطبيعة القتال وطبيعة الجهاد الحربي المسلح في الإسلام.. سياسية تمامًا، ومدارها: الدنيا والدولة وشئونهما، ولا شبهة يمكن أن تُلحقها بحرب العقائد الدينية التي تستهدف فرض الإيمان والإكراه في الدين، أو قتال الآخرين لمجرد الاختلاف في عقائد الدين.

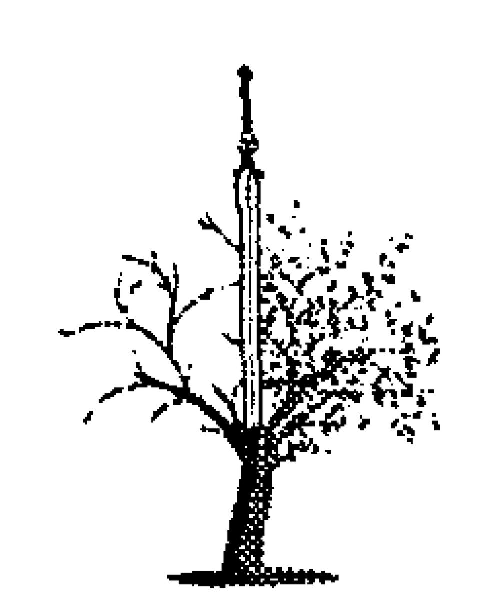
* * *

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٣/٢٥١).

(٢) المصدر السابق (٣/٤٦٢).

مقام الوطن والحرب الوطنية في الإسلام



فلا عجب، إذن بعد الذي تقدم، أن نرى « للوطن » و « الوطنية » مقامًا عاليًا في فكر الإسلام وتراث المسلمين.. ذلك أن الذين يقولون « بالسلطة الدينية » و « وحدة السلطتين، الدينية والزمنية » [1] إنما يغضون من شأن « النزعة الوطنية ».. بل لقد رأينا منهم من يتحدث عنها كصنم وطاغوت يعبدها الوطنيون في المجتمع الحديث ويشركونها في العبادة مع اللّه [2]؟! أما الذين يقولون « **بالطبيعة المدنية** » لسلطة الدولة في الإسلام، وبرفض الفكر الإسلامي للسلطة الدينية و « **الحكم بالحق الإلهي** » - فإنهم لا يعجبون ولا يتعجبون من إجلال الإسلام وتعظيم فكره السياسي لمقام الوطن والوطنية، وحث أمته وأهله على الاهتمام بهما إلى هذا الحد الكبير.. فما دامت السلطة ذات « طبيعة مدنية »، فإن صراعاتها - ومنها القتال - لا بد أن تكون « مدنية الطبيعة » فهو قتال سياسي إذن، حتى وإن أطلق عليه: القتال في سبيل اللّه.. **بل إن جعله في سبيل اللّه يصبح شهادة تمجيد وإعظام وتقديس للقتال في سبيل الوطن والحرب دفاعًا عن حوزة الأوطان!**.. وكيف لا.. واللّه يجعل قتالنا السياسي العادل وحربنا الوطنية المشروعة، ونضالنا المسلح لحماية الوطن وصون استقلاله جهادًا في سبيله وقتالًا يبتغي به المقاتلون وجهه ورضوانه؟!..

بل لقد جعل الإسلام، في قرآنه الكريم، الموقف من « القضية الوطنية » معيارًا يحدد للمسلمين من تجوز لهم مودته ومصادقته والبر به، ومن لا يجوز لهم إنزاله منازل الأصدقاء والأوداء، من غير المسلمين.. فنهانا نهيًا قاطعًا عن أن نصادق أو ننصر أولئك الذين يعتدون على ديارنا، أو يخرجون منها أبناءها المسلمين.

(١، ٢) انظر في دراسة هذه الأفكار ونقدها كتابينا: الإسلام وفلسفة الحكم، طبعة دار الشروق، سنة (١٩٨٩م).. والإسلام والسلطة الدينية، طبعة بيروت، الثانية، سنة (١٩٨٠م)، ولقد أدرجناه بكتابنا: الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، طبعة دار الشروق، سنة (٢٠٠٧م).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١].

فالذين يخرجون المسلمين من أرضهم وينتزعونهم من ديارهم ويقتلعونهم من أوطانهم هم أعداء اللّٰه، كما هم أعداء لهؤلاء المسلمين أصحاب « القضية الوطنية ».. بل إن تكافل الأمة الإسلامية ووحدتها العضوية حول المعتقد، ومن ثم حول المنطلقات والمقاصد والغايات، إن هذا التكافل يفرض على كل أبنائها أن يقفوا موقف العداء من أية قوة تخرج أي جماعة مسلمة من وطنها.. والإخراج من الوطن هنا لا يعني التهجير الاضطراري فحسب، بل يشمل عزل المسلمين عن أن تكون لهم السيادة الفعلية والفعالة في أوطانهم؛ لأنه إخراج لهم من ديارهم حتى ولو كانوا بأجسادهم فيها يعيشون؟!.. إن أية قوة تصنع ذلك بأية جماعة مسلمة - بل بأي مسلم ولو انفرد - هي عدوة للّٰه؛ لأن الإسلام قد رفع العداء في « القضية الوطنية » إلى مرتبة العداء للّٰه، كما جعل القتال في سبيلها قتالًا في سبيل اللّٰه.. واللّٰه - سبحانه - قد نهانا أن نصادق أعداءنا في « الوطنية » فليس لهم عندنا مودة أو موالاة أو نصر بأي حال من الأحوال.

وفي آية أخرى من آيات القرآن الكريم يحدثنا اللّٰه - سبحانه - عن من تجوز مصادقته من المخالفين لنا في الدين؟ وعن من لا تجوز لنا مصادقته من هؤلاء المخالفين؟.. فإذا نحن مطالبون بألّا نصادق ثلاث فئات:

(أ) الذين يقاتلوننا في الدين، بالحيلولة - بواسطة القتال والصراع العنيف - بيننا وبين حرية الدعوة وأمن الدعاة.. أي: يقاتلوننا عداء منهم لحرية الضمير والاعتقاد.

(ب) والذين يخرجون المسلمين أو بعضهم من ديارهم، على أي نحو كان هذا الإخراج: تهجيرًا بالاضطهاد، أو عزلًا عن امتلاك خيرات الوطن والتحكم في مقدراته نتيجة للاحتلال والنهب والاستغلال!..

(جـ) والذين يظاهرون - أي: يساعدون - مجرد مساعدة على إخراج المسلمين من ديارهم وأوطانهم، على أي نحو كانت المظاهرة والمساعدة في القهر الوطني من هؤلاء لأعداء المسلمين!..

نعم.. يوجز اللّه ﷻ أوامره تلك، ويلخص لنا وصاياه هذه في قوله:

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فللمسلمين إذن أن يقيموا علاقات البر والمودة مع مخالفيهم في الدين إذا هم لم يفتنوهم بالقتال عن دينهم، ولم يخرجوهم من أرضهم إخراجًا جسديًّا أو معنويًّا. ولهم أن يقسطوا إلى هؤلاء المخالفين إذا هم لم يصنعوا شيئًا من ذلك.. بل لقد فسر بعض أئمة تفسير القرآن الكريم معنى « القسط » هنا بما هو أكثر من « العدل »؛ لأن العدل واجب على المسلمين دائمًا وأبدًا، مع الموافقين والمخالفين، الأصدقاء منهم والأعداء.. واجب « فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل! ».. وقالوا: إن معنى ﴿ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة: ٨]: « أي: تعطوهم قسطًا من أموالكم على وجه الصلة! »[1].

إلى هذا الحد تجب المودة ويلزم البر ويتعين القسط للذين لا يتخذون من أوطاننا وقضيتنا الوطنية موقف عداء.. وفي المقابل ينهانا اللّه - سبحانه - عن التولي - مجرد التولي - لمن يتخذون موقفًا عدائيًّا من قضايانا الوطنية، مباشرةً كان عداؤهم هذا أو بمجرد مظاهرتهم ومناصرتهم لهؤلاء الأعداء!.

بل لقد بلغ القرآن الكريم بقضية الوطن وعقيدة الوطنية الذروة عندما جعل الحفاظ على استقلال الوطن والدفاع عن حوزته، بشجاعة أهله واستبسالهم، الأمر الذي يحقق للمواطنين المعنى الحقيقي للحياة!.. وبالمقابل جعل الجبن والفرار والتفريط في حرية الوطن واستقلاله موتًا لهؤلاء المواطنين الذين فرطوا في وطنهم وأهملوا مشاعرهم الوطنية.. فهم بفقدانهم استقلال وطنهم أموات في هذا الوطن، حتى وإن كانوا يعيشون ويأكلون ويشربون!.. لأن فقد الاستقلال يساوي ويعني فقد المعنى الحقيقي للحياة!..

يقرر القرآن الكريم ذلك.. ويضرب عليه المثل من قصص الأولين وتاريخ الغابرين:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٥٩).

مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٣، ٢٤٤].

فهم لم ينهزموا من قلة في العدد، فهم ألوف، وإنما انهزموا من خَوَر وحذر من الموت وضعف أصاب شجاعتهم ووطنيتهم، فخرجوا من ديارهم، فارين مهاجرين، أو معزولين عن حكمها والتحكم في أمرها والاستمتاع بخيراتها، رغم بقاء أجسادهم فيها.. فكان ذلك بمثابة أمر تكويني من اللّٰه بموتهم!.. فلما ثابوا إلى رشدهم، وتعهدوا عاطفتهم الوطنية بالنماء، فاحتموا بها وتسلحوا بأسلحتها، واستردوا وطنهم واستعادوا استقلاله، كانت لهم الحياة! ﴿ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾؟!.

بل لقد زكت الآية الكريمة ذلك الاستقلال الوطني، الذي هو الحياة، بوصفها إياه بأنه من « فضل » اللّٰه على الناس، وتحدثت الآية التالية لها عن أن صون الاستقلال، والحفاظ على هذه الحياة رهن بالقتال: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ﴾.. ثم جعلت هذا القتال، الذي يستهدف استقلال الوطن وعودة الروح والحياة الوطنية.. جعلته قتالًا في سبيل اللّٰه!..

تلك هي الذروة التي بلغها الوطن والوطنية في آيات القرآن الكريم، وتلك هي القدسية التي أضفاها الإسلام على القتال السياسي - لا الديني - في سبيل الوطن والوطنية واستقلال الأوطان.. لقد جعل الحياة في وجودها، كما جعل في فقدانها، الموت والعدم والفناء!

وحتى يطمئن القلب، وتزداد القناعة، ويرسخ اليقين بهذه المعاني التي أشرنا إليها، نقرأ كلمات الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تلك التي كتبها عندما وقف أمام هذه الآيات من كتاب اللّٰه: « تلك سنة اللّٰه - تعالى - في الأمم التي تجبن فلا تدفع العادين عليها.. وحياة الأمم وموتها، في عرف الناس جميعهم، معروف، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكّل بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم، حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جامعتها، فكل من بقوا من أفرادها خاضعون للغالبين ضائعون فيهم، مدغمين في غمارهم، لا وجود لهم في أنفسهم وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم هو: **عودة الاستقلال إليهم.. إن الجبن عن مدافعة الأعداء، وتسليم الديار، بالهزيمة والفرار، هو الموت المحفوف بالخزي والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة المليّة (الوطنية) المحفوظة من عدوان المعتدين.. والقتال في سبيل اللّٰه..**

أعم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل أيضًا الدفاع عن الحوزة إذا همّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا، أو أراد العدو الباغي إذلالنا، والعدوان على استقلالنا، ولو لم يكن ذلك لأجل فتنتنا عن ديننا.. فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق، كله جهاد في سبيل اللّٰه.. ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين!.. » [1].

* * *

هكذا تناول الإسلام قضية الحرب والقتال والجهاد القتالي..

• فهو عندما أنكر « الكهانة والكهنوت » أنكر وجود « السلطة الدينية » في سياسة المجتمعات الإنسانية.. ومن ثم كانت الحرب فيه « سياسة ».. وليست « دينًا »؛ لأنها إحدى وسائل العمل السياسي فهي امتداد للسياسة، لكن بأدوات العنف في الصراع!..

• وهو عندما قرر أن ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ نفى ورفض أن يكون القتال سبيلًا لتحصيل « الإيمان »، الذي هو يقين باطني وتصديق قلبي، لا يتحصل إلا بالإقناع ولا يتحقق إلا بالاقتناع.. ومن ثم نفى ورفض أن يكون هناك قتال ديني لنشر الدين وفرض الإيمان!..

• وهو عندما جعل « للقضية الوطنية » - العيش في الوطن الحر أحرارًا - مكانًا عاليًا في فكره، وفي قرآنه الكريم، حتى كادت أن تكون محور القتال المشروع فيه، إنما كان يرفع من قدر « الوطنية » ويعلي من مكان « الوطن »، ومن ثم يقدس القتال الذي شرعه ودعا إليه سياجًا يصون به المسلمون أوطانهم من الأعداء والطامعين.

وناهيك بفكر يجعل القتال في سبيل الوطن جهادًا في سبيل اللّٰه؟!.

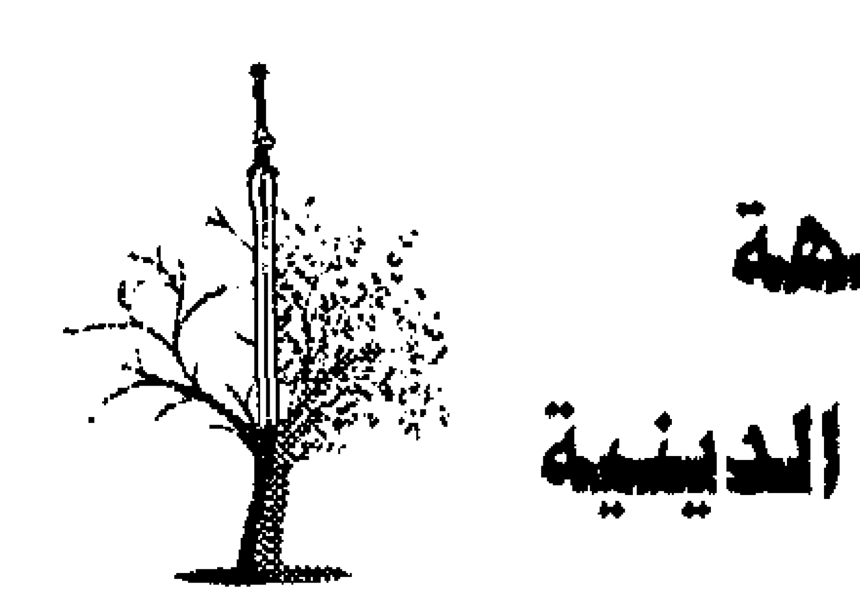
وناهيك بقرآن يساوي بين حرية الوطن وبين الحياة.. ويساوي بين الخروج من الوطن وبين الانتحار ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾ [النساء: ٦٦]. ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٤/٦٩٥ - ٦٩٧).

يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

* * *



شبهة
الحرب الدينية

لكن..

وعلى الرغم من هذا الوضوح، وذلك الحسم اللذين يتحلى بهما موقف الإسلام من هذه القضية: « **طبيعة الحرب والجهاد في الإسلام** ».. فإن جمهورًا من العامة يظنون أن المسلمين مطالبون، دينيًا بمقاتلة مخالفيهم في الدين حتى يؤمنوا بالإسلام، ويكون الدين كله للّه.. ومع جمهور العامة، هؤلاء يقف نفر من مثقفي الإسلام ومفكريه!.. الأمر الذي يجعلنا أمام « شبهة »، للحرب الدينية، عالقة بسماء الفكر في عالم الإسلام، لا بد من تبديد سحابتها، طلبًا لصفاء تلك السماء من الغيوم، ووصولًا إلى تبرئة فكرنا الإسلامي من مثل تلك « الشبهات »!..

حقًا.. يأمر اللّه ﷻ المؤمنين بالقتال حتى يكون الدين للّه، فيقول:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

لكن لننظر إلى السياق الذي جاءت هذه الآية الكريمة في ختامه، ولنبحث عن سبب نزولها.. وعن « الفعل » و « التطبيق » الذي نهض به الرسول ﷺ والمؤمنون تنفيذًا لهذا الأمر الإلهي بالقتال حتى يكون الدين للّه.. لننظر في ذلك ونبحث حتى يستبين لنا الحق في هذا الموضوع..

- إن سياق الآية القرآنية يقول:

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣].

فالمطلوب هنا ليس قتال « المخالفين » لنا في الدين، وإنما قتال « الذين يقاتلون » من بين هؤلاء « المخالفين »، فحكمة القتال وسببه هو « **قتال** » **هؤلاء المخالفين لنا**، « **لعدوانهم** » **علينا، وليس لمجرد** « **الخلاف لنا في الدين** »!.. ذلك أن الإسلام لا ينهى - فقط - عن مقاتلة المخالفين لمجرد الاختلاف الديني معهم، بل إنه يدعو إلى مودتهم والقسط إليهم طالما هم لم يقاتلونا في الدين!.. فإن هم قاتلونا، واعتدوا علينا، وانتهكوا الحرمات، وجب علينا قتالهم، واستحلال الحرمات التي استحلوا، حتى ولو كانت الأشهر الحرم والمسجد الحرام.. فذلك جزاء من يصنع ذلك من الكافرين!..

• ثم..! إن هذه الآيات قد نزلت في السنة السابعة من الهجرة، عندما همَّ المسلمون أن يدخلوا مكة معتمرين « عمرة القضاء »، تلك التي اتفقوا عليها في العام الماضي - عام الحديبية - مع مشركي مكة.. وكان الاتفاق أن يدخل المسلمون مكة معتمرين، لا يحملون من السلاح إلا ما يحمله المسافر « السيوف في القرب » - الأغماد -!.. ويومها خشي المسلمون غدر المشركين، وتوجسوا خيفة من أن يأخذهم المشركون على غرة، وهم بسلاح المسافر، الذي لا يغني في القتال، وهم في الشهر الحرام - ذي القعدة - والبيت الحرام، حيث لا تحل الحرب ولا يجوز أن تسفك الدماء!..

وأمام مخاوف المسلمين هذه احتاط الرسول ﷺ فجهز السلاح والدروع والرماح، وأعد مائة فرس، جعل عليها محمد بن مسلمة ﷺ (٣٥ق.هـ - ٤٣هـ/٥٨٩ - ٦٦٣م)، وجعل على السلاح بشير بن سعد ﷺ (١٢هـ - ٦٣٣م)، فأقاموا بعدة القتال هذه على مقربة من الحرم.. وقال الرسول ﷺ: « **يكون قريبًا منا، فإن هاجنا هيج (دهمتنا حرب) من القوم كان السلاح قريبًا منا!** » [1].

وأمام تحرج المسلمين من أن يضطروا إلى مقارفة المحظور: القتال في الشهر الحرام بالمسجد الحرام.. نزلت الآيات الكريمة تأمرهم بالقتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام، إذا بدأهم المشركون بالقتال وحدث منهم العدوان.. ذلك أن مراد المشركين هو « فتنة » المؤمنين عن دينهم، وهي أشد من القتل وأعظم!.. فالقتال هنا لرد العدوان، وحتى ينتهي المشركون عن عدوانهم، وتمتنع فتنتهم، فيكون الدين والتدين للَّه،

(١) الأعمال الكاملة، لرفاعة الطهطاوي (٣١٩/٤).

لا للقهر والقسر الذي يفرضه المشركون، بالفتنة والعذاب، على المستضعفين من المؤمنين!.. وبعد أن نزلت هذه الآيات، دخل المسلمون مكة معتمرين، ولم يقع من المشركين عدوان، ومن ثم لم يحدث من المسلمين قتال.

ذلك هو سياق الآيات.. وهذه هي أسباب نزولها.. وعموم حكمها مرتبط بمواجهة العدوان، وعدوان « المشركين » خاصة.. الأمر الذي يمنع من أن تكون تلك الآيات دليلًا على مشروعية الحرب الدينية في الإسلام!..

أما الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ، والذي يقول فيه: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا اللّه، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه تعالى..** »[1].

أما هذا الحديث، والذي يبدو، للعامة وأنصاف المثقفين ثقافة إسلامية، من ظاهر ألفاظه، أنه يدعو إلى مقاتلة المخالفين في الدين حتى يثوبوا إلى عقيدة التوحيد.. فإن الفقه الحق لمعناه يتطلب ما هو أكثر من النظر العابر لظاهر الألفاظ..

● فالمراد « بالناس » الذين أُمر الرسول ﷺ بقتالهم: « المشركون » من العرب، أولئك الذين كانوا يمنعون - بالفتنة والعدوان - دعوة الإسلام من أن تتخذ لنفسها القاعدة الآمنة التي ينطلق منها الدعاة، فلا بد لكل دين من دار تعرف تعاليمه فيها طريقها إلى الممارسة والتطبيق، ويتخذ منها دعاته وطنًا يؤمن لهم الأمن في ممارسة شعائره والحرية في التبشير بعقائده.. وعندما سلك « الناس » - العرب المشركون - طريق الفتنة والعدوان للحيلولة بين الإسلام وبين أن تكون له قاعدته هذه ووطنه هذا، أمر الرسول ﷺ، بقتالهم حتى لا يكون بأرض العرب دينان.. فلما خلصت أرض العرب للإسلام، فتح الإسلام صدره، خارج تلك الأرض، ضامنًا الحرية الدينية لغير المسلمين!..

ويشهد لأن المراد « بالناس »، في هذا الحديث، هم « مشركو العرب » خاصة، أن لفظ الحديث قد ورد في بعض الروايات واضعًا لفظ « المشركين » بدلًا من لفظ « الناس » تارة، وواضعًا لفظ « العرب » بدلًا من لفظ « الناس » تارة أخرى!..

● بل إن إحدى الصور التي روي عليها هذا الحديث تشير إلى أن المقام لم يكن أبدًا مقام إكراه في الدين، ولا جبر - بالقتال - على أن يقول الناس: « لا إله إلا اللّه ».. إذ

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وابن حنبل.

تشير تلك الرواية إلى أن الرسول ﷺ، قد ختم هذا الحديث بأن قرأ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢].

فمنطوق الآية، التي ختم الرسول ﷺ بها الحديث، ومفهومها يقطع ببراءة الإسلام من اتخاذ القتال أداة للإيمان بالتوحيد!..

• ثم.. ألا يقطع موقف الرسول ﷺ من مشركي قريش يوم فتح مكة أي شك باليقين؟.. لقد قال لهم: « اذهبوا فأنتم الطلقاء.. » ولم يتعقب بالقتل أولئك الذين كانوا يبكون لزوال الأصنام وتحطيمها.. وإنما ترك قلوبهم لتقتنع بالتوحيد بواسطة الإقناع والاقتناع.. فهو مذكر.. وليس بالمصيطر.. ولا إكراه في الدين!..

* * *

ومع كل هذا الوضوح.. ورغم تهافت الشبهات في هذا المقام.. فإن بعضًا من مثقفي الإسلام ومفكريه يزعمون أن « النهج الانقلابي » للإسلام يطلب من حزبه ألا يكتفي بالحرب الدفاعية التي تقف عند حماية الدعوة وتأمين الدعاة، فيقول: إن حرب الإسلام هجومية أيضًا: لا ضد المخالفين في الدين حتى يعتنقوا عقائده، وإنما ضد كل حكومات المعمورة وجيوشها، التي تزيد على المائة والخمسين، وذلك حتى يرتفع سلطان هذه الحكومات عن شعوبها، فتتحقق لهذه الشعوب الحرية في التدين بالإسلام أو عدم التدين به.. فلا بد من محاربة حكومات المعمورة، وهزيمة جيوشها، وأخذ الجزية من شعوبها ضمانًا لفتح الطريق أمام دعوة الإسلام ودعاته ببلاد تلك الحكومات!..

أما نصوص هؤلاء المثقفين والمفكرين الإسلاميين، حول هذه الدعوى، فإنها تقول: **«.. إن الإسلام فكرة انقلابية ومنهاجًا انقلابيًا يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره.. ويؤسس بنيانه من جديد.. والإسلام يتطلب الأرض، ولا يقنع بقطعة أو بجزء منها، وإنما يتطلب ويستدعي المعمورة الأرضية كلها.. والجهاد الإسلامي هجومي دفاعي معًا.. والحزب الإسلامي لا يتحرج في استخدام القوى الحربية لتحقيق غايته هذه** (١)**.. إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تؤثر فيه ألا تهاجم، إذا تركها**

---

(١) أبو الأعلى المودودي، الجهاد في سبيل الله (ص ٢٣، ٢٩، ٥١)، طبعة القاهرة، ضمن مجموعة، سنة (١٩٧٧م).

الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية. ورضي أن يدعها وشأنها ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام!.. ولكن الإسلام لا يهادنها، إلا أن تعلن إسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية، ضمانًا لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها... »[1].

ونحن نقول:

إن كون الإسلام فكرة انقلابية، أي: نهجًا ثوريًّا، يعني: عداءه للظلم ورفضه للواقع الظالم، ودعوته أهله لإقامة العدل حيثما ارتفعت شهادة أن لا إله إلا اللَّه، محمد رسول اللَّه.. لكن ذلك لا يعني القول بأن الإسلام يطلب أرض المعمورة كلها؛ لأن هذه الدعوة لا تتسق إلا إذا جاز تصور انفراد الإسلام، كدين، بهذه المعمورة كلها.. والذي جاء به القرآن الكريم، واتفق عليه مفسروه هو أن حكمة اللَّه ومشيئته قد اقتضت التعدد في الشرائع الدينية، الناشئ عن تعدد أمم الرسالات السماوية التوحيدية.. ففي القرآن الكريم يقول اللَّه ﷻ: ﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨].

والمفسرون لهذه الآية القرآنية المحكمة يقولون: إن « الشرعة والشريعة:

هي الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة.. ومعنى الآية: أن اللَّه – سبحانه – قد جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، وهذا في الشرائع والعبادات، والأصل: التوحيد، لا خلاف فيه: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المائدة: ٤٨]. أي: لجعل شريعتكم واحدة، ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾ [المائدة: ٤٨]. **أي: ولكن جعل شرائعكم مختلفة ليختبركم، والابتلاء: الاختبار!..** »[2].

وفي آية أخرى يقول اللَّه ﷻ: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

وأئمة تفسير القرآن الكريم يرون هذه الآية شاهدًا على أن اختلاف البشر في

---

(١) سيد قطب، معالم في الطريق (ص ٨٧)، دار الشروق، سنة (١٩٨٠م).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/٢١١).

الشرائع الدينية هو الحكمة التي خلقهم اللّه لها!..

فهي إرادته، ومن ثم فلا معنى لتصور وحدة في الشريعة تعم البشرية وتضم أهلها، ومن ثم فلا معنى لاتخاذ السبل لتحقيق هذه الوحدة في الشريعة.. وذلك فضلًا عن أن تكون تلك السبل عنفًا وقتالًا وجهادًا؟!..

« فسعيد بن جبير (٤٥ - ٩٥هـ/٦٦٥ - ٧١٤م) يرى أن المراد بالأمة الواحدة: « ملة الإسلام وحدها » أي: شريعة الإسلام.. » فكون الدين للّه - إذن - لا يعني إمكانية تحقق سيادة الشريعة الإسلامية والملة الإسلامية أبناء البشرية جميعًا!..

« ومجاهد بن جبر المكي (٢١ - ١٠٤هـ/٦٤٢ - ٧٢٢م) وقتادة بن دعامة السدوسي (٦١ - ١١٨هـ/٦٨٠ - ٧٣٦م) يفسران قول اللّه في الآية: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: ١١٨]. بحتمية بقاء الناس على أديان - أي: شرائع - شتى. والحسن البصري (٢١ - ١١٠هـ/٦٤٢ - ٧٢٨م) وعطاء بن دينار (١٢٦هـ/٧٤٤م) يفسران قوله - سبحانه - ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾. فيرون أن « **الإشارة للاختلاف، أي: وللاختلاف خلقهم!** » [(١)].

فإن كان انفراد الشريعة الإسلامية بأهل المعمورة هو مما أحاله القرآن، فهل من الفكر الإسلامي في شيء أن نقول: إن الإسلام يطلب المعمورة كلها، ولا يقنع بقطعة أو بجزء منها؟!..

وإذا سالم غير المسلمين عالم الإسلام وأهله، وأطلقوا الحرية أمام الدعوة إليه والتبشير بعقائده، فهل من الفكر الإسلامي في شيء الحديث عن ضرورة الحرب الهجومية على حكومات المعمورة جميعها؟!..

وألا يكون الأوفق والأجدى أن نتأمل كلمات الإمام محمد عبده:

« **لقد كان قتال النبي ﷺ، كله مدافعة عن الحق وأهله، وحماية لدعوة الحق..** » [(٢)].

وكلمات الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ/١٩٠٦ - ١٩٤٩م):

« **لقد فرض اللّه الجهاد على المسلمين، لا أداة للعدوان، ولا وسيلة للمطامع الشخصية،**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٩، ١١٥).

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده (٤٩٥/٤).

ولكن حماية للدعوة وضمانًا للسلم وأداء للرسالة الكبرى التي حمل عبئها المسلمون.. وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ (1) [الأنفال: ٦١].

• وإذا جاز لنا أن نشبه « المجتمع الدولي »، الملتزم بمواثيق المنظمات الدولية التي ارتضتها حكوماته، بمجتمع واحد ومتعاهد ومتعاقد، شأنه شأن جماعة المسلمين مع غير المسلمين في دار الإسلام، من حيث الالتزام بعقد « الذمة » وأمانها.. فهل يصبح، أمام الفكر الإسلامي، مجال لدعوى الحرب الهجومية على حكومات المعمورة وجيوشها جميعًا، بزعم لزوم هزيمة كل تلك الحكومات وجميع هذه الجيوش، وصولًا لرفع الضغط المادي عن ضمائر شعوب المعمورة، حتى تنظر بحرية في عقائد الإسلام؟!..

• ثم.. ألا يدعونا العقل أن نسأل أنفسنا: هل حربنا لتلك الحكومات وجيوشها هي مما يقربنا ويقرب إسلامنا من قلوب وعقول شعوب تلك الحكومات؟!.. أم أن العكس هو الوارد والأكيد؟..

وأن تلك الشعوب ستهب مع حكوماتها وجيوشها - التي هي بعض منها - لتقف، لا ضد المسلمين فحسب، بل وضد الإسلام الذي ترتفع راياته فوق ميادين تلك الحرب الدينية؟!. إن تخيل مثل تلك الحرب أمر يدعو إلى الرثاء.. نفس الرثاء الذي يدعو إليه فكر دعاتها من مثقفي الإسلام ومفكريه؟!..

• وحتى إذا حكمنا على دول كثيرة في الأسرة الدولية « بالنفاق » لما بين إعلانها الالتزام بالمواثيق الدولية وبين ممارستها العدوانية من فروق ومفارقات.. فإن السلوك الإسلامي تجاه « المنافقين » لا يصل، في العنف، إلى حد الحرب والقتال.. « فالمنافقون » الذين يعتزلون قتالنا ليس لنا عليهم من سبيل، فضلًا عن سبيل العنف والحرب والقتال!.. يقول الله ﷻ في شأن المنافقين:

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ۝ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

---

(١) حسن البنا، رسالة الجهاد (ص ٨٥)، طبعة القاهرة، ضمن مجموعة عنوانها « الجهاد في سبيل الله »، سنة (١٩٧٧م).

وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٨٨ - ٩١].

فالذين يكفون الأيدي عن قتالنا، ويلقون حبال السلام إلى عالم الإسلام وأهله، لا سبيل لنا عليهم، أما « المنافقون » الذين لا يكفون أيديهم عن قتال المسلمين فإن « السلطان »، الذي قرر اللّه لنا عليهم، يدعونا إلى قتالهم، ردًّا للعدوان، وتأمينًا لعالم الإسلام وحريات المسلمين.. « **فالعدوان** » أو « **المسالمة** » **هو المعيار، وليس** « **النفاق** » **ولا** « **الخلاف في الدين** »!..

• ثم ليسأل كل مخلص للإسلام نفسه، وليتوجه كل غيور على المسلمين إلى ضميره بهذا السؤال:

أي الأسلحة أمضى في نصرة الإسلام، وتزيينه في عقول المخالفين، وتقريبه من قلوبهم؟ سلاح الحرب والقتال ضد حكومات البلاد المخالفة وجيوشها - وهي التي ستكون بالقطع ضد شعوبها؟؟.. - أم سلاح النهضة الإسلامية، المؤسسة على الوعي الناضج بحقيقة الإسلام - الدين والإسلام الحضارة - تلك التي ستحول عالم الإسلام وبلاد المسلمين إلى شاهد صدق على عظمة الإسلام وتقدميته وجدارته بأن يكون الدين الذي تدين به الإنسانية الراشدة، دون سواه؟؟..

إن حال المسلمين هو أكبر مطعن يوجهه الخصوم إلى هذا الدين الحنيف.. وإن تغيير هذه الحال، وتبديل ذلك الواقع، وإقامة النهضة الإسلامية الحقيقية هي « الحرب » التي لا بد لكل داعية ومفكر إسلامي من أن يستنفر المسلمين إلى خوضها.. ذلك أن تجسيد « النموذج الإسلامي » على أرض عالم الإسلام هو « الجيش » الإسلامي المؤهل « لغزو » قلوب الإنسانية المتحضرة وعقول الأحرار في أقطار المعمورة جميعها..

أما الحديث عن أن الإسلام يوجب على أهله قتال كل حكومات المعمورة وجيوشها فإنه أقرب إلى « **هذيان الضعفاء** » ينفسون به عن العجز إزاء القهر الذي

بمارسة الطغاة - الداخليون منهم والخارجيون - إزاء عالم الإسلام وشعوبه.. وهو « هذيان » يسخر منه الواقع الإسلامي بإمكانياته الحالية والمحتملة، ومن ثم فلا أثر له إلا جلب العداء للمسلمين والنفور من الإسلام!.. وذلك فضلًا عن منافاة فكر دعاة هذه الحرب الدينية لفكر الإسلام الحق في هذا الموضوع!..

فليس في الإسلام حرب دينية؛ لأن القتال لا يمكن أن يكون سبيلًا لتحصيل التصديق القلبي واليقين الباطني، الذي هو « الإيمان ».

والقتال في الإسلام سبيل يلجأ إليها المسلمون عند الضرورة.. ضرورة حماية الدعوة وتأمين الحرية للدعاة، وضمان الأمن لدار الإسلام وأوطان المسلمين.. سيان كان ذلك القتال « دفاعيًا تمامًا » أو « مبادأة » يجهض بها المسلمون عدوانًا أكيدًا أو محتملًا.. فهو في كل الحالات صد للعدوان.. أما إذا جنح المخالفون إلى السلم، وانفتحت السبل أمام دعوة الإسلام ودعاته، وتحقق الأمن لدار الإسلام، فلا ضرورة للحرب عندئذ، ولا مجال لحديث عن القتال، باسم « الدنيا » كان ذلك الحديث أو باسم « الدين »!..

وصدق الله العظيم عندما حدد في كتابه الكريم أن الحرب والقتال إنما هي « للأعداء » الذين يقاتلوننا في الدين، أو يخرجوننا من الديار، أو يظاهرون على هذا الإخراج.. وأن المودة والقسط واجبان علينا لمن لا يقترفون في حقنا جرمًا من تلك الجرائم، حتى وإن خالفونا في الدين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ

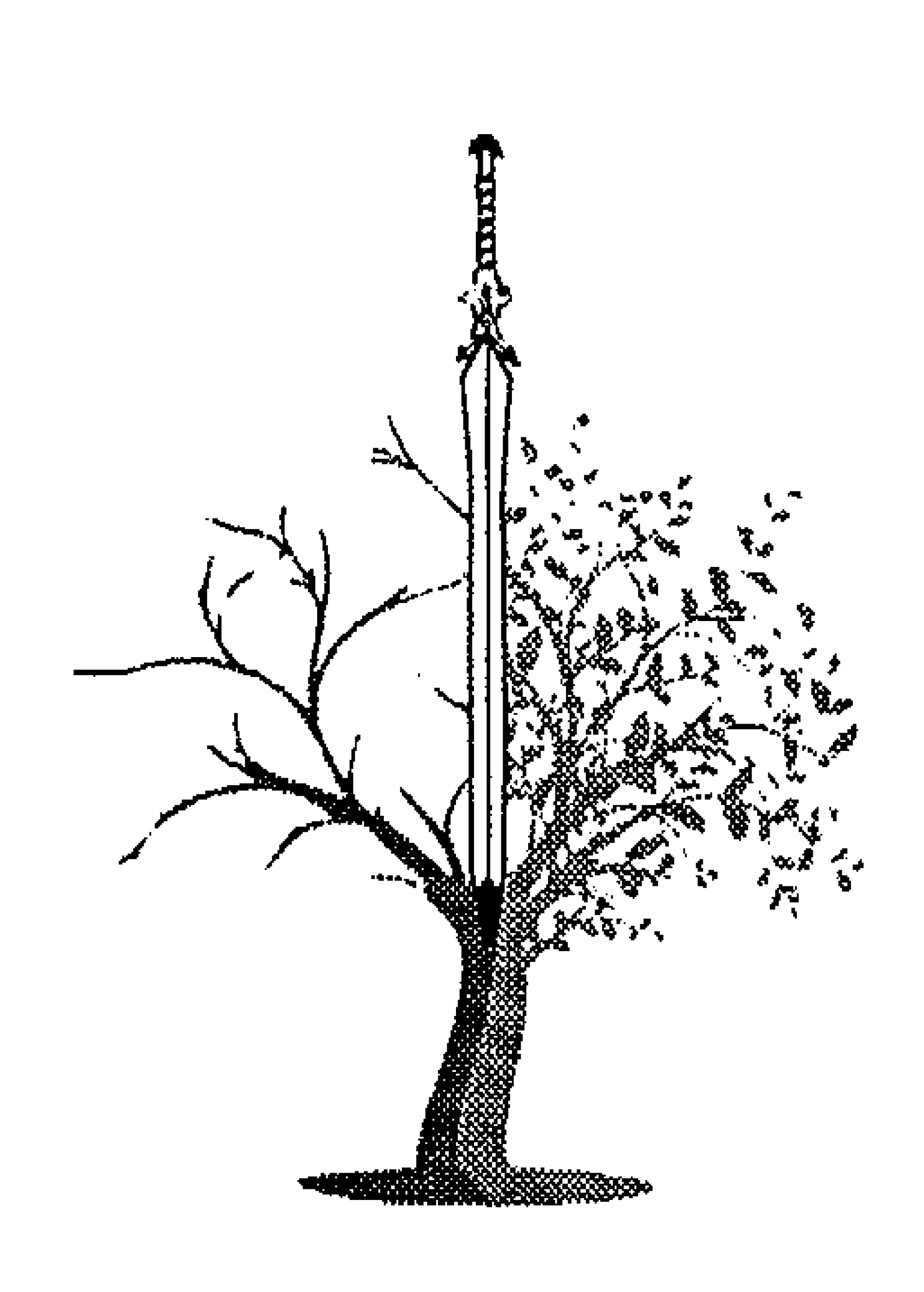
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

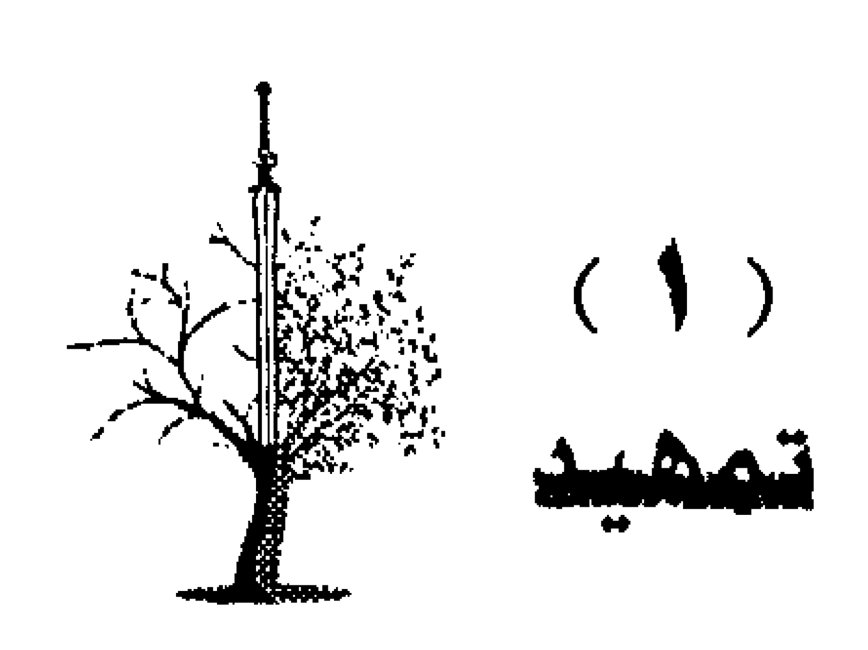
[الممتحنة: ١ - ٩].

* * *

(٣)

حقيقة الجهاد.. والقتال.. والإرهاب





(١)
تمهيد

هناك خلط كبير وشديد بين مضامين هذه المصطلحات الثلاثة: الجهاد.. والقتال.. والإرهاب. وهذا الخلط هو أشد ما يكون في هذه الحرب السياسية والفكرية والدينية والإعلامية الكبرى التي تشنها دوائر غربية متنفذة ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. ليس فقط منذ « قارعة » « سبتمبر سنة (٢٠٠١م) » التي وقعت بأمريكا.. وإنما قبل هذه « القارعة » بعقود.. وربما قرون.. لكن هذه « القارعة » قد تصاعدت بهذه الحملة - ومن ثم بهذا الخلط بين مفاهيم هذه المصطلحات - تصاعدًا غير مسبوق في تاريخ علاقات الغرب بالشرق، والغربيين بالشرقيين.

ولا أدل على سبق الريبة في مضمون مصطلح الجهاد الإسلامي، والخلط بينه وبين القتال والعنف الإرهابي - الذي يروّع الأبرياء والآمنين - لا أدل على ذلك من حذف قمة منظمة المؤتمر الإسلامي مصطلح الجهاد من بيانها الختامي - في « داكار » بالسنغال (١٤١٢هـ/١٩٩١م) - وذلك مخافة « الظلال السلبية التي ألحقها هذا الخلط بمصطلح الجهاد! » .

ولأن النظر إلى « الآخر » من خلال « الذات » هو عيب شائع في الدراسات المقارنة بين الديانات والثقافات والحضارات؛ لأنه يؤدي إلى صب « الآخر » في قوالب « الذات » وتجاهل - ومن ثم إلغاء - الفروق بين الديانات والثقافات والحضارات، وذلك بدلًا من التمييز بين « الأشباه والنظائر » التي تجمع النماذج الثقافية في موضوع الدراسة، وبين « الفروق » التي تمايز بينها... كان هذا المنهاج الأحادي الجانب هو السبب في كثير من الخلط الذي يصيب مضامين العديد من المصطلحات.

صحيح أنه لا مشاحة في استخدام المصطلحات من قِبَل أهل الحضارات المختلفة والديانات المتعددة والثقافات المتمايزة.. لكن هناك مشَاحة أكيدة في المضامين والمفاهيم والمحتويات التي تُفهم - لدى كل فريق - من ذات المصطلحات... فالمصطلحات بمثابة الأوعية، يستخدمها ويتداولها الجميع، لكن محتويات هذه الأوعية - مضامين المصطلحات - تتفاوت وتتغاير وتتمايز - بل وقد تتناقض - لدى

أصحاب الأنساق الفكرية المختلفة، رغم وحدة المصطلحات.

لقد استخدمت الدنيا عبر تاريخها - ولا تزال تستخدم - مصطلح « السياسة ».. لكن هناك ثقافات وحضارات قد جعلت « القوة... والغلبة » هي المضامين والمقاصد من وراء فلسفة السياسة وآلياتها... بينما ربطت الثقافة الإسلامية هذه السياسة بمعايير الصلاح والقيم والأخلاق... فرأتها: « **التدابير التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد** »[١].

واستخدمت الدنيا عبر تاريخها - ولا تزال تستخدم - مصطلح « الدين ».. لكن هناك الفلسفات الوضعية التي رأت في الدين إفرازًا للعقل البشري، ورأت في « التوحيد الديني » مرحلة متطورة من مراحل هذا الإفراز والإبدع البشري!.. بينما رأته الفلسفات الإيمانية - ولا تزال - وحيًا سماويًّا، ووضعًا إلهيًّا منذ فجر البشرية، لهداية الناس في المعاش والمعاد.

واستخدمت الدنيا منذ قرون طويلة - ولا تزال تستخدم - مصطلح « الإقطاع ».. لكن هناك ثقافات وحضارات ومذاهب اجتماعية ترى فيه: تملُّك إنسان للأرض وما عليها ومن عليها... بينما رأته الثقافة الإسلامية وتراثها وتاريخها الحضاري: مجرد تمليك منفعة، لإحياء الأرض الموات؛ لأن مالك الرقبة - المالك الحقيقي - للأرض وجميع الثروات هو اللّٰه ﷻ.. والناس - مطلق الناس - مستخلَفون ونواب ووكلاء في هذه الأرض وما فيها وما عليها من الأموال والثروات[٢].

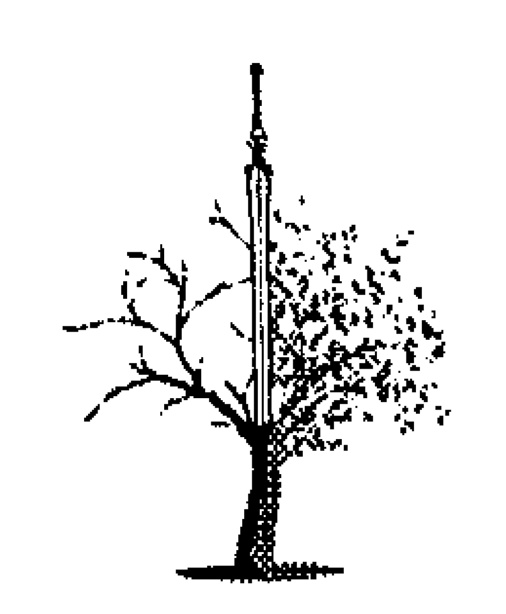
وكذلك الحال مع مصطلحات الجهاد... والقتال... والإرهاب... حدث هناك خلط كبير وشديد بين مفاهيمها ومضامينها ومحتوياتها، على النحو الذي نشكو منه هذه الأيام.

* * *

---

(١) انظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/٣٧٢، ٣٧٣ - ٣٧٥)، طبعة بيروت (١٩٧٣م)، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية (ص ١٧ - ١٩)، تحقيق/ د. جميل غازي، طبعة القاهرة (١٩٧٧م).

(٢) انظر في ذلك وأمثاله كتابنا: إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات، طبعة دار السلام، سنة (٢٠١٠م).



(٢)
الحروب الدينية المقدسة

باستثناء قطاع محدود من العلماء الغربيين، الذين درسوا الإسلام وحضارته وتاريخه وفق موضوعية الدراسات المقارنة، والذين تحررت ضمائرهم من قيود المقاصد « الإمبريالية » الغربية، فإن الكثيرين من الذين قاموا بدراسة الحضارة الإسلامية وتاريخ المسلمين - سواء بسوء فهم أو سوء نية - قد وقعوا في خطأ النظر إلى « الذات الإسلامية » من خلال منظار « المعايير » التي حكمت مسيرة الحضارة الغربية، والكهانة الكنسية للنصرانية الغربية، والتاريخ الحضاري الغربي، وما شهده من صراعات.

• فإذا ذُكرت الخلافة الإسلامية - وهي دولة مدنية مرجعيتها الشرعية الإسلامية - قفز إلى مخيلتهم كهانة الدولة الكنسية الأوروبية التي حكمت بالحق الإلهي والتفويض السماوي.

• وإذا ذُكر الحق في المواطنة، لم يتصوروه إلا قائمًا على أنقاض الدين وشريعته، وفي ظلال العلمانية واللادينية.

• وإذا ذُكر الدين، لم يتصوروه إلا علاقة فردية بين الإنسان وخالقه، تقف عند خلاص الروح ومملكة السماء، لا علاقة لها بهذا العالم؛ لأنها تدع ما لقيصر لقيصر، مكتفية بما للّه.

وانطلاقًا من النظر إلى « **الآخر الإسلامي** » من خلال منظار « **الذات الغربية** » حسَب هؤلاء الغربيون - ومعهم مثقفونا المتغربون - الجهاد الإسلامي « حربًا دينية مقدسة » ضد أصحاب الديانات الأخرى، تكون معايير البراء والعداء والصراع فيها هي الاختلافات في المعتقدات.

ولقد كانت الحروب الصليبية، التي شنها الغرب النصراني على الشرق الإسلامي، والتي دامت قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ/١٠٩٦ - ١١٩١م)، والتي غلفتها الكنيسة بالدعاوى الدينية الخالصة لتحجب مقاصدها « الإمبريالية »... كانت هذه الحروب الدينية المقدسة هي النموذج الذي قاس عليه هؤلاء الغربيون - والمتغربون -

الجهاد الإسلامي، فكان خلط الأوراق والمفاهيم الذي نشكو منه حتى هذه اللحظات.

لقد شنت الكنيسة الأوروبية حربها الدينية المقدسة - الصليبية - ضد الإسلام وأمته وعالمه، باعتبارها حربًا ضد « الكفار » لتخليص « قبر اللّه »- المسيح بزعمها - من أيدي هؤلاء الكفار، معلنة أن هذه الحرب المقدسة هي حرب إلهية، لذات اللّه، وفي ذات اللّه، وأن فرسانها إنما يحملون « مفاتيح الجنة » مع أدوات القتل والقتال!

وعن هذه الطبيعة الدينية لهذه الحرب - التي غلفت مقاصدها الإمبريالية - جاء في خطاب البابا الذهبي « أوربان الثاني » (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) الذي دعا فيه فرسان الإقطاع الأوروبي إلى هذه الحرب المقدسة:

« يا من كنتم لصوصًا كونوا اليوم جنودًا، لقد آن الزمان الذي فيه تحوِّلون **ضد الإسلام** تلك الأسلحة التي أنتم لحد الآن تستخدمونها بعضكم ضد البعض.. **فالحرب المقدسة المعتمدة الآن... هي... في حق اللّه عينه...** وليست هي لاكتساب مدينة « واحدة »... بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزاينها العديمة الإحصاء...

فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم املكوها لذواتكم، فهذه الأرض - حسب ألفاظ التوراة - تفيض لبنًا وعسلًا... ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة، والأمكنة المخصبة المشابهة فردوس سماوي.

اذهبوا وحاربوا البربر (يقصد المسلمين!) لتخليص الأراضي المقدسة من استيلايهم... **امضوا متسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية (أي: مفاتيح الجنة التي صنعها لهم البابا!) واكتسبوا بها لذواتكم خزاين المكافآت السماوية الأبدية**، فإذا أنتم انتصرتم على أعدايكم، فالملك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا...

وهذا هو الحين الذي فيه أنتم تفدون عن كثرة الاغتصابات التي مارستموها عدوانًا... ومن حيث إنكم صبغتم أيديكم بالدم ظلمًا، فاغسلوها بدم غير المؤمنين »!! [1].

• ولذلك، لم يقف دور رجال الكهنوت الكنسي الأوروبي في هذه « **الحرب المقدسة** » عند التنظير والتحريض للعامة والدهماء، والترغيب لفرسان الإقطاع

---

(١) مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب (٤١٣/١) ترجمة / مكسيموس مظلوم، طبعة أورشليم، سنة (١٨٦٥م)، ولقد حافظنا على أسلوب الترجمة كما هو رغم ركاكته.

« بمفاتيح الجنة! »... وإنما وجدنا كرادلة الكنيسة... يشاركون - هم أنفسهم - في مجازر هذه « **الحرب المقدسة** » معتبرين ذبح المسلمين أعظم القربات التي يتقربون بها لإرضاء الرب!!

فالصليبيون الذين غزوا القدس (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م) قد ذبحوا وأحرقوا كل من وقع في أيديهم من المسلمين، حتى الشيوخ والنساء والأطفال - ذبحوا سبعين ألفًا، في سبعة أيام! - حتى الذين احتموا بمسجد قبة الصخرة - مسجد عمر بن الخطاب - ذُبحوا، وسبحت خيول الصليبيين في دمائهم إلى لُجم الخيل - كما نقل ذلك عن شهود العيان رجل الدين النصراني صاحب كتاب (تاريخ الحروب المقدسة في الشرق) [١].

ولقد كان رجال الدين النصارى - نعم رجال الدين! - في مقدمة الذين اجترحوا هذه الفظائع والسيئات... **ولقد وصف المؤرخ الأوروبي « ميشائيل درسيرر » صنيع البطريرك نفسه في هذه المذبحة عندما كان يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه، تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور: « يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًّا إن للصدّيق مكافأة، وإن في الأرض إلهًا يقضي »** [٢].

ثم أخذ البطريرك في أداء القداس، قائلًا: « إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضي به الرب »!! [٣].

فهي حرب دينية مقدسة... في ذات اللَّه... وَلِعَيْنِ اللَّه... يحمل فرسانها مفاتيح الجنة... وذبحهم للمسلمين فيها هو أعظم القربات التي يتقدم بها هؤلاء الصليبيون إلى اللَّه!!

* * *

• كذلك، جعلت الكنائس الغربية - الكاثوليكية.. والبروتستانتية - صراعات

---

(١) مكسيموس مونروند، تاريخ الحروب المقدسة في الشرق (١/١٧٢، ١٧٣).

(٢) المزمور (٥٨/١٠، ١١).

(٣) سيجريد هونكه، اللَّه ليس كذلك (ص ٢٢)، ترجمة/ د. غريب محمد غريب، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٩٩٥م).

شعوبها وأمرائها ضد بعضهم البعض حروبًا مقدسة، **هدفها الإكراه على تغيير الاعتقاد الديني... يتقربون بمجازرها إلى الله، ويقيمون الصلوات والقداديس في ذكرى المجازر التي ارتكبوها فيها، شكرًا لله!!**

لقد غدت هذه الكنائس – التي تنازعت النصرانية والأناجيل وطبيعة المسيح ﷺ – ديانات مستقلة، لكل كنيسة منها « قانون للإيمان » يحتكر الدين والخلاص الديني لأبناء المذهب دون سواهم، ويتخذ من هذه الحرب الدينية المقدسة سبيلًا من العنف القتالي لإبادة المخالفين في المذهب، أو إكراههم على تغيير عقيدتهم الدينية.

وفي هذه الحروب الدينية المقدسة – التي دامت أكثر من قرنين من الزمان – بين الكاثوليك والبروتستانت، والتي اشتهر منها إحدى عشرة حربًا في (١٥٦٢ – ١٥٦٣م) و (١٥٦٩ – ١٥٧٠م) و (١٥٧٢ – ١٥٧٣م)، (١٥٧٤ – ١٥٧٦م) و (١٥٧٦ – ١٥٧٧م) و (١٥٨٠م) و (١٥٨٥ – ١٥٩٤م) و (١٥٨٦م) و (١٦٢١م) و (١٦٢٥ – ١٦٢٩م)... والتي أبيد فيها (٤٠٪) من شعوب وسط أوروبا!!... في هذه الحروب، ذبح الكاثوليك – على عهد « تشارلس التاسع » (١٥٥٠ – ١٥٧٤م) وحده – أكثر من عشرين ألفًا من البروتستانت!... ويومئذ انهالت التهاني على الملك، وكاد البابا « جريجوري الثالث عشر » (١٥٧٢ – ١٥٨٥م) يطير فرحًا بهذه المذابح المقدسة وضحاياها!!... حتى أنه أمر أن تُسكَّ أوسمة لتخليد ذكرى هذه « المجازر المقدسة »، وتوزع على الشعب والأعيان... ولقد رسمت صورة البابا على هذه الأوسمة، وإلى جانبه صورة الملك « تشارلس التاسع » وهو يضرب بسيفه أعناق « الملحدين – البروتستانت »! وكتب على هذه الأوسمة عبارة: « إعدام الملحدين »!

كذلك، أمر البابا – لمزيد من الاحتفال بهذه المجازر المقدسة – بإطلاق المدافع، وإقامة القداديس في شتى الكنائس، ودعا الفنانين إلى تصوير مناظر المذابح على حوائط الفاتيكان [1].

* * *

(١) د. توفيق الطويل، قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام (ص ٩٧، ٩٨)، طبعة القاهرة، سنة (١٤١٢هـ – ١٩٩١م).

• كذلك كانت محاكم التفتيش التي أقامتها كل كنيسة غربية ضد مخالفيها في الاعتقاد... والتي أقامتها ضد المسلمين واليهود عقب إسقاط « غرناطة » (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م) واقتلاع الإسلام من الأندلس، كانت محاكم التفتيش هذه - والتي دامت ثلاثة قرون! - حروبًا دينية مقدسة، أرادت من ورائها الكهانة الكنسية الغربية « خلاص » المخالفين « بتخليصهم من الحياة »!! « **فالذين لا يذعنون للكنيسة، ويعتقدون بصدق نظرياتها، تحيق بهم اللعنة الأبدية لا محالة... ويصبح إنقاذ الدنيا منهم واجبًا مقدسًا!!... وحتى الطفل - على براءته وخلو ساحته من الخطايا - متى مات من غير تعميد - على المذهب الكاثوليكي - قضى بقية حياته في جهنم!.. ولذلك كان طبيعيًا - في ظل هذه العقيدة للخلاص، وهذا الدستور لاضطهاد المخالفين - أن يتعرض المتهمون بالمروق لأشد صنوف العذاب..** » [(١)].

ولقد توطد وشاع نظام محاكم التفتيش هذه حتى غطى كل أنحاء العالم المسيحي بشبكة لا سبيل إلى اتقائها... تعاون فيها وعليها البابوات والقساوسة والرهبان والملوك والأمراء والعامة والدهماء... وشهدت إنجلترا - في عهد الملك « هنري الرابع » (١٣٩٩ - ١٤١٣م) والملك « هنري الخامس » (١٤١٣ - ١٤٢٢م) - موجة من الإعدامات للمخالفين بواسطة الإجلاس على الخازوق!... ولم يلغ هذا الأسلوب نهائيًا إلا في (١٦٧٦م)! أي: **إن الإعدام بالخازوق المقدس قد دام قرابة ثلاثة قرون!**

أما في إسبانيا فلقد بدأت محاكم التفتيش في عهد الملكة « إيزابيلا » (١٤٥١ - ١٥٠٤م) والملك « فرديناند » (١٤٥٢ - ١٥١٦م) - بمباركة البابا « سكستوس الرابع » (١٤٧١ - ١٤٨٤م)... وشملت حتى المستعمرات التي حكمتها إسبانيا... وطبقت على المسلمين واليهود المهزومين، رغم عهد الأمان الذي حصلوا عليه... فأجبر على التنصر منهم من ضعف عن تحمل العذاب... وفر من إسبانيا من آثر التمسك بدينه... وغرقت البلاد في حمام من الدم الذي سفكته محاكم التفتيش.

وكان المبدأ العام الذي يحكم محاكم التفتيش هذه - وفق « فرمان الإيمان » - يقول: « **لأن يُدان مائة بريء زورًا وبهتانًا، ويعانوا العذاب ألوانًا، خير من أن يهرب من**

---

(١) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام (ص ٧٣).

العقاب مذنب واحد »! [١].

وعند تنفيذ أحكام هذه المحاكم، « فكل من ساهم في تقديم الوقود الذي يحرق به المحكوم عليه، فقد استحق المغفرة لما قدم من الذنوب »!! [٢].

* * *

هكذا عرف اللاهوت الكنسي الغربي تلك الحروب الدينية المقدسة... ضد الإسلام والمسلمين... وضد الكنائس المخالفة في الاعتقاد ... وضد الأفراد الذين اتهموا بحرية التفكير والبحث العلمي خارج الإنجيل.

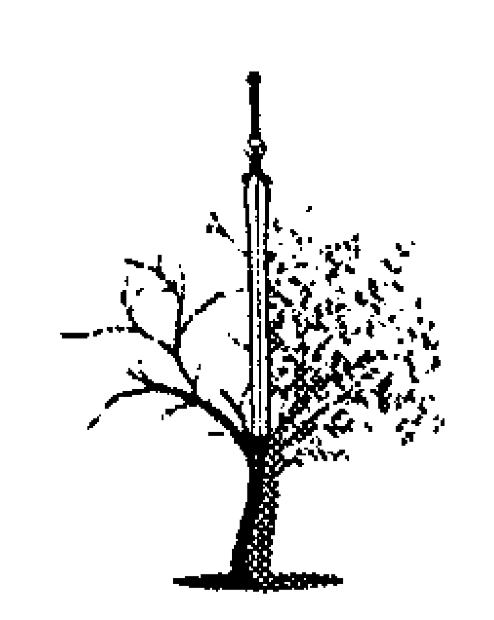
وانطلاقًا من هذا النموذج « الحضاري » و « التاريخي » ومن خلال هذا المنظار الغربي نظر كثير من المستشرقين الغربيين إلى الجهاد، الذي تحدث عنه القرآن الكريم... والذي جعلته السنة النبوية ذروة سنام الإسلام.

* * *

---

(١) قارن ذلك بالقاعدة الإسلامية، التي أوردها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥هـ/ ١٠٥٨ - ١١١١م)، في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٤٣)، والتي تقول: « ينبغي الاحتراز من التكفير ما وجد الإنسان إلى ذلك سبيلًا، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم ».

(٢) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام (ص ٨١ - ٨٣).



(٣)
حقيقة الجهاد الإسلامي

إن الجهاد الإسلامي ليس حربًا دينية مقدسة؛ لأن الإسلام ينكر ويستنكر أي حرب دينية، فالإيمان الإسلامي: تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين... وهو سر بين المؤمن وبين خالقه، لا يتأتى إلا بالفهم والعلم والإقناع والاقتناع، ولا يمكن أن يكون ثمرة لأي لون من ألوان الإكراه – فضلًا عن أن يكون هذا الإكراه عنفًا قتاليًا – ولذلك، قرر القرآن الكريم القاعدة المُحكمة والحاكمة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].. والتي لا تعني فقط « **النهي** » عن الإكراه في الدين، وإنما تعني – أيضًا – « **نفي** » أن يكون هناك دين أو تدين عن طريق الإكراه!... إذ الإكراه يثمر « **نفاقًا** » – وهو أخطر من « **الشرك** » الصراح و « **الكفر** » البواح –... ولا يمكن أن يثمر « **إيمانًا** » بحال من الأحوال.. ولذلك، شاعت في القرآن الكريم الآيات التي تقول للمخالفين: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]. ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾ [الكهف: ٢٩]. والتي تحدد مهمة الرسالة في الاعتقاد: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ ﴾ [المائدة: ٩٩]. ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]. ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾ [ق: ٤٥]. ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

* * *

وإذا كان الخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب الدينية المقدسة هو أثرٌ من آثار سوء الفهم للإسلام، أو سوء النية في تصوير الإسلام... فإن هناك خطأً آخر يقع فيه الذين يختزلون الجهاد الإسلامي في القتال الذي تحدث عنه القرآن الكريم، ومارسه المسلمون في عصر النبوة، وعلى امتداد تاريخ الإسلام.

وذلك أن الجهاد الإسلامي – الذي هو فريضة إسلامية – أعم من القتال – الذي شرعة الإسلام – فكل قتال جهاد وليس كل جهاد قتالًا... إذ القتال هو الجانب العنيف من الجهاد، وليس كل الجهاد!

إن الجهاد في اصطلاح العربية – كما جاء في « لسان العرب » لابن منظور

(٦٣٠ - ٧١١هـ/١٢٣٢ - ١٣١١م) هو: « استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل »... فهو لا يقف عند « الفعل » فضلًا عن أن يكون هذا « الفعل » فقط هو « الفعل العنيف » - الحرب - دون سواه.

والجهاد في الاصطلاح القرآني « هو بذل الوسع في المدافعة والمغالبة » في كل ميادين المدافعة والمغالبة.. أي: في كل ميادين الحياة.. وليس فقط في ميادين القتال... « وأكثر ما ورد الجهاد في القرآن الكريم ورد مرادًا به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها » [1]... وسبيل الدعوة الإسلامية هو الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.. وليس بالقتال والإكراه والحرب الدينية المقدسة.. فميادين الجهاد الإسلامي الأكبر والأعظم والأغلب هي عوالم الأفكار والحوار...

وكذلك جاء تعريف الجهاد « بالدعاء إلى الدين الحق » في الكثير من موسوعات المصطلحات في تراث حضارة الإسلام [2].

فبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد في ميادين العلم والتعلّم والتعليم هو جهاد... وبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد في عمران الأرض - نهوضًا بأمانة الاستخلاف الإلهي للإنسان - هو جهاد..

بل إن الرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد - الطبيعة - هو جهاد..

وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين والأقربين وأولي الأرحام هو جهاد..

كما أن الخشية للَّه ومراقبته وتقواه والتبتل إليه ﷺ هي قمة من قمم الجهاد الذي فرضه الإسلام...

ولهذه الحقيقة - حقيقة عموم الجهاد في كل ميادين الحياة، وليس اختزاله فقط في القتال - قسّم الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ/١١٠٨م) « الجهاد إلى ثلاثة أضرب:

١ - مجاهدة العدو الظاهر..

٢ - ومجاهدة الشيطان..

٣ - ومجاهدة النفس..

---

(١) مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، طبعة القاهرة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).

(٢) انظر - على سبيل المثال -: الجرجاني، التعريفات، طبعة القاهرة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م)، والكفوي، الكليات، تحقيق/ د. عدنان درويش، محمد المصري، طبعة دمشق (١٩٨٢م).

وتدخل ثلاثتها في قوله – تعالى –: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿ وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ [التوبة: ٤١]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال ﷺ: « **جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم.. وجاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم** » [1].

وعندما نزل – بالقرآن الكريم – في الشعر ما نزل: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧]... ذهب الصحابي الشاعر كعب بن مالك (٥٠/٦٧٠م) إلى رسول الله ﷺ فقال:

– يا رسول الله، إن الله – تبارك وتعالى – أنزل في الشعر ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟

– فقال ﷺ: « **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل** » [2] – أي: رمي النبل –.

فالكلمة الصادقة جهاد..

بل إن الموضع الوحيد الذي وصف فيه « الجهاد » بـ « الكبير » – في القرآن الكريم – كان حديثًا عن الجهاد بالقرآن – أي: بالفهم والوعي والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة – وليس حديثًا عن القتال بالسنان: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

بل لقد جعلت السنة النبوية – وهي البيان النبوي للبلاغ القرآني – من **أفعال القلوب** – وليس فقط الأيدي والألسنة – ميدانًا من ميادين الجهاد الإسلامي... فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان من أمّته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من**

---

(١) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، طبعة القاهرة (١٩٩١م).

(٢) رواه الإمام أحمد.

بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (١).

كذلك جعلت السنة النبوية العلم والتعلّم قرينًا مساويًا للجهاد في سبيل اللّه.. فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « **من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيرًا أو ليعلّمه كان كالمجاهد في سبيل اللّه** » (٢).. وفي الحديث كذلك أن: « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل اللّه** » (٣). وكذلك **بر الوالدين**، هو ميدان من ميادين الجهاد الإسلامي، بنص حديث رسول اللّه ﷺ.. فعن عبد اللّه بن عمر ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال له ﷺ:

- « **أحيٌّ والداك؟** ».
- قال: نعم.
- قال ﷺ: « **ففيهما فجاهد** » (٤).

وكذلك الحال مع **حراسة النفس من الشيطان**، يعدها الإسلام ميدانًا من ميادين الجهاد... وكما يقول المعصوم ﷺ: « **فالمجاهد من جاهد نفسه في اللّه** ﷻ » (٥)..

ومثل ذلك **حراسة الوطن والمرابطة على ثغور دار الإسلام** - كل الثغور - هي جهاد يكون أصحابها أول من يدخل الجنة من خلق اللّه... فعن عبد اللّه بن عمرو ابن العاص ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال:

- « **أتدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللّه؟** »
- قالوا: اللّه ورسوله أعلم.
- قال: ﷺ: « **أول من يدخل الجنة من خلق اللّه: الفقراء، والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويُتّقى بهم المكاره** » (٦).

كذلك جعلت السنة النبوية **الحج إلى بيت اللّه الحرام** - وفيه التجرد من الدنيا وقوّتها، بل وزينتها - والتعايش السلمي حتى مع الهوام وكل أنواع الأحياء والنباتات -

---

(١) رواه مسلم.
(٢ - ٤) رواه البخاري ومسلم.
(٥) رواه الترمذي والإمام أحمد.
(٦) رواه الإمام أحمد.

جعلت السنة النبوية هذا الحج ميدانًا من ميادين الجهاد الإسلامي، فقال رسول الله ﷺ فيما يرويه طلحة بن عبيد الله ﷺ (٢٨ق.هـ - ٣٦هـ/٥٩٦ - ٦٥٦م): « **الحج جهاد والعمرة تطوّع** »[1].

وعندما استأذنت النساء رسول الله ﷺ في الخروج إلى الجهاد القتالي، قال لهن: « **جهادكن الحج** »[2].. فجعل الحج - بالنسبة للرجال والنساء - ميدانًا من ميادين الجهاد الإسلامي في هذه الحياة.

تلك هي حقيقة الجهاد الإسلامي، الذي هو بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة، في أي ميدان من ميادين الحياة، على امتداد هذه الميادين واتساعها وتنوعها... وليس فقط هو القتال... فضلًا عن أن يكون الحرب الدينية المقدسة، كما عرفتها ومارستها الكهانة الكنسية الغربية في صراعها الدامي ضد الإسلام وأمته وحضارته... وضد المخالفين لها في الاعتقاد.

ولهذه الحقيقة كان الجهاد الإسلامي فريضة لازمة على كل مسلم ومسلمة؛ لأنه مستطاع لكل المكلفين، وفق القدرات التي امتلكها ويمتلكها هؤلاء المكلفون، وفي أي ميدان يستطيع المكلف أن يبذل جهده فيه - بسائر ميادين العبادات والمعاملات - بينما كان القتال - الذي هو شعبة من شعب الجهاد - مشروطًا بشروط، وله ميادين محددة ضبطها القرآن الكريم في الآيات التي تحدثت عن القتال.

ولقد أدرك هذه الحقيقة - حقيقة مغايرة الجهاد الإسلامي للحرب الدينية المقدسة، كما عرفتها الكنيسة الأوروبية والحضارة الغربية - أدرك هذه الحقيقة نفر من علماء الغرب، الذين تحلوا بالموضوعية والعمق والإخلاص في دراساتهم للإسلام.. ومن هؤلاء العلماء كانت المستشرقة الألمانية الدكتورة « سيجريد هونكه » (١٩١٣ - ١٩٩٩م) التي كتبت عن هذه الحقيقة من حقائق الجهاد الإسلامي، فقالت:

« إن الجهاد الإسلامي ليس هو ما نطلق عليه - ببساطة - مصطلح الحرب المقدسة. فالجهاد « هو كل سعي مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام في أنفسنا، حتى نتمكن في هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومي المتجدد أبدًا ضد القوى

---

(١) رواه ابن ماجه.

(٢) رواه البخاري وابن ماجه والإمام أحمد.

الأمارة بالسوء في أنفسنا وفي البيئة المحيطة بنا عالميًّا.

فالجهاد هو المنبع الذي لا ينقص، والذي ينهل منه المسلم مستمدًّا الطاقة التي تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعًا لإرادة اللَّه عن وعي ويقين. إن الجهاد بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية، للدفاع بردع كافة القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام » [1].

تلك هي حقيقة الجهاد الذي فرضه اللَّه ﷻ وجعله ذروة سنام الإسلام... والذي جاهده المسلمون – ولا يزالون – على امتداد تاريخ الإسلام.. والذي يكون جهادًا كبيرًا عندما يكون فقهًا ووعيًا وحوارًا بالحكمة والموعظة الحسنة، انطلاقًا من القرآن الكريم: ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢].

* * *

ولقد أدرك حقيقة الجهاد الإسلامي الإمام محمد عبده.. فكتب يقول في تفسير قول اللَّه ﷻ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]:

«... ربما يقول قائل: إن الآية تفيد أن من لم يجاهد ويصبر لا يدخل الجنة، مع أن الجهاد فرض كفاية.

ونقول: نعم، إنه لا يدخل الجنة من لم يجاهد في سبيل الحق، ولكن الجهاد في الكتاب والسنة يستعمل بمعناه اللغوي، وهو احتمال المشقة في مكافحة الشدائد، ومنه جهاد النفس، الذي روي عن السلف التعبير عنه بالجهاد الأكبر. ومن أمثلة ذلك مجاهدة الإنسان لشهواته، لا سيما في سن الشباب، وجهاده بماله، وما يُبتلَى به المؤمن من مدافعة الباطل ونصرة الحق.

إن للَّه في كل نعمة عليك حقًّا، وللناس عليك حقًّا، وأداء هذه الحقوق يشق على النفس، فلا بد من جهادها ليسهل عليها أداؤها، وربما يفْضُلُ بعض جهاد النفس جهاد الأعداء في الحرب، فإن الإنسان إذا أراد أن يبث فكرة صالحة في الناس أو يدعوهم

---

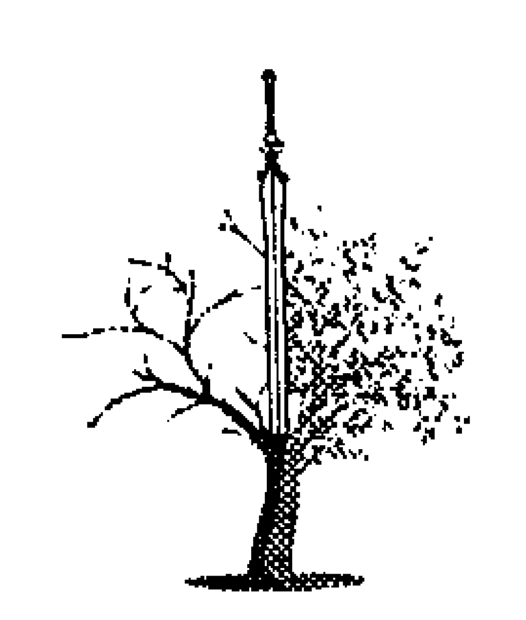
(١) اللَّه ليس كذلك (ص ٤٠)، وانظر كتابنا: الإسلام في عيون غربية (ص ٣٢٥)، طبعة دار الشروق، القاهرة، سنة (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م).

إلى خيرهم – من إقامة سنّة أو مقاومة بدعة أو النهوض بمصلحة – فإنه يجد أمامه من الناس من يقاومه ويؤذيه إيذاءً قلما يصبر عليه أحد. وناهيك بالتصدي لإصلاح عقائد العامة وعاداتهم، وما الخاصة في ضلالهم إلا أصعب مراسًا من العامة »! [1].

فالجهاد أعم من القتال... ولذلك – كما يقول الإمام محمد عبده – فلن يدخل الجنة إلا المجاهدون... بينما القتال ليس شرطًا في النجاة؛ لأنه ليس فرضًا في كل الحالات، وفي جميع لحظات الحياة!...

* * *

(١) الأعمال الكاملة (٥/١٠٧)، طبعة بيروت، (١٩٧٢م).



(٤)
حقيقة القتال في الإسلام

وإذا كان الجهاد - في الإسلام - أعم من القتال... فإن القتال - الذي هو الجهاد العنيف - والذي هو شُعبة واحدة من الشُّعب السلمية التي لا تُحصى للجهاد - متميزة ثمرته - وهي القتل - عن الموت الطبيعي.. فالموت: هو فَوْتُ الحياة.. بينما القتل: هو إزالة الروح وإزهاقها، وفوت الحياة بفعل فاعل من الخارج يتولى هذا الإزهاق.

وليس هناك شك - بل ولا غرابة - في أن نجد في الإسلام تشريعًا مضبوطًا يجوّز القتال أو يوجبه في بعض الحالات، ذلك أن الإسلام دين ودولة... وأمة ووطن.. واجتماع ونظام... فالدين - في الإسلام - لا بد لإقامته من وطن يقام فيه؛ لأن هذا الدين ليس مجرد « تكاليف فردية »، يستطيع المكلف بها أن يقيمها بمعزل عن الناس، أو بإدارة الظهر للناس، وإنما فيه - إلى جانب التكاليف الفردية - تكاليف اجتماعية لا تؤدى إلا في أُمة وجماعة ونظام ومؤسسات وسلطة واجتماع، أي: لا بد له من وطن ودولة... وهذه التكاليف الاجتماعية - والكفائية - هي آكد وأهم من التكاليف الفردية؛ لأن الإثم في التخلف عن التكليف الفردي يقع على الفرد فقط، بينما إثم التخلف عن التكليف الجماعي والاجتماعي - الكفائي - يقع على الأمة جمعاء.

بل إن أغلب التكاليف الفردية - في الإسلام - تُودّى وتُقام في جماعة، وثوابها في الجماعة أضعاف أضعاف إقامتها خارج الجماعة.

ولهذه الحقيقة - التي تميّز بها الإسلام عن النصرانية... التي تتمثل ذروة إقامتها كاملة في الرهبانية التي تدير الظهر للعالم والدنيا والناس - كان « الوطن » هو الوعاء الذي بدونه لا تُقام جملة شعائر الإسلام وفرائضه وتكاليفه.

ولهذه الحقيقة - أيضًا - رفع الإسلام قيمة الحفاظ على حرية الوطن واستقلاله وسيادته، وحق المواطن - بل واجبه - في أن يعيش حرًّا في وطن حر... رفع هذه القيمة

إلى مقام الحياة!... فجاء في القرآن الكريم حديث عن أن الإخراج من الديار معادل ومساوٍ للقتل الذي يُخرج الإنسان من عداد الأحياء:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦]... وجاء في القرآن الكريم - كذلك - الإشارة إلى بنود المواثيق التي أخذها الله ﷻ على بعض الأمم، ومنها نتعلم **أن الإخراج من الديار، والحرمان من الوطن، هو معادل لسفك الدماء والإخراج من الحياة:** ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

ولذلك، جعل القرآن الكريم: « استقلال الوطن وحريته » - الذي هو ثمرة لوطنية أهله وبسالتهم في الدفاع عنه - جعل ذلك « حياة » لأهل هذا الوطن... بينما عبر عن الذين فرطوا في استقلال وطنهم بأنهم « أموات »!.. وجعل من عودة الروح الوطنية إلى الذين سبق لهم التفريط فيها، عودة لروح الحياة إلى الذين سبق وأصابهم الموت والموات: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٣، ٢٤٤].

فالذين خرجوا من ديارهم - وليس الذين أُخرجوا - لضعف في وطنيتهم، وجبن عن مقاتلة أعداء وطنهم، هم أموات، مع أنهم ألوف يأكلون ويشربون! « وعودة الوطنية إليهم، واستخلاصهم لوطنهم، هو إحياء لهم بعد الممات! ».

ولأن هذا هو مقام الوطن وضرورته لإقامة دين الإسلام وشريعته كان الجهاد القتالي واردًا - وأحيانًا واجبًا - للحفاظ على الوعاء - الوطن - الذي بدونه لا يُقام كامل الإسلام.

وفي تفسير هذه الآيات - على هذا النحو - قرر الإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ/١٨٤٩ - ١٩٠٥م):

« أن معنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم، وأزال استقلال أمتهم، حتى صارت لا تعد أمة، بأن تفرق شملها، وذهبت جامعتها، فكل ما بقي من أفرادها خاضعون للغالبين ضائعون فيهم، مدغمون في غمارهم، لا وجود لهم في أنفسهم، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم، ومعنى حياتهم هو: عودة الاستقلال إليهم!.. إن الجبن عن مدافعة الأعداء، وتسليم الديار، بالهزيمة والفرار، هو الموت المحفوف بالخزي والعار، وإن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة الملّية المحفوظة من عدوان المعتدين... والقتال في سبيل اللّه... أعم من القتال لأجل الدين؛ لأنه يشمل - أيضًا - الدفاع عن الحوزة إذا همَّ الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا... فالقتال لحماية الحقيقة.. كالقتال لحماية الحق، كله جهاد في سبيل اللّه... ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين » [(١)].

فلا بد لإقامة الإسلام من وطن، الأمر الذي يجعل القتال لحماية حرية هذا الوطن - التي هي حرية مواطنيه - واردًا في شريعة الإسلام... فالحفاظ على الدين هو ذروة سنام مقاصد الشريعة الإسلامية... والحفاظ على حرية الوطن الإسلامي هو الشرط لإقامة الدين، والقيام بأمانة العمران التي هي المهمة العظمى من وراء استخلاف اللّه ﷻ لجنس الإنسان... ولذلك، **وقف الإسلام بالقتال - إذنًا.. وأمرًا وتحريضًا - فقط عند:**

١ - الحفاظ على الدين، وحرية الدعوة إليه، وتحرير ضمائر المؤمنين به من الفتنة والإكراه..

٢ - والحفاظ على الوطن، وصيانة حريته وحرية أهله من العدوان..

فالقتال - في الإسلام - هو الاستثناء الذي لا يجوز اللجوء إليه إلا لمدافعة الذين يفتنون المسلمين في دينهم.. أو يخرجونهم من ديارهم... ولقد كان منهاج الدعوة الإسلامية هو التجسيد لهذا المنهاج...

---

(١) الأعمال الكاملة، للإمام محمد عبده (٤/٦٩٥ - ٦٩٧)، دراسة وتحقيق/ د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق، القاهرة (١٩٩٣م).

ففي البداية... وبعد ما تعرض له المسلمون من أذى في عقيدتهم وفتنة عن دينهم واضطهاد تصاعد حتى اقتلعهم من وطنهم - مكة - وجعلهم يهاجرون إلى يثرب - المدينة - بعد هجرة العديد منهم إلى الحبشة - أذن الله - مجرد إذن - للمؤمنين في القتال... ولقد كان الإخراج من الديار، والفتنة في الدين الأسباب التي ذكرها القرآن الكريم في كل الآيات التي شرّعت لهذا القتال.

ففي الإذن بالقتال، يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ۝٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٨ - ٤٠].

وعندما تطور الحال من « **الإذن** » في القتال إلى « **الأمر** » به، جاء القرآن الكريم ليضع الإخراج من الديار سببًا لهذا الأمر بالقتال: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٢].

فهو قتال دفاعي، ضد الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم، وفتنوهم في دينهم، لتحرير الوطن الذي سلبه المشركون من المسلمين: ﴿ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٩١] (١).

ذلك لأن منهاج الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى الله وإلى دينه ليس القتال، وإنما هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٥ - ١٢٨].

---

(١) انظر في تفصيل ذلك كتابنا: الإسلام والحرب الدينية (ص ٣٢ - ٣٩)، طبعة مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

بل لقد تميز الإسلام - في هذا الميدان - برفضه فلسفة « **الصراع** »؛ لأنه يؤدي إلى أن يصرع القوي الضعيف، فيزيله، وينهي التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف، التي هي سنة من سنن الله ﷻ في سائر المخلوقات.... رفض الإسلام فلسفة « **الصراع** » وأحل محلها فلسفة « **التدافع** » الذي هو حراك يعدّل المواقف، ويعيد التوازن والعدل، مع بقاء التعددية والتعايش والحوار والتفاعل بين مختلف الفرقاء: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

إن الإسلام لا يريد « **الصراع** » الذي ينهي « **الآخر** » ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧، ٨]... وإنما « **التدافع** » الذي هو حراك يحل التوازن محل الخلل الذي يصيب علاقات الفرقاء المتمايزين.

كذلك يرفض الإسلام الفلسفات التي اعتبرت القتل والقتال وإزهاق الأرواح جبلّة جُبل عليها الإنسان، وغريزة من غرائزه المتأصلة فيه... وفي مواجهة هذه الفلسفات - التي ذهبت إلى حد اعتبار الحرب طريقًا من طرق التقدم والتطور! - **يقرر الإسلام أن القتال هو الاستثناء المكروه، وليس القاعدة... إنه ضرورة تُقدر بقدرها**: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، **وليس هناك « مكتوب » - مفروض، وُصِفَ في القرآن الكريم بأنه « كُرْه » سوى القتال!**

ولقد بينت السنة النبوية - وأكدت - هذه الفلسفة الإسلامية إزاء القتال، فقال رسول الله ﷺ: « **لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله** » (١).

* * *

وحتى هذا القتال - الذي كُتب على المسلمين وهو كُره لهم - والذي وقف به الإسلام ودولته عند حدود القتال الدفاعي؛ لحماية حرية العقيدة، وحرية الدعوة من الفتنة - التي هي أكبر من القتل المادي - ولحماية حرية الوطن - الذي بدونه لا يُقام الإسلام - ... حتى هذا القتال - الاستثناء والضرورة - قد وضع الإسلام ودولته له

---

(١) رواه الدارمي.

« دستورًا أخلاقيًا » تجاوز في سُموِّه كل المواثيق الدولية التي تعارف عليها المجتمع الدولي نظريًّا!! بعد أربعة عشر قرنًا من ظهور الإسلام، وتطبيق المسلمين لقواعد الدستور الأخلاقي لهذا القتال.

وفي قواعد أخلاقيات دستور الفروسية الإسلامية هذا يروي الراشد الخامس عمر ابن عبد العزيز ﷺ (٩١ - ١٠١هـ/٦٨١ - ٧٢٠م) وهو على رأس السلطة التنفيذية - الخلافة - وليس في صفوف المعارضة! - يروي فيقول: « إنه بلغنا أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا بعث سرية يقول لهم: « **اغزوا باسم اللَّه، في سبيل اللَّه، تقاتلون من كفر باللَّه، لا تغُلّوا (أي: لا تخونوا) ولا تغدروا، ولا تمثلوا (أي: لا تمثلوا بجثث القتلى) ولا تقتلوا وليدًا** » [1].

ولقد صاغ أبو بكر الصديق ﷺ (٥١ق.هـ - ١٣هـ/٥٧٣ - ٦٣٤م) وهو رأس الدولة - قواعد هذا الدستور الأخلاقي للقتال والحرب، في وثيقة إسلامية، عندما أوصى قائد جيشه يزيد بن أبي سفيان (١٨هـ/٦٣٩م) وهو يودعه أميرًا على الجيش الذاهب لرد عدوان البيزنطيين في الشام، فقال في وثيقة الوصايا العشر: « **إنك ستجد قومًا زعموا أنهم حبسوا أنفسهم للَّه (الرهبان) فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له... وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تحرقن نخلًا، ولا تفرقنه، ولا تغلل، ولا تجبن** » [2].

فكانت هذه - « وثيقة الوصايا العشر » - دستور الآداب الإسلامية وأخلاقيات القتال، عندما يُفرض على المسلمين القتال.

* * *

أما المرجفون الذين يزعمون أن سورة « براءة - التوبة » قد حضت على قتال المخالفين كافة للمسلمين... فإن فقه آيات هذه السورة - التي يغمزون ويلمزون فيها - يرد دعواهم هذه إلى نحورهم... ففي هذه الآيات يقول اللَّه ﷻ : ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) رواه مسلم، ومالك في الموطأ.

(٢) رواه مالك في الموطأ.

وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١ - ١٦].

يرجف كثير من المرجفين - مستشرقين وعملاء لهم - حول هذه الآيات، زاعمين أنها تحض على القتال والتربص بالمشركين في كل مكان، وعلى القتل والإرهاب لهؤلاء المشركين... حتى لقد قال أحد عملاء وضحايا التخريب - متسائلًا تساؤل الإنكار والاستنكار -: « **لماذا يستشهد المسلمون دائمًا بالنصوص القرآنية والأحاديث**

النبوية التي تبرز الوجه السلمي المتسامح للإسلام، ويتجاهلون النصوص الأخرى التي تحض على القتال والقتل والإرهاب؟!... مع أن النصوص التي تحض على القتال والتربص بالمشركين نزلت بعد النصوص التي تؤكد التسامح والمساواة؟!... » [1].

وهذا الإرجاف والغمز واللمز - بل والطعن - يجهل ويتجاهل الحقائق الصُّلبة التي تفصح عنها هذه الآيات - من سورة براءة - **فهي تميز في المشركين بين توجهات ثلاثة:**

١ - مشركون معاهدون للمسلمين، يحترمون العهود... والآيات تدعو المسلمين إلى الوفاء بالعهود لهؤلاء المشركين: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤] [1].

٢ - ومشركون محايدون، لم يحددوا موقفًا - مع أو ضد - ويريدون أن يعلموا الحقيقة ليتخذوا لهم موقفًا... وهذه الآيات تطلب من المسلمين إجارة هؤلاء المشركين؛ وتأمينهم، ووضع الحقائق أمام بصائرهم وأبصارهم... ثم تركهم أحرارًا، بل وحراستهم حتى يبلغوا مأمنهم، ليقرروا ما يقررون: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦].

٣ - أما الفريق الثالث من المشركين، فهم الذين يقاتلون المسلمين، والذين احترفوا نقض العهود مع المسلمين: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠]... ﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ١٢]؛ لقد ﴿ نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢].

فليس هناك تعميم لقتال كل المشركين في هذه الآيات - التي تعلق بها ويتعلق المرجفون الذين يتهمون الإسلام بالقتل والإرهاب -؛ لأن التربص والقتال في هذه الآيات ليس لمطلق المشركين، ولا لكل المخالفين، وإنما هو رد لعدوان المعتدين الذين نقضوا العهود ونكثوا الأيمان وأخرجوا الرسول ﷺ والمؤمنين من ديارهم: ﴿ أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ

---

(١) د. نصر حامد أبو زيد، مجلة وجهات نظر، القاهرة في (يناير ٢٠٠٢م)، مقال « الإسلام والغرب: حرب الكراهية ».

مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣]..

فمعيار الإسلام ودولته، في السلم والسلام أو الحرب والقتال، ليس « **الإيمان** » و« **الكفر** » ولا « **الاتفاق** » و « **الاختلاف** » وإنما هو التعايش السلمي بين الآخرين وبين المسلمين، أو عدوان الآخرين على المؤمنين، بالفتنة في الدين أو الإخراج من الديار... وعن هذا المعيار للعلاقة بين الإسلام وبين الكافرين به والمنكرين له يقول القرآن الكريم: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٧ - ٩].

ولقد طبق المسلمون هذا المعيار في العلاقات مع المخالفين... فكان اليهود - بدولة المدينة المنورة - جزءًا من الرعية والأمة... ونص دستور هذه الدولة الإسلامية على أن « **لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا مُتَنَاصَر عليهم... وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم... وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة... وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه... فيهود أمة مع المؤمنين...** » (١).

وبالنسبة لعموم النصارى، قررت المواثيق النبوية في هذه الدولة الإسلامية الأولى: « **أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم** » (٢).

* * *

• أما الجزية التي فرضتها الدولة الإسلامية على الذين دخلوا في دولتها ولم يدخلوا

---

(١) د. محمد حميد الله الحيدرآبادي: محقق/ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص ١٦ - ٢١)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦م).

(٢) المصدر السابق (ص ١١١).

في دينها، فإنها لم تكن اختراعًا إسلاميًا، وإنما كانت ضريبة معروفة فيما سبق الإسلام من دول وقوانين... فجاء الإسلام لينتقل بها من إطار « **التمييز - الظالم** » إلى إطار « **العدل** »، الذي هو فريضة إسلامية، والروح السارية في حضارة الإسلام.

فالخراج على الأرض: ضريبة تتساوى فيها الرعية، المسلمون منها وغير المسلمين.

وضريبة الجندية وحماية الدولة والدفاع عن رعيتها وأمتها - المسلمين منها وغير المسلمين - كان المسلمون هم القائمين الأساسيين بأدائها؛ لاعتبارات أمنية اقتضتها المراحل الأولى من الفتوحات وتكوين الدولة... وحتى لا يجبر غير المسلمين على الانخراط في جيش يخوض معارك لا تقتنع بها ضمائرهم وثقافتهم، التي لم تكن قد توحدت مع الثقافة الإسلامية في تلك المرحلة المبكرة من تكوين الدولة الإسلامية... فكانت هذه الجزية بدلًا من الجندية، ولم تكن بدلًا من الإيمان بالإسلام... ويشهد على ذلك أنها لم تفرض إلا على القادرين على أداء الجندية، المالكين لما يدفعونه ضريبة لهذه الجندية... ولو كانت بدلًا من الإيمان بالإسلام لوجبت على كل المخالفين في الدين... ولم يكن أمرها كذلك، فهي لم تفرض على الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء ولا العجزة ولا المرضى من أهل الكتاب، وهؤلاء جميعًا مخالفون للمسلمين في الدين... كما أنها لم تفرض على الرهبان ورجال الدين - وهم من هم مخالفة في الدين! - وكل الفقهاء المسلمين - باستثناء فقهاء المالكية - يقولون: إنها « بدل عن النصر والجهاد » [١].

ولقد شهدت على ذلك - أيضًا - التطبيقات الإسلامية لضريبة الجزية هذه..

• لقد فرضت على القادرين - بدنيًا وماليًا - من نصارى نجران... وفي نظير ذلك كان إعفاؤهم من الجندية.. فنص عهد رسول الله ﷺ لنصارى نجران على أنه: « **لا يُكَلَّف أحدٌ من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران... وأن يكون المسلمون ذُبّابًا عنهم، وجوارًا من دونهم** » [٢].

• وفي البلاد التي آثر فيها غير المسلمين أداء ضريبة الجندية مع المسلمين، لم تفرض عليهم الجزية، بل كانوا متساوين مع المسلمين في القتال وفي نصيبهم من غنائم هذا القتال.. حدث ذلك في « **جرجان** »، ونصت معاهدة القائد « سويد بن مقرن » مع أهلها

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١٤/٨)، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (ص ١٢٥).

عليه، إذ جاء فيها: « **ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضًا من جزائه** » [١]...

وحدث ذلك مع أهل « **أذربيجان** »، ونصت عليه معاهدة القائد « **عقبة بن فرقد** » - عامل عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ - ٢٣هـ/٥٨٤ - ٦٤٤م) - مع أهلها، إذ جاء فيها: «... **ومن حُشر - أي: استدعي للقتال - منهم في سنة وُضع عنه جزاء - أي: جزية - تلك السنة...** » [٢]...

وحدث ذلك أيضًا مع أهل « **أرمينية** » ونصت عليه معاهدة القائد « سراقة بن عمرو » (٣٠هـ/٦٥٠م) - عامل عمر بن الخطاب - مع أهلها، إذ نصّت المعاهدة « **على أن يوضع (يسقط) الجزاء (الجزية) عمن أجاب إلى ذلك الحشر (الحشد للقتال) والحشر عوض عن جزائهم (جزيتهم) ومن استغنى عنه منهم وقعد فعليه مثل ما على أهل أذربيجان من الجزاء (الجزية)...** » [٣]...

وحدث ذلك أيضًا مع « **الجراجمة** »، سكان الجرجومة، في شماليّ سوريا، بالقرب من أنطاكية، عندما حاربوا، وهم على نصرانيتهم، ومعهم حلفاؤهم وأتباعهم، في جيش المسلمين، تحت قيادة « حبيب بن مسلمة الفهري » (٢ق.هـ - ٤٢هـ/٦٢٠ - ٦٦٢م)... وحدث ذلك أيضًا مع النصارى من أهل « **حمص** »، عندما حاربوا في صفوف جيش « أبي عبيدة بن الجراح » (٤٠ ق.هـ - ١٨هـ/٥٨٤ - ٦٣٩م) في موقعة « اليرموك » ضد الروم البيزنطيين [٤].. وحدث ذلك أيضًا مع بني تغلب - وهم نصارى - أسقطها عنهم عمر بن الخطاب؛ « لأنهم عرب يأنفون من الجزية » [٥].

ويزيد هذه الحقيقة وضوحًا - حقيقة أن الجزية كانت بدلًا من الجندية - على القادر على الجندية وعلى دفعها - وليست بدلًا من الإيمان بالإسلام، ومن ثم فلم تكن سببًا في الضغط على الدخول في الإسلام - ما جاء في مفاوضات « شهربراز » ملك

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي (ص ٣٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٣٢٨).

(٣) المصدر السابق (ص ٣٣٩، ٣٤٠)، وانظر كذلك: تاريخ الطبري (١٥٢/٤ - ١٥٥)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، القاهرة، سنة (١٩٧٠م).

(٤) أبو يوسف، كتاب الخراج (ص ١٣٨، ١٣٩)، طبعة القاهرة، سنة (١٣٥٢هـ)، وانظر كذلك: البلاذري فتوح البلدان (ص ١٨٩)، تحقيق/ د. صلاح الدين المنجد، طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦م).

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال (ص ١٥٦)، طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٨م)، أبو يوسف، كتاب الخراج (ص ١٢٠).

« **الباب** » مع القائد المسلم « عبد الرحمن بن ربيعة » (٣٢هـ - ٦٥٢م) عند عقد الصلح بينهما سنة (٣٢هـ/٦٥٢م)، فلقد قال « شهربراز »: « **أنا اليوم منكم، ويدي مع أيديكم، وصغوي « ميلي » معكم... وجزيتنا إليكم: النصر لكم والقيام بما تحبون... »..** **ولقد أجيب إلى طلبه بعد مشاورة القائد « عبد الرحمن بن ربيعة » مع « سراقة بن عمرو » (٣٠هـ/٦٥٠م)...**

ولقد استمر ذلك سُنة متبعة في علاقات الدولة الإسلامية بشعوب البلاد المفتوحة... حتى ليقول الطبري – عن إسقاط الجزية عن الذين انخرطوا في الجندية من غير المسلمين –: « وصار ذلك سُنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين.. » [(١)].

* * *

تلك هي حقيقة النظرة الإسلامية إلى القتال... إنه الاستثناء لا القاعدة... وهو الاستثناء المكروه... ولا يجوز اللجوء إليه إلا دفاعًا عن حرية الاعتقاد والضمير... وحرية الوطن، الذي بدون حريته يستحيل إقامة الاعتقاد الديني على النحو الذي أراده الله ﷻ في شريعة الإسلام...

وإذا كان بعض المفترين لا يزال يردد أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف والقتل والقتال... فإننا نلفت أنظارهم إلى أن كل المعارك التي دارت في الفتوحات الإسلامية إنما كانت ضد جيوش الغزو والاحتلال الرومانية والفارسية، ولم تدر معركة واحدة بين جيوش الفتح التحريري الإسلامية وبين أهل البلاد المفتوحة... بل لقد قاتل أهل البلاد المفتوحة مع الجيوش الإسلامية – وهم على دياناتهم القديمة – ضد الروم والفرس... وشهد أساقفتهم – الذين عاصروا هذه الفتوحات وشهدوها – على أن الفتوحات الإسلامية قد كانت إنقاذًا لهم ولدياناتهم من الإبادة التي مارسها ضدهم المستعمرون الرومان... فقال الأسقف « يوحنا النقيوسي » – وهو شاهد على الفتح الإسلامي لمصر –: « إن الله الذي يصون الحق لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرؤهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين (العرب المسلمين – أبناء إسماعيل ﷺ).

ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاص (٥٠ق.هـ – ٤٣هـ/

---

(١) تاريخ الطبري (١٥٦/٤).

٥٧٤ – ٦٦٤م) يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما سلبًا أو نهبًا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام... » (١).

ويؤكد على هذه الحقيقة – أن القتال في الفتوحات الإسلامية إنما كان ضد الجيوش الغازية التي استعمرت الشرق وقهرته عشرة قرون... وأنه كان تحريرًا لأوطان الشرق وضمائر شعوبه – الأسقف « ميخائيل السرياني » (١١٢٦ – ١١٩٩م) فيشير إلى أن الكنيسة المصرية – اليعقوبية – كانت سِرِّية، لا يعترف بها الرومان! كما كانت كنائسها وأديرتها مغتصبة من قبل المذهب البيزنطي – الملكاني – وأنها قد ظلت كذلك حتى حررها الفتح الإسلامي، فكان بقاؤها وحياتها « هبة الإسلام »!.. يشهد هذا الأسقف على ذلك فيقول: « **إن الإمبراطور الروماني لم يسمح لكنيستنا بالظهور (أي لم يكن معترفًا بها!) ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا، فقد انتقم الرب منه.**

لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام » (٢).

ولقد حرر الفتح الإسلامي كنائس مصر وأديرتها من الاغتصاب البيزنطي، لا ليجعلها مساجد إسلامية، وإنما ردها إلى نصارى مصر... وأعطى عمرو بن العاص الأمان للبطرك الوطني « بنيامين » (٣٩هـ/٦٥٩م) فعاد بعد ثلاثة عشر عامًا من الهرب!.. عاد إلى شعبه، وتسلم كنائسه... وطاف بها في فرح عبر عنه الأسقف « يوحنا النقيوسي » بقوله: « **ودخل الأنبا بنيامين بطرك المصريين مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عامًا، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها... وكان كل الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل (٦١٠ – ٦٤١م) الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين... وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر... »** (٣).

---

(١) يوحنا النقيوسي: تاريخ مصر، ليوحنا النقيوسي، رؤية قبطية للفتح الإسلامي (ص ٢٠١، ٢٠٢)، ترجمة ودراسة/ د. عمر صابر عبد الجليل، طبعة القاهرة (٢٠٠٠م).

(٢) د. صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العهد البيزنطي (ص ٦٢)، طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠١م).

(٣) تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي (ص ٢٢٠).

وغير شهادات هؤلاء الشهود الثقات على مقاصد القتال في الفتوحات الإسلامية. شهد الكثيرون من علماء الغرب على الانتشار السلمي للإسلام... ومن هؤلاء العلماء المستشرقة الألمانية الحجة الدكتورة « سيجريد هونكه » (١٩١٣ - ١٩٩٩م) التي كتبت تقول: «... **اليوم – وبعد انصرام أكثر من ألف عام – لا يزال الغرب النصراني متمسكًا بالحكايات المختلقة الخرافية التي كانت الجدات يروينها، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية، بعد موت محمد، نشرت الإسلام « بالنار وبحد السيف البتار » من الهند إلى المحيط الأطلنطي، ويلح الغرب على ذلك بكافة الوسائل: بالكلمة المنطوقة، أو المكتوبة، والجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفي الرأي العام، بل في أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.**

... ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: **تلك هي كلمة القرآن الملزمة.. فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظل نصرانيًا ولليهودي أن يظل يهوديًا، كما كانوا من قبل. ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك... ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيَعهم وصوامعهم وكنائسهم...**

لقد كان أتباع الملل الأخرى – وبطبيعة الحال من النصارى واليهود – هم الذين سعوا سعيًا لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، ولقد ألحوا في ذلك شغفًا وافتتانًا، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثيابًا عربية، وعادات وتقاليد عربية، واللسان العربي، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا بالشهادتين، لقد كانت الروعة كامنة في أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربي، والسمو والمروءة والجمال، وباختصار: السحر الأصيل الذي تتميز به الحضارة العربية – بغض النظر عن الكرم العربي والتسامح وسماحة النفس – كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم.. إن سحر أسلوب المعيشة العربي ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي « فولشير الشارتي »: « وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين!... أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعدما أفاء الله علينا، وبدّل الغرب إلى الشرق؟! » بهذا انتشر الإسلام... وليس بالسيف أو الإكراه... »[1].

---

(١) الله ليس كذلك (ص ٤٠ - ٤٣).

وشهد بذلك أيضًا المستشرق الإنجليزي البارز « ألفريد جيوم - A. Guil gaume » (١٨٨٨ - ١٩٦٥م) فقال: « **لقد استُقبل العرب - على الأغلب - في سوريا ومصر والعراق بترحاب؛ لأنهم قضوا القضاء المبرم على الابتزاز الإمبراطوري، وأنقذوا المسيحية المنشقة من الضغط الكريه الذي كانت تعانيه من الحكومة المركزية (البيزنطية) وبرهنوا بذلك على معرفة بالمشاعر والأحاسيس المحلية أكثر من معرفة الأغراب** » [1].

تلك هي حقيقة القتال في الإسلام... وتلك هي مقاصده:

- رد العدوان عن حرية الاعتقاد والضمير، حتى لا تكون فتنة... ويكون الدين والتدين كله للَّه...

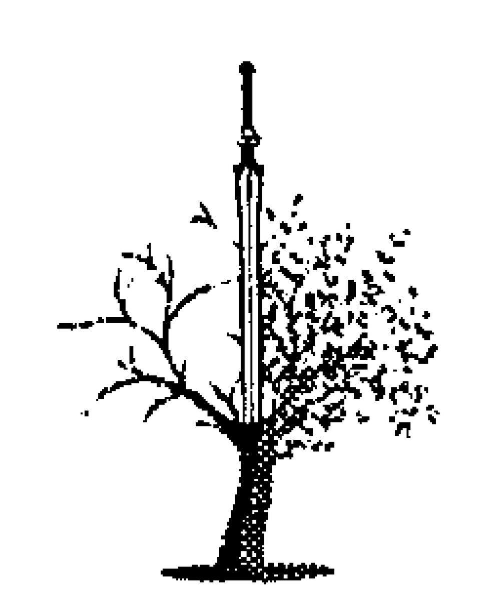
- رد العدوان عن حرية الوطن، الذي بدون حريته لا يمكن أن يكون هناك مواطن حر... والذي بدون حريته لا يمكن أن تتحقق حرية إقامة فرائض الإسلام.

إنه مجرد شعبة من شعب الجهاد... وهو الاستثناء لا القاعدة، والضرورة التي تُقَدَّر بقدرها... وهو الفريضة المكروهة... وليس الجبلَّة التي تقود إلى التقدم كما زعمت فلسفات وثقافات خارج نطاق الإسلام!

* * *

---

(١) جيوم، الفلسفة وعلم الكلام، دراسة منشورة بكتاب: تراث الإسلام، تصنيف أرنولد (ص ٣٦٣)، ترجمة/ جرجيس فتح اللَّه، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٢م).



(٥)
حقيقة الإرهاب

وإذا كان غريبًا - بل وعجيبًا - أن تشن أمريكا - منذ « قارعة » ١١ سبتمبر (٢٠٠١م) - حربًا عالمية على ما تسميه « الإرهاب » دون الاتفاق على معنى هذا « الإرهاب »!! بل وفي ظل الإصرار على رفض عقد مؤتمر دولي تتفق فيه الحضارات العالمية وثقافاتها على تعريف لهذا « الإرهاب »!!

إذا كان ذلك غريبًا وعجيبًا - بل ومريبًا - فإن السر في هذا الموقف الغريب والعجيب والمريب هو أن هذه الحرب العالمية الجديدة قد أرادها البعض حربًا على « الإسلام » تحت عنوان « الإرهاب »!

ويشهد على هذه الحقيقة التي لم يعد بالإمكان إخفاؤها:

١ - أن الرئيس الأمريكي « جورج بوش الصغير » قد وصف هذه الحرب في ١٦ سبتمبر (٢٠٠١م) - أي: قبل بدء التحقيق في « قارعة » ١١سبتمبر - بأنها « **حملة صليبية** » **أي: حرب دينية مقدسة!**

٢ - ولم تفلح محاولات الاعتذار عن هذا الوصف، بالقول إنه مجرد « زلة لسان ».. حتى إن مدير إذاعة الفاتيكان « الكاردينال باسكوالي بورجوميو » قد أكد دقة هذا الوصف، وطبيعة هذه الحرب الأمريكية، فقال: « **في الوقت الذي يدعو الفاتيكان إلى التعقل، ويشجع العمل الديبلوماسي، ويدافع عن الحق الدولي (أي: الشرعية الدولية) نرى في الجانب الآخر قوة عظمى (أمريكا) تقودها إدارة خولت لنفسها مهمة إنقاذية (مقدسة) واتخذت لهجة ومواقف صليبية** »! [1].

٣ - كما عبر بابا الفاتيكان « يوحنا بولس الثاني » (١٩٢٢ - ٢٠٠٥م) عن: « **خشيته من أن تثير الحرب الأمريكية على العراق صراعًا دينيًا... بين المسيحيين والمسلمين** ».

---

(١) صحيفة الحياة، لندن، في (٢٩ - ٢ - ٢٠٠٣م).

٤ - وقال الكاردينال « بيولاجي » - مندوب البابا في المساعي الديبلوماسية لتجنب الحرب على العراق - أوائل سنة (٢٠٠٣م) -: « **إنها حرب ستقودنا إلى مستقبل مظلم سيقوض فرص الحوار بين المسيحية والإسلام...** » [١].

٥ - وقال « الأنبا يوحنا قلته » - نائب البطرك الكاثوليكي في مصر -: « **إن بوش يستخدم المسيح درعًا والصليبية ثوبًا للدفاع عن مصالح أمريكا المادية... وإنه كان يقصد تمامًا معنى عبارة « الحملة الصليبية ».. ولم تكن أبدًا زلة لسان..** » [٢].

٦ - ووصف الرئيس الأمريكي الأسبق « جيمي كارتر » أيديولوجية الإدارة الأمريكية التي شنت هذه الحرب، بأنها **أيديولوجية « المؤتمر المعمداني للجنوب الأمريكي « ساوثيرن بايتيست كونفنشون » - المعروفة بالالتزام تجاه إسرائيل من منطلقات ثيولوجية ضيقة تستند إلى فكرة آخر مرحلة حياتية قبل حلول يوم الدينونة** » [٣].

٧ - وأعلن السناتور الأمريكي « إدوارد كنيدي » والسناتور « بابريك ليهي »: « **إن الإدارة الأمريكية مدفوعة إلى هذه الحرب بحماسة مسيحية** »! [٤].

٨ - ووصفت مجلة « نيوزويك » الأمريكية قائد هذه الحرب - الرئيس « بوش - الصغير » - بأنه « **حامل البشارة... الذي يؤمن بأن حربه على العراق ستكون حربًا عادلة وفق المفهوم المسيحي كما شرحه القديس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م)، وفصَّله كل من توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) ومارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) وآخرون... وأنه - بوش - عندما استخدم مصطلح « الأشرار » قد نبش هذه الكلمة مباشرة من المزامير... وأنه يفكر في سياسة خارجية تستند إلى الإيمان المسيحي... ويفكر في حرب باسم الحرية المدنية - بما في ذلك الحرية الدينية - في القلب القديم للإسلام العربي... ويحظى بدعم من قاعدته في الجناح السياسي للمؤتمر المعمداني الجنوبي، من أمثال القساوسة: « ريتشارد لاند »، و « فرانكلين جراهام » - الأب الروحي لبوش - والذي سبَّ رسول الإسلام، ويندد بالإسلام باعتباره إيمانًا عنيفًا فاسدًا!... ولا يخفى - مع**

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، في (٨ - ٣ - ٢٠٠٣م).
(٢) صحيفة العربي، القاهرة، في (١٦ - ٣ - ٢٠٠٣م).
(٣) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، في (١٠ - ٣ - ٢٠٠٣م).
(٤) صحيفة الحياة، لندن، في (١٥ - ٣ - ٢٠٠٣م).

المبشرين الإنجيليين – رغبتهم تحويل المسلمين إلى المسيحية، لا سيما في بغداد... »!! (١).

في الوقت الذي فيه هؤلاء الشهود – ومعهم كثيرون من أهلها – على طبيعة هذه الحرب العالمية، التي شُنت على الإسلام، عقب « قارعة » ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)... شهد كذلك كثيرون من المفكرين الإستراتيجيين الذين يخططون لصناعة القرار الأمريكي على ذات الحقيقة... حقيقة أن هذه الحرب ليست على « الإرهاب »، إنما هي حرب داخل الإسلام، ليتخلى عن طبيعته ومنهاجه الشامل للدين والدولة، والسياسية والقانون، والقيم والأخلاق، والدنيا والآخرة... وذلك حتى يقبل الإسلام – بدلًا من ذلك – بالقيم الغربية، والحداثة الغربية، والعلمانية الغربية... والمبدأ المسيحي الذي يدع ما لقيصر لقيصر وما للَّه للَّه.

ومن بين عشرات الشهادات الأمريكية والغربية على هذه الحقيقة – حقيقة أنها حرب على الإسلام، تحت دعاوى « الإرهاب » – الذي حرصوا على عدم تعريفه –... من بين عشرات الشهادات نختار – مراعاة للمقام – شهادة المفكر الإستراتيجي الأمريكي « فرانسيس فوكوياما » التي يقول فيها – بصريح العبارة –: « **إن الصراع الحالي ليس ببساطة ضد الإرهاب... ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية... وضد الدولة العلمانية... وهذه الأيديولوجية الأصولية تمثل خطرًا أكثر أساسية – في بعض جوانبه – من الخطر الذي شكلته الشيوعية... والمطلوب هو حرب داخل الإسلام... حتى يقبل الحداثة الغربية... والعلمانية الغربية... والمبدأ المسيحي: دع ما لقيصر لقيصر وما للَّه للَّه... »!** (٢).

لهذه الحقيقة – حقيقة أنها حرب على الإسلام، الرافض للحداثة الغربية، والقيم الغربية، والعلمانية الغربية... وليست حربًا على الإرهاب – الذي اتخذ – في هذه الحرب – وظيفة الستار لإخفاء الحقيقة والتمويه عليها – كان الحرص – طوال تلك السنوات – على رفض الاقتراحات العربية والإسلامية التي تلح على ضرورة عقد مؤتمر دولي لتحديد معنى « الإرهاب » وللتمييز بينه وبين « الجهاد الإسلامي » و « القتال المشروع » لتحرير الأوطان من الاستعمار... الأمر الذي يزيد من أهمية وضرورة

---

(١) نيوزويك الأمريكية، عدد (١١ – ٣ – ٢٠٠٣م).

(٢) نيوزويك، العدد السنوي، ديسمبر (٢٠٠١م)، فبراير (٢٠٠٢م).

التحديد والتحرير للمعنى والمضمون والمفهوم الإسلامي للإرهاب.

* * *

إن المفهوم الغربي لمصطلح « الإرهاب – Terror » والذي يعني استخدام العنف غير المشروع لترويع الآمنين، ولإكراههم على قبول ما لا يريدون، وخصوصًا عندما يكون هذا الإرهاب تمارسه السلطة الحاكمة ضد المحكومين، أي: إرهاب الدولة الذي يبث الرعب في نفوس المحكومين [1]... إن هذا المفهوم الغربي للإرهاب هو أبعد ما يكون عن مفهوم هذا المصطلح في لغتنا العربية... وفي القرآن الكريم – الذي هو كتاب العربية الأول... وديوان شريعة الإسلام –...

بل إن الإسلام يبرئ سائر الديانات السماوية من أن يكون الإرهاب والعنف والإكراه والترويع للآمنين سبيل أي منها في الدعوة إلى شريعة أي دين من تلك الديانات.

• فمنهاج الدعوة إلى اليهودية في شريعة موسى عليه السلام هو « القول اللين »، وليس العنف والحرب، والقتال والإرهاب: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٢ – ٤٧].

ولأن موسى عليه السلام لم يقم دولة، ولم يقد جيشًا، ولم يخض حربًا ولا قتالًا... وإنما ولد ونشأ وبعث ومات ودفن في مصر... فلقد ظلت شريعته الحقيقية بريئة من أي إكراه أو عنف أو إرهاب...

• وكذلك الحال مع النصرانية التي جاء بها عيسى ابن مريم عليه السلام فهي تعاليم الصوفية المسالمة، والسلام الصوفي، التي بلغت في السلام والمسالمة حدودًا ومُثلًا ربما عزت على التطبيق في نطاق هذا العالم.

ولذلك قال المسيح: إن مملكته ليست في هذا العالم!... فبراءة النصرانية – ومنهجها في الدعوة – من العنف والإكراه والإرهاب الذي يروِّع الآمنين، براءة

---

(١) مجمع اللغة العربية، معجم العلوم الاجتماعية، طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٥م).

لا تحتاج إلى كثير حديث...

• وكذلك الحال مع منهاج الدعوة الإسلامية - في الدعوة إلى الله - فلقد جاءت مؤكدة على المنهاج الإلهي في الدعوة إلى الإيمان الديني.. منهاج الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ لأن هذا المنهاج هو الوحيد الذي يثمر إيمانًا وتصديقًا قلبيًا يبلغ مرتبة اليقين... بينما الإرهاب - بمعنى ترويع الآمنين وإكراههم على ما لا يريدون - هو سبيل النفاق - الذي هو أشد سوءًا من الشرك الصراح، والكفر البواح - وليس سبيل الإيمان بأي حال من الأحوال...

* * *

أما أولئك الذين يستندون إلى ورود الإشارة في القرآن الكريم - بسورة الأنفال - إلى الإرهاب، فإن خطأهم القاتل - هذا إذا حسنت النوايا.... وساء الفهم - هو في وقوفهم عند المصطلح، مغفلين تميز مفهوم هذا المصطلح في القرآن الكريم واللغة العربية عن مضمونه الغربي الذي شاع ويشيع الآن في دوائر الفكر والثقافة والسياسة والإعلام... ولو أنهم فهموا سياق الآيات القرآنية التي ورد فيها هذا المصطلح - بسورة الأنفال - ثم جمعوا إلى آيات الأنفال كل الآيات التي ورد فيها هذا المصطلح - ومشتقاته - بالقرآن الكريم، ثم فسروا هذه الآيات، وفقهوا هذا المصطلح وفق مضمونه العربي وسياقه القرآني، لما تطرق إلى ذهن أحد أن هناك أدنى علاقة بين الإسلام وبين الإرهاب - بمعنى ترويع الآمنين بالعنف والعدوان والإكراه -...

إن آيات سورة الأنفال تتحدث عن المشركين الذين يقاتلون المسلمين، بفتنتهم في دينهم، وإخراجهم من ديارهم، وتخص بالحديث قومًا من هؤلاء المشركين المقاتلين احترفوا الخيانة للعهود، وأَخْذ المسلمين على غرة، رغم ما بينهم من عهود للسلم والأمان... فتطلب هذه الآيات القرآنية من المسلمين أن يعدوا من العدة، ويتخذوا من القوة ما يرهب ويخيف - أي: يردع - هؤلاء الذين مردوا على الخيانة، ونقض العهود، والغدر والعدوان... ما يردعهم عن هذه الخيانة وهذا العدوان...

يخاطب الله ﷻ رسوله ﷺ في هذه الآيات فيقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ

عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٥٨ - ٦٣].

فمعنى الإرهاب هنا هو التخويف لردع الخونة والمخادعين والغادرين؛ كي لا يغدروا بالمسلمين المعاهدين... وهو تخويف يثمره إعداد القوة الرادعة... وليس تخويف العدوان والعنف والإكراه، أي: إنه التخويف الذي ينفي العنف والإكراه والقتال... فهو كالعقوبة الرادعة، إعلانها يمنع ويردع عن الجريمة، ومن ثم يمنع تطبيقها.. ولا علاقة لهذا الإرهاب - بهذا المعنى - بترويع الآمنين، وإكراههم بالعنف والقتال والإكراه الذي هو معنى مصطلح « الإرهاب - Terror » في الفكر الغربي.

إن امتلاك الاتحاد السوفيتي - إبان الحرب الباردة... في منتصف القرن العشرين - للسلاح - الرادع - النووي والهيدروجيني، هو الذي أرهب - وردع - أمريكا وأخافها من العدوان الذري على السوفييت... فتحقق الأمن والأمان للعالم من هذه الكارثة النووية... وكذلك الحال مع امتلاك باكستان للرادع النووي، هو الذي جعل استخدام الهند لسلاحها النووي ضد باكستان أمرًا مستحيلًا... بل لقد فتح توازن الردع النووي نوافذ السلام بين البلدين... ولو كانت اليابان سنة (١٩٤٥م) تمتلك الرادع النووي لأرهبت وأخافت أمريكا، ولنجت هيروشيما ونجزاكي من الكارثة النووية التي حاقت بهما في ذلك التاريخ!...

وهنا يكون الإرهاب - بمعنى التخويف الرادع للأعداء - هو الضمان لتحقيق الأمن والسلام للجميع.

* * *

ويشهد على هذه الحقيقة المفاهيمية - مع السياق الذي وردت به آيات سورة الأنفال - معنى مصطلح الإرهاب في العربية - لغة القرآن الكريم -...

ونحن عندما نعود إلى « الراغب الأصفهاني » (٥٠٢هـ/١١٠٩م) في كتابه (المفردات في غريب القرآن) نجد أن معنى الإرهاب - في القرآن ولغته العربية - هو

على الضد من العنف الذي يروّع الآمنين ويرعبهم... فهو من « **الرهبة، بمعنى المخافة، مع تحرّز واضطراب** ».

وليس هناك عاقل يمكن أن يفسر المخافة والرهبة والخشية بالعنف الذي يروّع الآمنين ويرعبهم!... وتشهد على ذلك كل الآيات القرآنية التي وردت فيها إشارات إلى هذا المصطلح - وتصريفاته اللغوية -: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. أي: للذين يخافون ربهم ويخشونه.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠]. أي: خافوني واخشوني، ولا تخشوا أحدًا سواي.

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]. أي: أفردوا الله ﷻ بالمراقبة والخشية؛ لأنه المتفرد بالألوهية وحده لا شريك له.

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٣ - ١١٦]... أي: أخافوهم خوفًا شديدًا.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٢]. أي: من الخوف.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١١ - ١٤]. أشد رهبة: أشد تخويفًا.

﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠]... (رغبًا ورهبًا). أي: رجاء رحمتنا، وخوفًا من عذابنا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

... ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣٢].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٦، ٢٧].

فالرهبان: هم الذين يبالغون في الخوف من اللّٰه وفي خشيته... والرهبانية: هي المبالغة في الخشية من اللّٰه... وليس في أي من مضامين هذه المصطلحات القرآنية - يرهبون... فارهبون... تُرهبون... استرهبوهم... الرهْب... الرهبة... الرهبان... الرهبانية - ما يشي من قريب أو بعيد للمعنى الغربي للإرهاب... معنى: العنف الذي يروّع الأبرياء والآمنين ويرعبهم.

* * *

وإذا كان بعض المرجفين المفترين يذهبون - رغم هذه الحقائق التي قدمناها - إلى اتهام الإسلام بالتأسيس للإرهاب..

فيقول الزعيم « الديني - السياسي » القس الأمريكي « بات روبرتسون » - مؤسس جماعة « التحالف السياسي المسيحي » - التي تسيطر على الكونجرس الأمريكي، والحزب الجمهوري، والإدارة الأمريكية - وهو مرشح أسبق للرئاسة الأمريكية... والأب الروحي للرئيس « بوش - الصغير » الذي وُلد - بوش - على يديه ولادته المسيحية الجديدة...!... يقول هذا القس:

« **إن الدين الإسلامي دعا إلى العنف... وإنه بالنظر إلى المعنى الحقيقي لآيات قرآنية، فإن أسامة بن لادن أكثر وفاء لدينه الإسلامي من آخرين...** »!! [(١)].

ويقول المستشرق الصهيوني الأمريكي « برنارد لويس »:

« **إن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب.. فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية / المسيحية - الغربية - وآيات القرآن تصدّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين... وهذه الحرب هي حرب بين الأديان** »!! [(٢)].

وتقول « مارجريت تاتشر » - رئيسة وزراء إنجلترا الأسبق -:

« **إن تحدي الإرهاب الإسلامي الفريد لا يقف عند أسامة بن لادن، وإنما يشمل**

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، في (٣ - ٢ - ٢٠٠٢م)، وصحيفة الحياة، لندن في (٢٦ - ٢ - ٢٠٠٢م)، وصحيفة الأهرام، القاهرة، في (١١ - ١٢ - ٢٠٠٢م).

(٢) صحيفة الأهرام، القاهرة، في (٣ - ٣ - ٢٠٠٢م)، والأهرام ينقل عن مقال: « زخاري كاربيل » في « نيوزويك » الأمريكية، بتاريخ (١٤ - ١ - ٢٠٠٢م).

حتى الذين أدانوا هجمات الحادي عشر من سبتمبر... على أمريكا... والذين انتقدوا أسامة بن لادن وطالبان، لكنهم يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب »!! [١].

إذا كان بعض المفترين قد اتهموا الإسلام بالتأسيس للإرهاب - بمعنى قتل الأبرياء وترويع الآمنين - ثم فضحتهم أقلامهم وألسنتهم عندما اعتبروا « رفض القيم الغربية... ومعارضة الأطماع الغربية » إرهابًا وعنفًا دمويًّا!!! فإننا نلفت أنظارهم إلى **« النفاق الفكري » الذي جعلهم يتهمون « الضحية » ويبرئون « الجناة »!! ونقول لهم:**

- ألم تروا الممارسات التي تتعرض لها شعوب إسلامية كثيرة، قد غدت ضحايا وفرائس للعنف الغربي الصهيوني... في فلسطين... والعراق... والشيشان... وتايلاند... وبورما... والفلبين... وغيرها من بلاد الإسلام؟!

- إن إخراج الناس من ديارهم وأوطانهم، وتحويلهم إلى لاجئين، هو عنف وإرهاب وترويع للأبرياء والآمنين - وأغلب اللاجئين على النطاق العالمي هم من المسلمين!!

- وإن نظرة على تاريخ العلاقات بين الغرب والشرق، لتضع أيدينا وأبصارنا وبصائرنا على قرون الغزو والعنف والقهر الثقافي والسياسي والديني والحضاري الذي مارسه الغرب ضد الشرق أغلب قرون ذلك التاريخ:

- عشرة قرون من الغزو والقهر الإغريقي / الروماني / البيزنطي - من « الإسكندر الأكبر » (٣٥٦ - ٣٢٣ق.م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى « هرقل » (٦١٠ - ٦٤١م) - في القرن السابع للميلاد -...

- وقرنان من الحروب الصليبية (٤٨٩ - ٦٩٠هـ/١٠٩٦ - ١١٩١م).

- وخمسة قرون هي عمر الغزوة الغربية الحديثة - التي بدأت منذ إسقاط غرناطة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) بالالتفاف حول العالم الإسلامي... ثم استعمرت سائر أقطار الإسلام - وهي الغزوة التي نعالج هيمنتها حتى هذه اللحظات!..

- وإن نظرة على خريطة الشرق وعلى خريطة الغرب ستضع أيدينا وأبصارنا وبصائرنا على الحقيقة التي تقول: أين هو الغزو والاحتلال والاستغلال الذي يروع الآمنين ويرهب الأبرياء؟!

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، لندن، في (١٤ - ٢ - ٢٠٠٢م).

- إن القواعد العسكرية الغربية تملأ ديار الإسلام.

- ومئات الآلاف من الجنود الغربيين يحتلون الكثير من أوطان عالم الإسلام.

- ومئات الشركات الغربية العابرة للقارات والجنسيات تنهب ثروات عالم الإسلام.

بينما تخلو خريطة الغرب من أي وجود للإسلام أو نفوذ للمسلمين... وحتى الأفراد المسلمون الذين يعيشون في المجتمعات الغربية قد غدوا - وخاصة بعد « قارعة » سبتمبر (٢٠٠١م) - ضحايا لألوان من التمييز والترويع والسجن والاعتقال « بأدلة » سرية لا تعلن، ولا يعرفها حتى المحامون!!... واعتقالات مؤبدة مدى الحياة، دونما إعلان لسبب الاعتقال!!... فقط للاشتباه أو لأنهم مسلمون!!.. الأمر الذي يذكرنا بكلمات المستشرق الفرنسي « جاك بيرك » (١٩١٠ - ١٩٩٥م) التي قال فيها - عن تاريخ علاقة الغرب بالإسلام -:

« إن الإسلام، الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافيًا، وتاريخيًا، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم... قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة بالنسبة للغرب:

ابن العم المجهول...

والأخ المرفوض...

والمنكور الأبدي...

والمبعد الأبدي...

والمتهم الأبدي...

والمشتبه فيه الأبدي... » (١).

فأين هو الإرهاب الذي يروّع الأبرياء والآمنين؟!

ومن هم الذين يقننون ويمارسون هذا اللون من الإرهاب؟!

- وإذا كان « التراث اليهودي » - وليست شريعة موسى عليه السلام - قد غدت مكونًا من مكونات الحضارة الغربية التي تمارس مؤسساتها الإمبريالية - وليس إنسانها - هذه

---

(١) من حديث لجاك بيرك في (٢٧ - ٦ - ١٩٩٥م)، انظر: حسونة المصباحي، العرب والإسلام في نظر المستشرق الفرنسي جاك بيرك، صحيفة الشرق الأوسط، لندن؛ في (١ - ١١ - ٢٠٠٠م).

الممارسات مع الشرق الإسلامي... ومع المسلمين... فإننا نقرأ في هذا التراث اليهودي القديم دعوة إلى إبادة « جميع الشعوب الذين على وجه الأرض... وأكل كل الشعوب أكلًا... دون أن تقطع لهم عهدًا » ولا تشفق عيناك عليهم... بل تمحو ذكراهم من تحت السماء - مثل العماليق -!! » (١).

كما نقرأ بهذا « الفكر » - في عصرنا الراهن - الفتاوى الحاخامية التي تضع هذا « التراث الدموي » في الممارسة والتطبيق على أرض فلسطين... وذلك من مثل فتوى الحاخام الصهيوني « العقيد. أ. فيدان (زيمبل) » التي يقول فيها للجنود الصهاينة المحتلين للضفة الغربية:

« إن الهالاكاه - الشريعة - تحض على قتل حتى المدنيين الطيبين »!! (٢).

فأين نحن، وأين العالم من هذا الإرهاب الذي يروّع الآمنين، ويقتل حتى الأبرياء الطيبين؟!..

وأين نحن، وأين العالم من هذا « الفكر » الذي ينظّر ويبرّر لهذا اللون من الإرهاب؟!

- إن المسلمين لم يكونوا هم الذين أبادوا شعوب الهنود الحمر... ودمروا حضاراتهم!

- وليسوا هم الذين استخدموا أسلحة الدمار الشامل - الذرية - في إبادة المدنيين الأبرياء في هيروشيما ونجزاكي باليابان سنة (١٩٤٥م)!

- وليسوا هم الذين سمموا تربة الأرض... وأحرقوا الغابات... وأبادوا ثلاثة ملايين من البشر في فيتنام!

- ولا هم الذين قتلوا قرابة المليونين من الشهداء في الجزائر!..

- ولا هم الذين استخدموا اليورانيوم المنضب، والقنابل العنقودية، وسمموا البيئة، وقتلوا عشرات الآلاف، بل ودمروا حتى كنوز الآثار الحضارية النادرة والنفيسة في العراق!.. وفي غزة.. ولبنان!.

- ولا هم الذين أبادوا سبعين مليونًا من البشر في حربين استعماريتين عالميتين شهدهما القرن العشرون!..

---

(١) سفر التثنية، إصحاح (١/٧ - ٦، ١٤ - ١٦)، إصحاح (١٠/٢٠ - ١٦)، إصحاح (١٩/٢٥)...

(٢) إسرائيل شاحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود (ص ١٣٤، ١٣٥)، ترجمة/ حسن خضر، طبعة دار سينا، القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

- ولا هم الذين حولوا الكثير من بلاد الجنوب إلى مقابر للنفايات الذرية المدمرة والمهلكة للحياة!... وجعلوا من حياة الأبرياء في الجنوب... ومن زراعاتهم حقول تجارب، ومصادر مكاسب للمبيدات الضارة... والأسمدة الفاسدة... والأدوية المنتهية الصلاحيات!..

لم يكن المسلمون - في تاريخهم القديم والوسيط والحديث والمعاصر - هم الذين فعلوا ذلك، ولا شيئًا من ذلك..

ولو أن المسلمين قد أعدوا القوة التي أمرهم بها ربهم ﷻ في سورة الأنفال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]**... واتخذوا أسباب القوة والمنعة والعزة، فأخافوا الطامعين في ديارهم وثرواتهم، لما حدث هذا الإرهاب، الذي غدوا أولى ضحاياه في هذا العالم الذي نعيش فيه..**

تلك هي حقيقة: الجهاد... والقتال... والإرهاب، في مصطلح العربية والقرآن والإسلام... وصدق الله العظيم:

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٦].

* * *

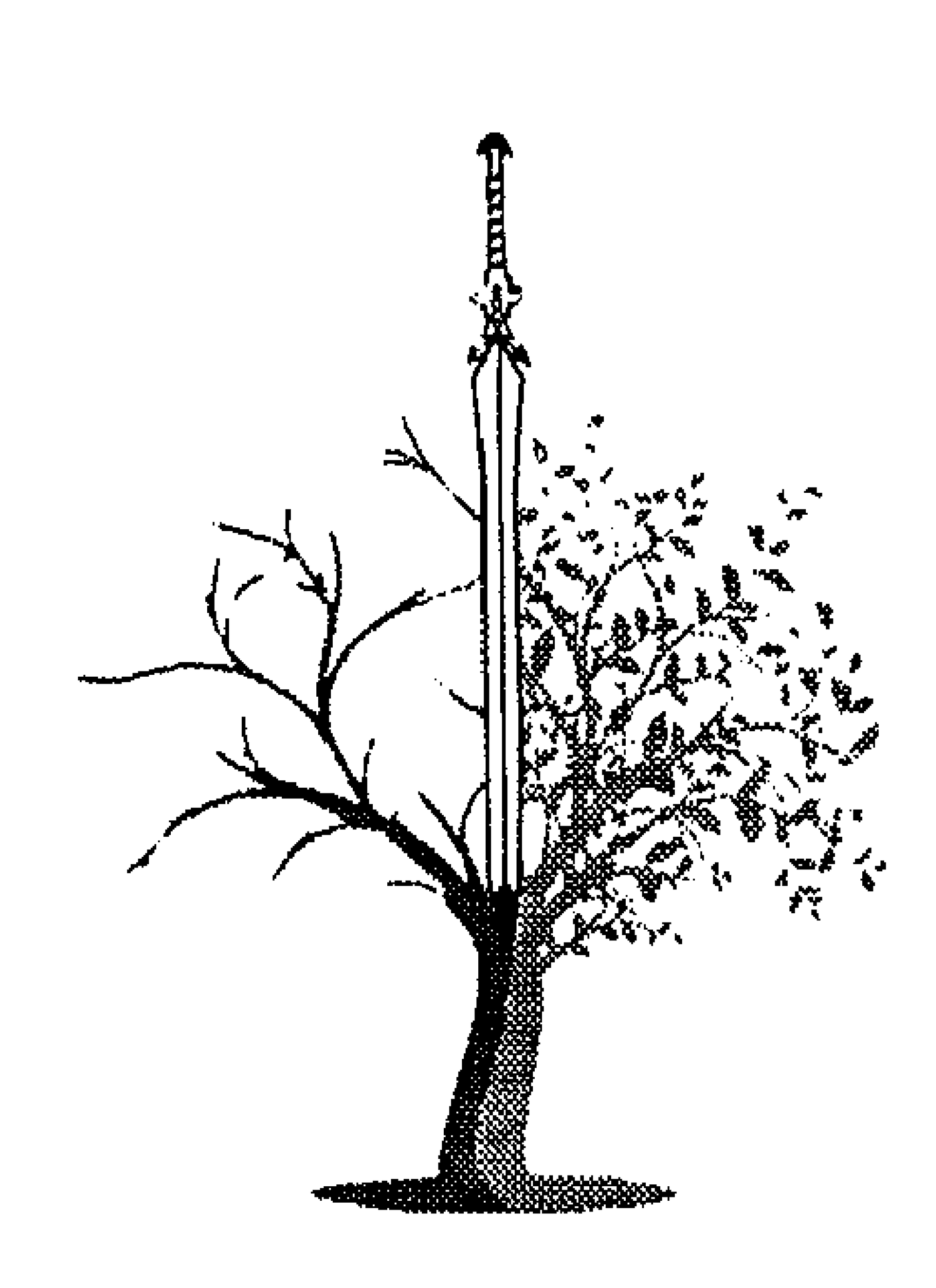


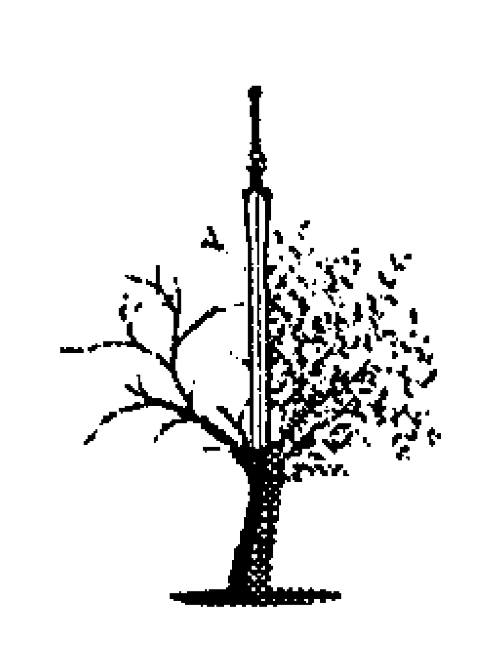
(٤)

نصوص في الجهاد والقتال

أولًا: من القرآن الكريم.

ثانيًا: من الحديث الشريف.





أولاً: من القرآن الكريم

• ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٦ - ١٥٨].

• ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٥].

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧١ - ٧٨].

• ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٥ - ١٧].

• ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الأنفال: ٣٨ - ٤٠].

• ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

• ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٥ - ٦٦].

• ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [الأنفال: ٧٢ - ٧٥].

• ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ

لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١ - ١٦].

• ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

• ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ

ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٤ - ٢٩].

• ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ

يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٣٨ - ٥٢].

• ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٨١ - ٩١].

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

• ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ

وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١٧ - ١٢١].

• ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

• ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ [النساء: ٨٤].

• ﴿ وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢١ - ١٢٧].

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٨ - ٤٠].

• ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].

• ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٤) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩ - ٢٧].

• ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤ - ٦].

• ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۞ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۞ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٠ - ٢٢].

• ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۞ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١ - ٣٥].

• ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۞ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۞ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۞ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ۞ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ

ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن
يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ
لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ۖ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ
مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن
يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ
مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ
ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا
قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ
ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ
تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ
عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ
فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ
فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا
وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ
ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ
تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١ - ٢٧].

• ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ
فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ

يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

• ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد: ١٠، ١١].

• ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن

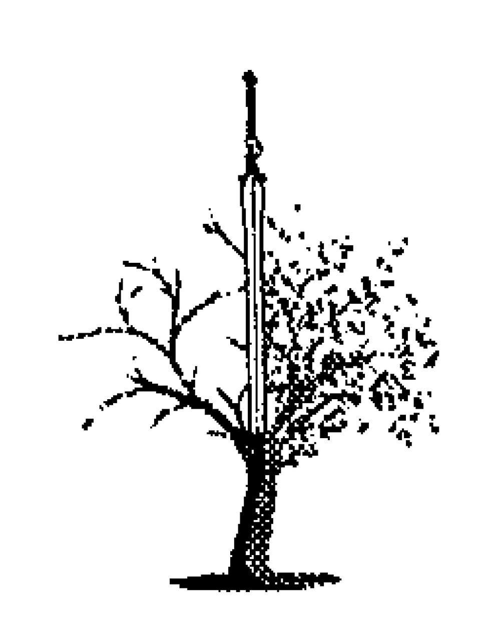
قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الحشر: ٢ - ١٥].

• ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

* * *

ثانيًا: من الحديث النبوي الشريف



• قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف** » (١).

• وقال: « **عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية اللَّه، وعين باتت تحرس في سبيل اللَّه** » (٢).

• وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

– « **أتدرون أول من يدخل الجنة من خلق اللَّه؟** »..

– قالوا: اللَّه ورسوله أعلم!..

– قال ﷺ: « **أول من يدخل الجنة من خلق اللَّه: الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويُتقى بهم المكاره، وإذا أُمروا سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تُقض له حتى يموت وهي في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول اللَّه ﷻ لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟!.. قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني لا يشركون بي شيئًا، وتسد بهم الثغور ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء** ».

قال: « **فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وإن اللَّه ﷻ يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها، فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقُتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب** » (٣).

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ، قال: « **لا يجتمع الشح والإيمان في جوف رجل مسلم، ولا يجتمع غبار في سبيل اللَّه ودخان جهنم في جوف رجل مسلم** » (٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم، والترمذي، وأبو داود، وأحمد بن حنبل.

(٢) رواه الترمذي.

(٣، ٤) رواه أحمد بن حنبل.

• وعن زيد بن خالد الجهني ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « **من جهّز غازيًا في سبيل اللّه ﷻ فقد غزا، ومن خلفه فقد غزا** » [١].

• وعن صفوان ﷺ قال: بعثنا رسول اللّه ﷺ، في سرية، فقال: « **سيروا باسم اللّه، في سبيل اللّه، تقاتلون أعداء اللّه، لا تغلوا** [٢]، **ولا تقتلوا وليدًا** » [٣].

• وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: بعثنا رسول اللّه ﷺ، في رجب، ولا نكون مائة، فأمرنا أن نغير على حي من بني كنانة، إلى جنب جهينة، فأغرنا عليهم، وكانوا كثيرًا، فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا: **لم تقاتلون في الشهر الحرام؟! فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام، في الشهر الحرام** » [٤]!.

• وعن جابر ﷺ قال: « قال رجل يوم أحد للرسول ﷺ:

– إن قُتلتُ فأين أنا؟

– قال: « **في الجنة** ».

فألقى (الرجل) تمرات كن في يده، فقاتل حتى قُتل » [٥].

• وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول اللّه ﷺ قال: « **والذي نفسي بيده لولا أن رجالًا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل اللّه ﷻ والذي نفسي بيده لوددت أني أُقتل في سبيل اللّه، ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل** » [٦].

• وعن أبي عميرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « **لأن أُقتل في سبيل اللّه أحب إليّ من المدر والوبر** » [٧، ٨].

• وعن معاذ بن أنس، عن أبيه ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « **لأن أُشيع مجاهدًا في سبيل اللّه، فأكنفه على راحلة، غدوة أو روحة..، أحب إلي من الدنيا وما فيها** » [٩].

---

(١) رواه أحمد بن حنبل.
(٢) أي: لا تخونوا.
(٣) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد بن حنبل، ومالك في الموطأ.
(٤) رواه أحمد بن حنبل.
(٥) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وأحمد بن حنبل.
(٦) رواه النسائي.
(٧) المدر: الحضر، والوبر: البادية.
(٨) رواه أحمد بن حنبل.
(٩) رواه ابن ماجه، وأحمد بن حنبل.

• وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **الجهاد في سبيل الله، والإيمان أفضل الأعمال** ». فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟!.. فقال الرسول ﷺ: « **نعم، إن قتلت في سبيل الله، وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدَّين. فإن جبريل قال لي ذلك** » [١].

• وسأل رجل رسول الله ﷺ:

– أي الأعمال أحب إلى الله؟

– **قال:** « **الصلاة على وقتها** »..

– فقال الرجل: ثم أي؟..

– قال الرسول ﷺ: « **بر بوالدين** »..

– فقال الرجل: ثم أي؟..

– قال الرسول ﷺ: « **ثم الجهاد في سبيل الله** » [٢].

• وعن أبي هريرة ﷺ، أن رجلًا سأل الرسول ﷺ:

– أي الأعمال أفضل؟..

– فقال: « **الجهاد في سبيل الله** »..

– قال الرجل: ثم ماذا؟

– فقال: الرسول ﷺ: « **ثم الحج المبرور** » [٣].

• وعن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟** ». فقلت: بلى، يا رسول الله. فقال ﷺ: « **رأس الأمر وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد** » [٤].

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا جاء إلى الرسول ﷺ فقال:

– يا رسول الله، علمني عملًا يعدل الجهاد..

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والدارمي، وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه البخاري، والنسائي.

(٤) رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد بن حنبل.

- فقال: « **لا أجده! هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل المسجد فتقوم، لا تفتر؟ وتصوم، لا تفطر؟!** »..

- قال الرجل: لا أستطيع!..

- قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد يستن [١] في طوله فيكتب له حسنات [٢].

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ: سئل رسول الله ﷺ:

- أي الناس خير؟..

- فقال: « **مؤمن مجاهد بماله ونفسه في سبيل الله** »..

فسئل: ثم من؟

فقال: « **مؤمن في شِعْب من الشِّعاب، يتقي الله، ويدع الناس من شره** » [٣].

• وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **يا أبا سعيد، من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، وجبت له الجنة** ».

فعجب لها أبو سعيد، فقال: أعدها عليَّ يا رسول الله ففعل ثم قال: « **وأخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** ». قال أبو سعيد: وما هي، يا رسول الله؟.. قال ﷺ: « **الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله** » [٤].

• وعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **مثل المجاهدين في سبيل الله كمثل الصائم نهاره والقائم ليله حتى يرجع متى يرجع** » [٥].

• وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **يؤتى الرجل من أهل الجنة، فيقول له: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟.. فيقول: أي رب، خير منزل.. فيقول سل وتمنَّ.. فيقول: ما أسأل وأتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأُقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة** » [٦].

---

(١) أي: يعدو.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والدارمي، وأحمد بن حنبل.

(٤) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، والدارمي، وأحمد بن حنبل.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أحمد بن حنبل.

• وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يخرج منها، وإن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، يحب أن يخرج فيُقتل لما يرى من الكرامة** »[1].

• وعن أنس بن مالك ﷺ قال: « غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَيَن الله ما أصنع! فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة، ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أُحد!. قال سعد: فما استطعت، يا رسول الله، ما صنع!. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قُتل وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس: كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ».

• وعن سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله فيخونه فيها إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم** »[2]؟!.

• وعن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق**[3] **ناقته وجبت له الجنة، ومن سأل الله القتل من عند نفسه صادقًا ثم مات أو قتل فله أجر شهيد، ومن جُرح جرحًا في سبيل الله أو نُكب نكبة فإنما تجيء يوم القيامة كأغذ ما كانت، لونها كالزعفران، وريحها كالمسك، ومن جُرح جرحًا في سبيل الله فعليه طابع الشهداء** »[4].

(١، ٢) رواه أحمد بن حنبل.

(٣) الفواق - بفتح الفاء وضمها - مصدر: زمن يسير مقداره ما بين حلبتي حلمة ضرع الناقة من الزمن.

(٤) رواه أحمد بن حنبل.

• وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاث كلهم حق على الله: عون المجاهد في سبيل الله، والناكح المستعفف، والمكَاتَب** [(١)] **يريد الأداء** » [(٢)].

• وقال ﷺ: « **النبي في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والوئيد في الجنة** » [(٣)].

• وعن عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « **من قُتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة** » [(٤)].

• وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « **من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد** » [(٥)].

• وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « **انتدب الله ﷻ لمن خرج في سبيله، لا يخرج إلا جهادًا في سبيلي وإيمانًا بي وتصديقًا برسولي، فهو عليَّ ضامن أن أُدخله الجنة أو أُرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كَلم** [(٦)] **يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كُلم، لونه لون الدم، وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا، ولكني أجد سعة فيتبعوني ولا تطيب أنفسهم فيتخلفون بعدي. والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل** » [(٧)].

• وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: « **من أنفق زوجين من ماله في سبيل أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان** ».

فقال أبو بكر الصديق: والله، يا رسول الله، ما على أحد من ضرورة من أيها

---

(١) المكاتب - بالبناء للمفعول -: الرقيق يتعاقد مع سيده على مال يتحرر مقابل سداده له.

(٢) رواه النسائي، وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه أبو داود، وأحمد بن حنبل.

(٤) رواه أحمد بن حنبل.

(٥) رواه الترمذي.

(٦) الكلم: الجرح.

(٧) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد بن حنبل، ومالك في الموطأ.

دُعي، فهل يُدْعَى منها كلها أحد، يا رسول اللّه؟.. قال: « **نعم، وإني أرجو أن تكون منهم** »[١].

• وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول اللّه ﷺ قال: « **ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم مس القرصة** »[٢].

• وعن عبد اللّه بن عمرو ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « **ما من مسلم يُظْلَم بمظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيدًا** »[٣].

• وقال رسول اللّه ﷺ: « **البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت شهيدًا، يرزقك اللّه قرة عين الدنيا والآخرة** »[٤].

• وعن المقدام بن معديكرب، أن رسول اللّه ﷺ قال: « **للشهيد عند اللّه ست خصال: يغفر له أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلّى حُلّة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويُشَفَّع في سبعين إنسانًا من أقاربه** »[٥].

• وعن جابر بن عبد اللّه ﷺ، لما قتل عبد اللّه بن عمرو بن حرام، يوم أحد، قال رسول اللّه ﷺ: « **يا جابر، ألا أخبرك ما قال اللّه ﷻ لأبيك؟** ». قلت: بلى!.. قال: « **ما كَلَّم اللّه أحدًا إلا من وراء حجاب، وكَلَّم أباك كفاحًا**[٦]**، فقال: يا عبدي! تمنَّ عليّ أعطيك. قال: يا رب! تُحْيِيني فأُقتل فيك ثانية. قال إنه سبق مني: (إنهم إليها لا يرجعون)!.. قال: يا رب! فأبلغ من ورائي** ». **فأنزل اللّه ﷻ هذه الآية:**

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: « **أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة اللّه ونصح لمواليه** »[٧].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد بن حنبل، ومالك في الموطأ.

(٢) رواه النسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد بن حنبل.

(٣) رواه أحمد بن حنبل.

(٤) رواه ابن ماجه، وأحمد بن حنبل.

(٥) رواه ابن ماجه.

(٦) كفاحًا: مواجهة. والحديث رواه الترمذي وابن ماجه.

(٧) رواه الترمذي، وابن ماجه.

• وعن عتبة بن عبد السلمي ﷺ، أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **القتلى ثلاثة: مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه، إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل.. فذاك الشهيد الممتحن، في خيمة اللَّه تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة. ومؤمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، جاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه، إذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل.. مصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأُدخل من أي أبواب الجنة شاء. ومنافق جاهد بنفسه وماله، فإذا لقي العدو قاتل حتى يُقتل، فذاك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق** » (١).

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **وَفْدُ اللَّه ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر** » (٢).

• وسأل رجل النبي ﷺ وقال: عندما مر بشِعب فيه عيينة من ماء عذبة، فأعجبته، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشِّعب؟! فذكر ذلك لرسول اللَّه، فقال له ﷺ: « **لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم ويدخلكم الجنة؟! اغزوا في سبيل اللَّه، من قاتل في سبيل اللَّه فَواق ناقة وجبت له الجنة** » (٣).

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **من لقي اللَّه بغير أثر من جهاد لقي اللَّه وفيه ثلمة** » (٤، ٥).

• وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **من طلب الشهادة، صادقًا، أُعطيها ولو لم تصبه** » (٦).

• وعن عثمان بن عفان ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **من رابط ليلة في سبيل اللَّه ﷻ كانت كألف ليلة صيامها وقيامها** » (٧).

• وعن أبي الدرداء ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **غزوة في البحر مثل عشر**

---

(١) رواه الدارمي.
(٢) رواه النسائي.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) الثلمة: موضع الكسر والخلل.
(٥) رواه الترمذي، وابن ماجه.
(٦) رواه مسلم.
(٧) رواه ابن ماجه.

غزوات في البر، والذي يسدر [١] في البحر كالمتشحط [٢] في دمه في سبيل الله سبحانه » [٣].

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **من مات ولم يغزُ ولم يُحدِّث به نفسه مات على شعبة من النفاق** » [٤].

• وعن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: « **صلوا على كل ميت، وجاهدوا مع كل أمير** » [٥].

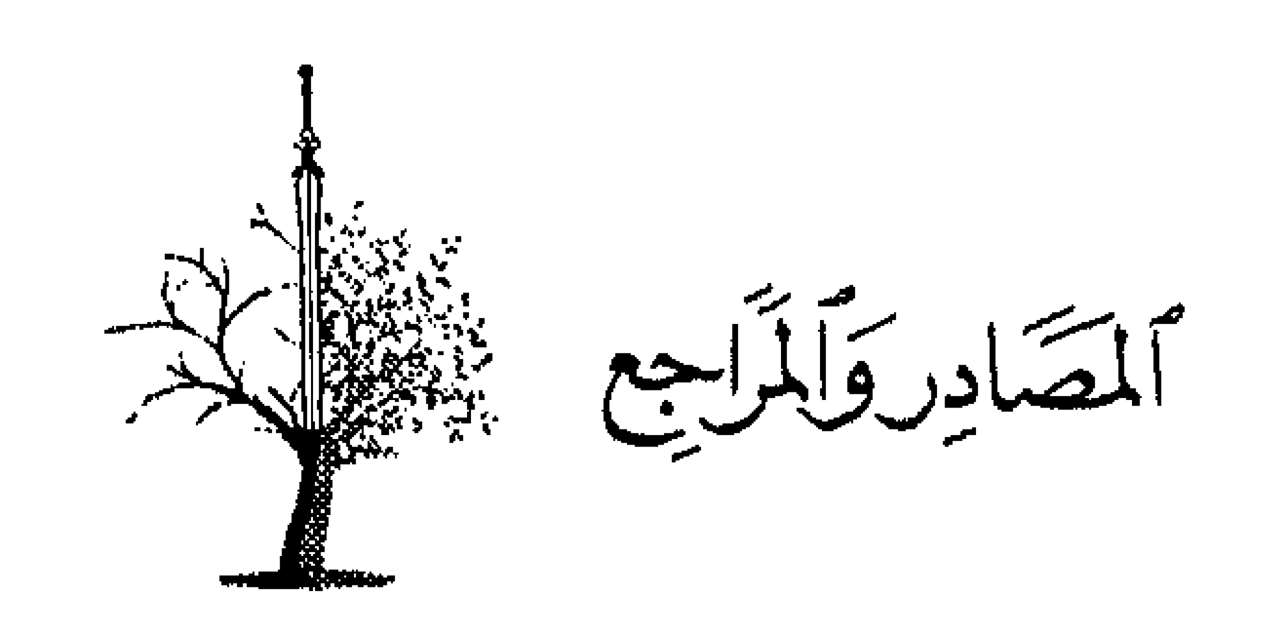
• عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا تبايعتم بالنسيئة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم** » [٦].

• وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان من أُمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » [٧]!.

• وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر، أو الشجر، فيقول الحجر، أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله** » [٨].

* * *

(١) يميل ويهتز من ارتجاج السفينة.
(٢) المضرج بدمه.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه مسلم وأبو داود.
(٥) رواه أبو داود، وابن ماجه.
(٦) رواه أبو داود، وأحمد بن حنبل.
(٧) رواه مسلم.
(٨) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وأحمد بن حنبل.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- كتب السنة النبوية:

١ - صحيح البخاري - طبعة دار الشعب - القاهرة.

٢ - صحيح مسلم - طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٥م).

٣ - سنن ابن ماجه - طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٢م).

٤ - سنن أبي داود - طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٢م).

٥ - سنن الترمذي - طبعة القاهرة، سنة (١٩٣٧م).

٦ - سنن الدارمي - طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٦م).

٧ - سنن النسائي - طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٤م).

٨ - مسند الإمام أحمد - طبعة القاهرة، سنة (١٣١٣هـ).

٩ - الموطأ - طبعة دار الشعب - القاهرة.

- الكتب:

ابن أبي الحديد: (شرح نهج البلاغة) تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٩م).

ابن الأثير: (أسد الغابة) طبعة دار الشعب - القاهرة.

ابن تيمية: (منهاج السنة النبوية) طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٢م).

ابن عبد البر: (الدرر في اختصار المغازي والسير) تحقيق/ د. شوقي ضيف - طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٦م).

ابن عبد الحكم: (فتوح مصر وأخبارها) طبعة ليدن، سنة (١٩٢٠م).

ابن القيم: (إعلام الموقعين) طبعة بيروت، سنة (١٩٧٣م).
(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) تحقيق/ د. جميل غازي - طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٧م).

ابن منظور: (لسان العرب) طبعة دار المعارف، القاهرة.

أبو عبيد القاسم بن سلام: (الأموال) طبعة القاهرة، سنة (١٩٦٨م).

أبو يوسف: (كتاب الخراج) طبعة القاهرة، سنة (١٣٥٢هـ).

أرنولد - سير توماس: (الدعوة إلى الإسلام) ترجمة/ د. حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي - طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٠م).

إسرائيل شاحاك: (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود) ترجمة/ حسن خضر - طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

الباقلاني: (التمهيد) تحقيق/ محمود محمد الخضيري، د. محمد عبد الهادي أبو ريدة - طبعة القاهرة، سنة (١٩٤٧م).

البلاذري: (فتوح البلدان) تحقيق/ د. صلاح الدين المنجد - طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦م).

د. توفيق الطويل: (الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام) طبعة القاهرة، سنة (١٩٩١م).

د. جاك تاجر: (أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢م) طبعة جرس - أمريكا، سنة (١٩٨٤م).

الجرجاني - الشريف: (التعريفات) طبعة القاهرة، سنة (١٩٣٨م).

جيوم: (الفلسفة وعلم الكلام) بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) ترجمة/ جرجيس فتح الله - طبعة بيروت، سنة (١٩٧٢م).

حسن البنا: (رسالة الجهاد) - ضمن مجموعة - طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٧م).

الراغب الأصفهاني: (المفردات في غريب القرآن) طبعة القاهرة، سنة (١٩٩١م).

رودنسون - مكسيم -: (الصورة العربية والدراسات العربية الإسلامية) بحث منشور بكتاب (تراث الإسلام) - طبعة الكويت - عالم المعرفة، أغسطس سنة (١٩٧٨م).

زالمان شازار - محرر -: (تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث) ترجمة/ أحمد محمد هويدي - مراجعة وتقديم/ د. محمد خليفة حسن - طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٠م).

الزركلي - خير الدين -: (الأعلام) طبعة بيروت - الثالثة.

الزمخشري: (الكشاف) طبعة دار الفكر - بيروت.

سيجريد هونكه: (اللَّه ليس كذلك) ترجمة/ د. غريب محمد غريب - طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٥م).

سيد قطب: (معالم في الطريق) طبعة القاهرة، سنة (١٩٨٠م).

د. صبري أبو الخير سليم: (تاريخ مصر في العصر البيزنطي) طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠١م).

الطبري - ابن جرير -: (تاريخ الطبري) طبعة دار المعارف - القاهرة.

الطهطاوي - رفاعة رافع -: (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق/ د. محمد عمارة - طبعة بيروت، سنة (١٩٧٧م).

د. عبد الوهاب المسيري: (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية) طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٩م).

علي بن أبي طالب - الإمام -: (نهج البلاغة) طبعة دار الشعب - القاهرة.

الـغـزالي - أبـو حـامـد -: (الاقتصاد في الاعتقاد) طبعة مكتبة صبيح - القاهرة.
(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة، سنة (١٩٠٧م).

د. فـؤاد حسنين علي: (التوراة: عرض وتحليل) طبعة القاهرة، سنة (١٩٤٦م).

فيليب فارج، يوسف كرباج: (المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي) ترجمة/ بشير السباعي - طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٤م).

الـقـرطـبـي: (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة.

الكفوي - أبو البقاء -: (الكليات) تحقيق/د. عدنان درويش، محمد المصري - طبعة دمشق، سنة (١٩٨٢م).

مجمع اللغة العربية: (معجم ألفاظ القرآن الكريم) طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٠م).
(معجم العلوم الاجتماعية) طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٥م).

د. محمد جلاء إدريس: (فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي) طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠١م).

د. محمد حميد الله الحيدرآبادي - محقق: (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) طبعة القاهرة، سنة (١٩٥٦م).

محمد عبده - الأستاذ الإمام -: (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة - طبعة بيروت، سنة (١٩٧٢م) - والقاهرة سنة (١٩٩٣م)، وسنة (٢٠٠٦م).

د. محمد عمارة: (في فقة المواجهة بين الغرب والإسلام) طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٣م).
(العرب والتحدي) طبعة الكويت، سنة (١٩٨٠م).
(الإسلام والوحدة القومية) طبعة بيروت، سنة (١٩٧٩م).
(الإسلام وفلسفة الحكم) طبعة بيروت، سنة (١٩٧٩م).
(معركة المصطلحات) طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٤م).
(الإسلام في عيون غربية) طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٥م).
(إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات) طبعة القاهرة، سنة (٢٠١٠م).
(الإسلام والآخر: من يعترف بمن ومن ينكر من؟) طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٤م).

محمد فؤاد عبد الباقي: (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) طبعة دار الشعب - القاهرة.

مكسيموس مونروند: (تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدعوة حرب الصليب) - ترجمة/ مكسيموس مظلوم، طبعة أورشليم، سنة (١٨٦٥م).

المودودي - أبو الأعلى -: (الجهاد في سبيل اللّٰه) - ضمن مجموعة - طبعة القاهرة، سنة (١٩٧٧م).

مونتجمري وات: (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) ترجمة/ عبد الرحمن عبد الله الشيخ - طبعة القاهرة، مكتبة الأسرة.

النويري: (نهاية الأرب) طبعة دار الكتب المصرية.

هانس كينج: (مقاييس عالمية للأخلاق) ترجمة/ ثابت عيد، تقديم/د. محمد عمارة - طبعة القاهرة، سنة (٢٠١٠م).

هوبرت هيركومر، جيرثوت روتر: (صورة الإسلام في التراث العربي) ترجمة/ ثابت عيد، تقديم/ د. محمد عمارة - طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٩م).

ول ديورانت: (قصة الحضارة) ترجمة/ د. عبد الحميد يونس - طبعة القاهرة، سنة (١٩٧١م)، سنة (١٩٧٢م).

وينسنك (أ.ي) وآخرون: (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف) طبعة ليدن سنة (١٩٣٦م)، (١٩٦٩م).

يوحنا النقيوسي: (تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي) ترجمة ودراسة/ د. عمر صابر عبد الجليل - طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٠م).

- **الدوريات:**

١ - الأسبوع - القاهرة.

٢ - الأهرام - القاهرة.

٣ - الحياة - لندن.

٤ - الشرق الأوسط - لندن.

٥ - العربي - القاهرة.

٦ - نيوزويك - أمريكا.

٧ - نيويورك تايمز - أمريكا.

٨ - وجهات نظر - القاهرة.

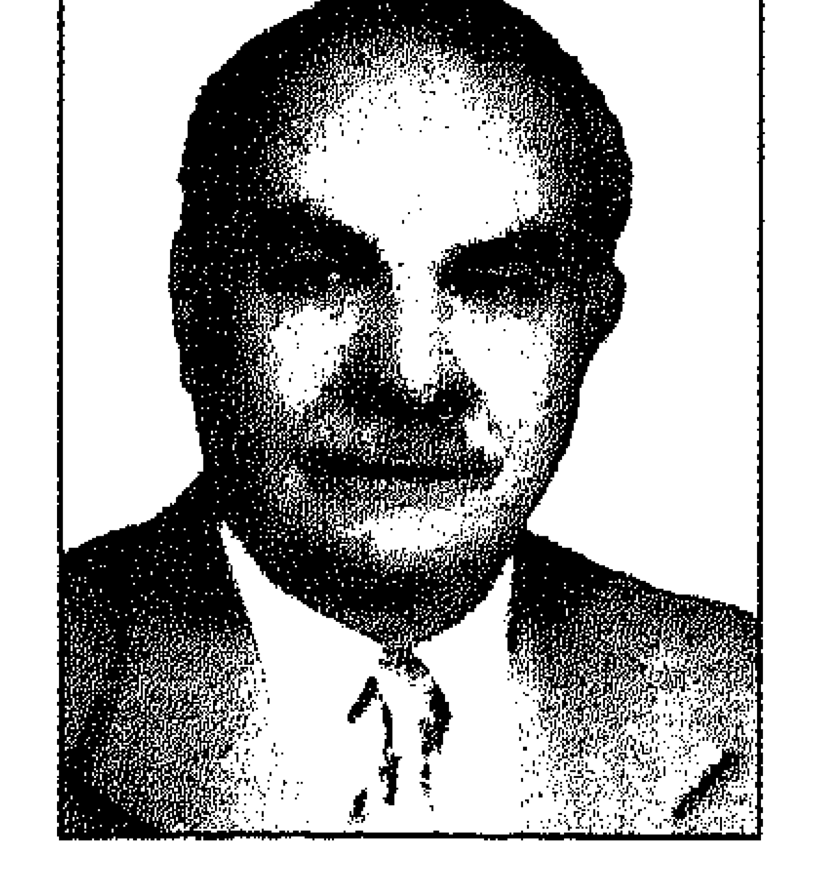
٩ - الوسط - لندن.

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف



*** الدكتور محمد عمارة.**



أولًا: سيرة ذاتية.. في نقاط:

- مفكر إسلامي.. ومؤلف.. ومحقق.. وعضو « مجمع البحوث الإسلامية » - بالأزهر الشريف.

- ولد بريف مصر - ببلدة « صروة »، مركز « قلين »، محافظة « كفر الشيخ » - في (٢٧ من رجب سنة ١٣٥٠هـ / ٨ من ديسمبر سنة ١٩٣١م) - في أسرة ميسورة الحال - ماديًّا - تحترف الزراعة.. وملتزمة دينيًّا.

- قبل مولده كان والده قد نذر لله: إذا جاء المولود ذكرًا أن يسميه محمدًا، وأن يهبه للعلم الديني - أي: يطلب العلم في الأزهر الشريف.

- حفظ القرآن وجَوَّده بـ « كُتَّاب » القرية.. مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية - مرحلة التعليم الإلزامي.

- في سنة (١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) التحق « بمعهد دسوق الديني الابتدائي » - التابع للجامع الأزهر الشريف - .. ومنه حصل على شهادة الابتدائية سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م).

- وفي المرحلة الابتدائية - النصف الثاني من أربعينيات القرن العشرين - بدأت تتفتح وتنمو اهتماماته الوطنية والعربية والإسلاميّة والأدبيّة والثقافية.. فشارك في العمل الوطني - قضية استقلال مصر.. والقضية الفلسطينيّة - بالخطابة في المساجد.. والكتابة نثرًا وشعرًا - وكان أول مقال نشرته له صحيفة « مصر الفتاة » بعنوان: « جهاد » - عن فلسطين - في أبريل سنة (١٩٤٨م). وتطوع للتدريب على حمل السلاح ضمن حركة مناصرة القضية الفلسطينيّة.. لكن لم يكن له شرف الذهاب إلى فلسطين.

- في سنة (١٩٤٩م) التحق « بمعهد طنطا الأحمدي الديني الثانوي » - التابع للجامع الأزهر الشريف - ومنه حصل على الثانوية الأزهرية سنة (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م).

- وواصل - في مرحلة الدراسة الثانوية - اهتماماته السياسية والأدبية والثقافيّة.. ونشر شعرًا ونثرًا في صحف ومجلات « مصر الفتاة »، و « منبر الشرق »، و « المصري »، و « الكاتب ».. وتطوع للتدريب على السلاح بعد إلغاء معاهدة (١٩٣٦م) في سنة (١٩٥١م).

- وفي سنة (١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م) التحق « بكلية دار العلوم » - جامعة القاهرة.. وفيها تخرج، ونال درجة « الليسانس » في اللغة العربيّة والعلوم الإسلامية، ولقد تأخر تخرجه - بسبب نشاطه السياسي - إلى سنة (١٩٦٥م) بدلًا من سنة (١٩٥٨م).

Black

– وواصل – في مرحلة الدراسة الجامعية – نشاطه الوطني والأدبي والثقافي.. فشارك في « المقاومة الشعبية »، بمنطقة قناة السويس، إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر سنة (١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م)..

– ونشر المقالات في صحيفة « المساء » – المصرية – ومجلة « الآداب » – البيروتيّة – وألّف ونشر أول كتبه عن « القومية العربية » سنة (١٩٥٨م).

– وبعد التخرج في الجامعة أعطى كل وقته – تقريبًا – وجميع جهده لمشروعه الفكري، فجمع وحقق ودرس الأعمال الكاملة لأبرز أعلام اليقظة الإسلامية الحديثة: رفاعة رافع الطهطاوي.. وجمال الدين الأفغاني.. ومحمد عبده.. وعبد الرحمن الكواكبي.. وعلي مبارك.. وقاسم أمين.. وكَتَبَ الكتب والدراسات عن أعلام التجديد الإسلامي.. مثل: الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا.. والشيخ محمد الغزالي.. وعمر مكرم.. ومصطفى كامل.. وخير الدين التونسي.. ورشيد رضا.. وعبد الحميد بن باديس.. ومحمد الخضر حسين.. وأبي الأعلى المودودي.. وحسن البنا.. وسيد قطب.. والشيخ محمود شلتوت.. والبشير الإبراهيمي... إلخ.

– ومن أعلام الصحابة الذين كتب عنهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو ذر الغفاري، وأسماء بنت أبي بكر.. كما كتب عن تيارات الفكر الإسلامي – القديمة والحديثة – وعن أعلام التراث الإسلامي، مثل: غيلان الدمشقي.. والحسن البصري.. وعمرو بن عبيد.. والنفس الزكية: محمد ابن الحسن، وعلي بن محمد، والماوردي، وابن رشد (الحفيد)، والعز بن عبد السلام.. إلخ..

– وتناولت كتبه – التي تجاوزت المائتين – السمات المميزة للحضارة الإسلاميّة.. والمشروع الحضاري الإسلامي.. والمواجهة مع الحضارات الغازية والمعادية.. وتيارات العلمنة والتغريب.. وصفحات العدل الاجتماعي الإسلامي.. والعقلانية الإسلامية..

– وحاور وناظر العديد من أصحاب المشاريع الفكرية الوافدة.

– وحقق عددًا من نصوص التراث الإسلامي – القديم منه والحديث.

– وكجزء من عمله العلمي ومشروعه الفكري حصل – من كلية دار العلوم – في العلوم الإسلامية – تخصص الفلسفة الإسلامية – على الماجستير سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، بأطروحة عن « المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ».. وعلى الدكتوراه سنة (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، بأطروحة عن « الإسلام وفلسفة الحكم ».

– وأسهم في تحرير العديد من الدوريات الفكريّة المتخصصة.. وشارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية في وطن العروبة وعالم الإسلام وخارجهما.. كما أسهم في تحرير العديد من الموسوعات السياسية والحضارية والعامة مثل: « موسوعة السياسة »، و « موسوعة الحضارة العربية »، و « موسوعة الشروق »، و « موسوعة المفاهيم الإسلامية »، و « الموسوعة الإسلامية العامة »، و « موسوعة الأعلام »... إلخ.

– نال عضوية عدد من المؤسسات العلمية والفكرية والبحثية؛ منها: « المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية » – بمصر، و « المعهد العالمي للفكر الإسلامي » – بواشنطن، و « مركز الدراسات الحضارية » – بمصر، و « المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية » – مؤسسة آل البيت – بالأردن.. و « مجمع البحوث الإسلامية » – بالأزهر الشريف..

– وحصل على عدد من الجوائز والأوسمة.. والشهادات التقديرية.. والدروع.. منها: « جائزة جمعية

أصدقاء الكتاب » - بلبنان - سنة (١٩٧٢م).. وجائزة الدولة التشجيعية - بمصر، سنة (١٩٧٦م).. ووسام العلوم والفنون - من الطبقة الأولى - بمصر - سنة (١٩٧٦م).. وجائزة علي وعثمان حافظ، لمفكر العام، سنة (١٩٩٣م).. وجائزة المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، سنة (١٩٩٧م).. ووسام التيار القومي الإسلامي - القائد المؤسس، سنة (١٩٩٨م).. وجائزة مؤسسة أحمد كانو - للدراسات الإسلامية - بالبحرين، سنة (٢٠٠٥م).

- وجاوزت أعماله الفكرية - تأليفًا وتحقيقًا - مائتي كتاب، وذلك غير ما نُشر له في الصحف والمجلات..

- وتُرجم العديد من كتبه إلى العديد من اللغات الشرقية والغربية.. مثل: التركية، والمالاوية، والفارسية، والأوردية، والإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية، والألمانية، والألبانية، والبوسنية.

- الاسم - رباعيًا: محمد عمارة مصطفى عمارة..

- العنوان: جمهورية مصر العربية - القاهرة - هاتف ٢٢٠٥٥٦٦١ - فاكس ٢٢٠٥٥٦٦٢.

* * *

ثانيًا: ثبت بأعماله الفكرية:

- في دار الشروق:

١ - معالم المنهج الإسلامي.
٢ - الإسلام والمستقبل.
٣ - العلمانية ونهضتنا الحديثة.
٤ - الإسلام وفلسفة الحكم.
٥ - معركة الإسلام وأصول الحكم - دراسة وتحقيق.
٦ - الإسلام والفنون الجميلة.
٧ - الإسلام وحقوق الإنسان: ضرورات لا حقوق.
٨ - الإسلام والثورة.
٩ - الإسلام والعروبة.
١٠ - الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية.
١١ - هل الإسلام هو الحل؟؟ لماذا.. وكيف؟
١٢ - سقوط الغلو العلماني.
١٣ - الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟
١٤ - الطريق إلى اليقظة الإسلامية.
١٥ - تيارات الفكر الإسلامي.
١٦ - الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري.
١٧ - المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية.
١٨ - عندما أصبحت مصر عربية إسلامية.
١٩ - العرب والتحدي.
٢٠ - مسلمون ثوار.
٢١ - التفسير الماركسي للإسلام.
٢٢ - الإسلام بين التنوير والتزوير.
٢٣ - التيار القومي الإسلامي.
٢٤ - الإسلام والأمن الاجتماعي.
٢٥ - الأصولية بين الغرب والإسلام.
٢٦ - الجامعة الإسلامية والفكرة القومية.
٢٧ - عمر بن عبد العزيز: ضمير الأمة وخامس الراشدين.
٢٨ - جمال الدين الأفغاني: موقظ الشرق الشرق وفيلسوف الإسلام.
٢٩ - محمد عبده: تجديد الدنيا بتجديد الدين.
٣٠ - عبد الرحمن الكواكبي: شهيد الحرية ومجدد الإسلام.
٣١ - أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية.
٣٢ - رفاعة الطهطاوي: رائد التنوير في العصر الحديث.
٣٣ - علي مبارك: مؤرخ ومهندس العمران.
٣٤ - قاسم أمين: تحرير المرأة والتمدن الإسلامي.
٣٥ - التحرير الإسلامي للمرأة: الرد على شبهات الغلاة.
٣٦ - الإسلام في عيون غربية: بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء.
٣٧ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية.
٣٨ - في فقه الصراع على القدس وفلسطين.
٣٩ - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده؟ دراسة وتحقيق.
٤٠ - الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي - دراسة وتحقيق.
٤١ - الأعمال الكاملة لقاسم أمين - دراسة وتحقيق.
٤٢ - رسالة التوحيد - دراسة وتحقيق.
٤٣ - طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد - دراسة وتحقيق.
٤٤ - الشيعة والسنة: جوهر الخلاف وسبل التقريب.
٤٥ - رسائل العدل والتوحيد - دراسة وتحقيق.
٤٦ - ابن رشد: دراسات ونصوص - قيد الإعداد.
٤٧ - الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي - قيد الطبع - دراسة وتحقيق.
٤٨ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني - قيد الطبع - دراسة وتحقيق.
٤٩ - الأعمال الفكرية لعلي مبارك - قيد الطبع - دراسة وتحقيق.

- في مكتبة الشروق الدولية:

٥٠ - الغرب والإسلام: أين الخطأ وأين الصواب؟
٥١ - مقالات الغلو الديني واللاديني.
٥٢ - الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني.
٥٣ - الإسلام والأقليات: الماضي والحاضر والمستقبل.
٥٤ - الإسلام والآخر: مَنْ يعترف بمن ومَنْ ينكر من؟
٥٥ - في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام.
٥٦ - في فقه الحضارة الإسلامية.
٥٧ - في المسألة القبطية - حقائق وأوهام.
٥٨ - مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية.
٥٩ - إحياء الخلافة الإسلامية: حقيقة أم خيال؟
٦٠ - الإسلام والحرب الدينية.
٦١ - العطاء الحضاري للإسلام.
٦٢ - الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر.
٦٣ - من أعلام الإحياء الإسلامي.
٦٤ - الفاتيكان والإسلام: أهي حماقة أم عداء له تاريخ؟
٦٥ - التراث والمستقبل.
٦٦ - معارك العرب ضد الغزاة.
٦٧ - الفتنة الطائفية: متى.. وكيف.. ولماذا؟
٦٨ - الأنبياء في القرآن الكريم والكتاب المقدس.
٦٩ - التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ.

- سلسلة: (هذا هو الإسلام):

٧٠ - الدين والحضارة. عوامل امتياز الإسلام.
٧١ - السماحة الإسلامية. حقيقة الجهاد..والقتال.. والإرهاب.
٧٢ - احترام المقدسات. خيرية الأمة. عوامل تفوق الإسلام.
٧٣ - الموقف من الديانات الأخرى. الدين والدولة.
٧٤ - الموقف من الحضارات الأخرى أسباب انتشار الإسلام.
٧٥ - قراءة النص الديني بين التأويل الغربي والتأويل الإسلامي.
٧٦ - الإسلام والسياسة: الرد على شبهات العلمانيين.
٧٧ - الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في إطار الوحدة.
٧٨ - مفهوم الحرية في مذاهب الإسلاميين.

- في نهضة مصر:

٧٩ - معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام.
٨٠ - الوسيط في المذاهب والمصطلحات.
٨١ - القدس الشريف: رمز الصراع وبوابة الانتصار.
٨٢ - الإصلاح بالإسلام.
٨٣ - الإسلام والتحديات المعاصرة.
٨٤ - الإسلام في مواجهة التحديات.
٨٥ - الاستقلال الحضاري.
٨٦ - الغارة الجديدة على الإسلام.
٨٧ - مقام العقل في الإسلام.
٨٨ - الفريضة الغائبة: حوار مع ثقافة العنف.
٨٩ - الانتماء الحضاري: للغرب أم الإسلام؟

- سلسلة: (في التنوير الإسلامي):

٩٠ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية.
٩١ - الغرب والإسلام.
٩٢ - أبو حيان التوحيدي.
٩٣ - ابن رشد بين الغرب والإسلام.
٩٤ - الانتماء الثقافي.
٩٥ - التعددية: الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية.
٩٦ - صراع القيم بين الغرب والإسلام.
٩٧ - د. يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري.
٩٨ - عندما دخلت مصر في دين اللّه.
٩٩ - الحركات الإسلامية: رؤية نقدية.
١٠٠ - المنهاج العقلي في دراسات العربية.

١٠١ - النموذج الثقافي.
١٠٢ - تجديد الدنيا بتجديد الدين.
١٠٣ - الثوابت والمتغيرات في اليقظة الإسلامية الحديثة.
١٠٤ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
١٠٥ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي؟
١٠٦ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين.
١٠٧ - الحضارات العالمية: تدافع أم صراع؟
١٠٨ - الحملة الفرنسية في الميزان.
١٠٩ - الأقليات الدينية والقومية: تنوع ووحدة أم تفتيت واختراق؟
١١٠ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية.
١١١ - الغناء والموسيقى: حلال أم حرام؟
١١٢ - هل المسلمون أمة واحدة؟
١١٣ - السنة والبدعة؟ للشيخ الخضر حسين - دراسة وتقديم.
١١٤ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان - للشيخ الخضر حسين - دراسة وتقديم.
١١٥ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة.
١١٦ - مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية).
١١٧ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية.
١١٨ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين.
١١٩ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية.
١٢٠ - السنة التشريعية وغير التشريعية - مجموعة دراسات.
١٢١ - شبهات حول الإسلام.
١٢٢ - المستقبل الاجتماعي للأمة الإسلامية.
١٢٣ - شبهات حول القرآن الكريم.
١٢٤ - أزمة العقل العربي.
١٢٥ - في التحرير الإسلامي للمرأة.
١٢٦ - روح الحضارة الإسلامية؟ للشيخ ابن عاشور - دراسة وتقديم.
١٢٧ - الغرب والإسلام: افتراءات لها تاريخ.
١٢٨ - السماحة الإسلامية.
١٢٩ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبي: هل كان علمانيًا؟
١٣٠ - أزمة الفكر الإسلامي المعاصر.
١٣١ - إسلامية المعرفة: ماذا تعني؟
١٣٢ - الإسلام وضرورة التغيير.
١٣٣ - النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود.
١٣٤ - الإبداع الفكري والخصوصية الحضارية.
١٣٥ - صلة الإسلام بإصلاح المسيحية - للشيخ أمين الخولي - دراسة وتقديم.
١٣٦ - عن القرآن الكريم ؟ للشيخ أمين الخولي - دراسة وتقديم.
١٣٧ - الإسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده - دراسة وتحقيق.
١٣٨ - الإصلاح الديني في القرن العشرين - الشيخ المراغي نموذجًا.
١٣٩ - فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين.
١٤٠ - اجتهاد الرسول وقضاؤه وفتواه - للشيخ جاد الحق علي جاد الحق - دراسة وتقديم.
١٤١ - شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام.
١٤٢ - سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟
١٤٣ - العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية.
١٤٤ - عالمنا: حضارة أم حضارات؟
١٤٥ - الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين.
١٤٦ - السلفية: واحدة.. أم سلفيات؟

- في مكتبة الإمام البخاري: سلسلة (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت):

١٤٧ - رفع الملام عن شيخ الإسلام ابن تيمية.
١٤٨ - الفارق بين الدعوة والتنصير.
١٤٩ - علمانية المدفع والإنجيل.
١٥٠ - صيحة نذير من فتنة التكفير.
١٥١ - مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام.
١٥٢ - في النظام السياسي الإسلامي: الخلافة والدولة المدنية.
١٥٣ - أضواء على الموقف الشيعي من الصحابة.
١٥٤ - بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية.
١٥٥ - القدس: أمانة عمر في انتظار صلاح الدين.
١٥٦ - القرآن يتحدى.
١٥٧ - تحرير المرأة بين الغرب والإسلام.
١٥٨ - في فقه المصطلحات.
١٥٩ - طريق جارودي إلى الإسلام.
١٦٠ - المؤسسة والمؤسسية في الحضارة الإسلامية.
١٦١ - صورة الإسلام في الخطاب الغربي.
١٦٢ - الديانات السماوية والحروب الدينية.
١٦٣ - سلامة موسى: اجتهاد خاطئ أم عمالة حضارية؟
١٦٤ - مقام العقل عند شيخ الإسلام ابن تيمية - قيد الإعداد -.
١٦٥ - الجديد في المخطط الغربي تجاه المسلمين.
١٦٦ - الحضارات العالمية: واحدة أم حضارات؟

- في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:

١٦٧ - أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر.
١٦٨ - شبهات وإجابات حول القرآن الكريم.
١٦٩ - شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام (ج١، ٢، ٣).
١٧٠ - فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية.
١٧١ - دليل الإمام إلى تجديد الخطاب الديني - وزارة الأوقاف - بالاشتراك مع آخرين.
١٧٢ - الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت.
١٧٣ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين.
١٧٤ - السلف والسلفية.

- في مجمع البحوث الإسلامية:

١٧٥ - ملاحظات علمية على كتاب المسيح في الإسلام - ملحق مجلة الأزهر - شهر صفر سنة (١٤٢٧هـ).
١٧٦ - رد الأزهر على كتاب ما هي حتمية كفارة المسيح - ملحق مجلة الأزهر - شهر ربيع الأول سنة (١٤٢٦هـ).
١٧٧ - الرد على كتاب فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب.
١٧٨ - تقرير علمي في الرد على المنصرين.

- في دار المعارف:

١٧٩ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - لابن رشد - دراسة وتحقيق.

- بالاشتراك مع آخرين:

١٨٠ - قارعة سبتمبر - مكتبة الشروق الدولية سنة (٢٠٠٢م).
١٨١ - الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية - الكويت سنة (١٩٨٩م).
١٨٢ - القرآن - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٢م).
١٨٣ - محمد؟ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٢م).
١٨٤ - عمر بن الخطاب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٣م).
١٨٥ - علي بن أبي طالب - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٤م).
١٨٦ - السنة والشيعة: وحدة الدين وخلاف السياسة والتاريخ - مكتبة النافذة سنة (٢٠٠٨م).

- كتب نفدت.. وأدمج بعضها في كتب أخرى:

١٨٧ - فجر اليقظة القومية - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م).

١٨٨ - العروبة في العصر الحديث - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م).

١٨٩ - الأمة العربية وقضية الوحدة - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م).

١٩٠ - ثورة الزنج - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٠م).

١٩١ - دراسات في الوعي بالتاريخ - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٠م).

١٩٢ - الإسلام وقضايا العصر - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م).

١٩٣ - التراث في ضوء العقل - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٤م).

١٩٤ - الفريضة الغائبة: عرض وحوار وتقييم - دار الوحدة - بيروت سنة (١٩٨٣م).

١٩٥ - الإسلام والسلطة الدينية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٨٠م).

١٩٦ - الإسلام والوحدة القومية - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة (١٩٧٩م).

١٩٧ - الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية - دار ثابت - القاهرة سنة (١٩٨٢م).

١٩٨ - في المشروع الحضاري الإسلامي - مركز الراية؟ جدة سنة (٢٠٠٤م).

١٩٩ - شخصيات لها تاريخ - مركز الراية - جدة سنة (٢٠٠٤م).

٢٠٠ - الإمام محمد عبده: مشروع حضاري للإصلاح بالإسلام - مكتبة الإسكندرية سنة (٢٠٠٥م).

٢٠١ - محمد عبده: سيرته وأعماله - دار القدس - بيروت سنة (١٩٧٨م).

٢٠٢ - معالم المشروع الحضاري للإمام الشهيد حسن البنا - دار التوزيع سنة (٢٠٠٦م).

٢٠٣ - نظرة جديدة إلى التراث - دار قتيبة - دمشق سنة (١٩٨٨م).

٢٠٤ - القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب - دار الفكر - القاهرة سنة (١٩٥٨م).

٢٠٥ - ظاهرة القومية في الحضارة العربية - الكويت سنة (١٩٨٣م).

٢٠٦ - رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة؟ حوار - دار الكتاب الحديث ؟ بيروت سنة (١٩٨٩م).

٢٠٧ - نظرية الخلافة الإسلامية - دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٨٠م).

٢٠٨ - العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب - دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٧٨م).

٢٠٩ - الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب - دار الثقافة الجديدة سنة (١٩٧٨م).

٢١٠ - إسرائيل: هل هي سامية؟ - دار الكاتب العربي - سنة (١٩٦٧م).

٢١١ - الإسلام وأصول الحكم - دراسات ووثائق - المؤسسة العربية - بيروت سنة (١٩٧٢م).

٢١٢ - الدين والدولة - الهيئة العامة للكتاب - سنة (١٩٩٧م).

٢١٣ - المواجهة بين الإسلام والعلمانية - مناظرة - دار الآفاق الجديدة - القاهرة سنة (١٤١٣هـ).

٢١٤ - تهافت العلمانية - مناظرة - دار الآفاق الجديدة - القاهرة سنة (١٤١٣هـ).

٢١٥ - الشيخ الشهيد أحمد ياسين وفقه الجهاد على أرض فلسطين - مركز الإعلام العربي سنة (٢٠٠٤م).

٢١٦ - القدس: أمانة عمر في انتظار صلاح الدين - مركز الإعلام العربي.

٢١٧ - إسلامية الصراع على القدس وفلسطين - مركز الإعلام العربي.
٢١٨ - المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد - دار المعارف سنة (١٩٨٣م).
٢١٩ - الفكر القائد للثورة الإيرانية - دار ثابت سنة (١٩٨٢م).

- في دار السلام:

٢٢٠ - المشروع الحضاري الإسلامي.
٢٢١ - شخصيات لها تاريخ.
٢٢٢ - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية.
٢٢٣ - كتاب الأموال - لأبي عبيد القاسم ابن سلام - دراسة وتحقيق.
٢٢٤ - الشيخ محمد الغزالي: الموقع الفكري والمعارك الفكرية.
٢٢٥ - إزالة الشبهات عن معاني المصطلحات.
٢٢٦ - الدكتور عبد الرزاق السنهوري: إسلامية الدولة والمدنية والقانون.
٢٢٧ - أكذوبة الاضطهاد الديني في مصر.
٢٢٨ - فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفية.
٢٢٩ - إسلاميات السنهوري باشا.
٢٣٠ - مقال في السنن الإلهية - الكونية والاجتماعية.
٢٣١ - الحل الإسلامي لأزمة الرأسمالية العالمية.
٢٣٢ - الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ.
٢٣٣ - جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض.
٢٣٤ - المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده.
٢٣٥ - معالم المشروع الحضاري في فكر الإمام الشهيد حسن البنا.
٢٣٦ - محمد ﷺ المصطفى المعصوم؟ بشر يُوحى إليه.
٢٣٧ - حقائق وشبهات حول القرآن الكريم.
٢٣٨ - حقائق وشبهات حول السنة النبوية.
٢٣٩ - حقائق وشبهات حول السماحة الإسلامية وحقوق الإنسان.
٢٤٠ - حقائق وشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام.
٢٤١ - المؤسسية والمؤسسات في الحضارة الإسلامية

- كتب قيد الإعداد:

٢٤٢ - حقائق وشبهات حول الغزوات والفتوحات الإسلامية.
٢٤٣ - حقائق وشبهات حول المعاملات المصرفية.

* * *

رقم الإيداع

٢٠١٠/١٤٧٠٤

الترقيم الدولي I.S.B.N

978-977-342-924-9

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « حقائق وشبهات حول الحرب الدينية والجهاد والقتال والإرهاب » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... **الدولة :** ....

المدينة : .... **حي :** .... **شارع :** .... **ص.ب:** ....

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة: .... العنوان: ....

- ما رأيك في الكتاب ؟

☐ ممتاز ☐ جيد ☐ عادي (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) ....العملة ....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسة منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨)

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ طباعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،



الكِتَابُ في سُطورٍ

من سنن الله تعالى أن يكون لكل دعوة أنصار وحواريون، كما يكون لها أيضًا خصوم ومناوئون؛ فدوام الحق يصاحبه دوام الباطل، وتزايد المؤمنين يواكبه اشتداد سعار الكافرين، ودخول الناس في دين الله أفواجًا يستنفر قوى الشر التي اتخذت من الكذب على الله ودينه صناعة كبرى ترتزق من سحتها جيوش الكذبة. وهذا كان الحال مع كل رسل الله وما نزلوا به.

وقدر دعوة الإسلام أنها الخاتمة لكل الدعوات؛ فنالتها سهام الحاقدين وأخذوا يكيلون لها الاتهامات ويفترون عليها الافتراءات؛ يقولون: إنها انتشرت بحد السيف، وأنها محت النصرانية بحرب دينية وجهتها ضدها، ومن هذا القبيل كثير هو مجرد افتراءات يوجهونها لدين الله الخاتم.. يتساقط بعضها ليتجدد البعض الآخر، فكان لزامًا علينا لتبديد تلك الأوهام ولكشف حقيقة موقف الإسلام من الحرب الدينية وحقيقة القتال والجهاد - أن نقدم كتابًا يعرض حقائق موضوعية ومنطقية وشرعية حول هذا الموضوع.. تكشف الزيف وتجلي الموقف.



الناشر



القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية
هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)
www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

ISBN: 978-977-342-924-9

